بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده اللَّه فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[3].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[4].

● **أما بعد:**

فإنّ من أعظم الواجبات على المكلفين معرفة رب العالمين والعلم

---

(١) هذه تسمى خطبة الحاجة وقد كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه، كما يعلمهم التشهد في الصلاة، أخرجها ابن ماجه في سننه كِتَاب النِّكَاحِ بَاب خُطْبَةِ النِّكَاحِ (١/ ٦٠٩)، وانظر: صحيح مسلم كِتَاب الْجُمُعَةِ بَاب تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ (٢/ ٥٩٣).

(٢) سورة آل عمران، (١٠٢).

(٣) سورة النساء، (١).

(٤) سورة الأحزاب، (٧٠-٧١).

بتوحيده الذي هو أسمى العلوم وقد صنّف في ذلك الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ت١٢٠٦ هـ رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب التوحيد الذي هو حق اللَّه على العبيد، وهو كتاب عظيم في بابه بيّن فيه مؤلفه أصول دلائل التوحيد ومعناه وفضله كما بيّن فيه ما يضاده والخوف من نقيض التوحيد وبيّن فيه أفراد توحيد العبادة وذكر فيه إجمالًا ما يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات، واعتنى ببيان الشرك الأكبر والأصغر وصورهما والذرائع المفضية إليهما، وبيّن ما يحمى به التوحيد والوسائل إلى ذلك وبيّن شيئًا من أفراد توحيد الربوبية.

وقد تمّ شرح الكتاب كاملًا بحمد اللَّه ومنته في كليات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ولمّا رأيت أن ذكر فوائد الكتاب ومسائله على طريقة السؤال والجواب مما يعين على فهم الدرس وضبطه كتبت هذه الأسئلة بأجوبتها المستفادة من شروح كتاب التوحيد.

ومن المصادر التي استفدت منها أجوبة هذه الأسئلة:

- تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبد اللَّه بن محمد بن عبد الوهاب.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
- القول السديد في مقاصد التوحيد، للشيخ عبد الرحمن السعدي.
- الدر النضيد على أبواب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبدالرحمن الحمدان.
- التعليق المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ ابن باز.

- القول المفيد للشيخ ابن عثيمين .
- الملخص في شرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان .
- الجديد في شرح كتاب التوحيد للشيخ القرعاوي .
- التمهيد للشيخ صالح آل الشيخ .
- السبك الفريد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبداللَّه بن جبرين .
- الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة على كتاب التوحيد للشيخ عبداللَّه الجاراللَّه ، وقد استفدت منه كثيرًا في ذكر مناسبات الأبواب لكتاب التوحيد ، ومناسبات النصوص للأبواب .
- شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن محمد اللهيميد .
- الشرح الميسر لكتاب التوحيد للقاسم .

كما استفدت من بعض الأبحاث والرسائل الجامعية وبعض المراجع الأخرى التي أحلت إليها في موطنها ، واستفدت أيضًا من إجابات بعض الطلبة على ما طرح من أسئلة لكن حذفت منها أشياء وأضفت أشياء كثيرة .

أسأل اللَّه العليم سبحانه أن يعمّم نفع هذه المذكرة ، وأن يجعل هذا العمل صالحًا ، ولوجهه خالصًا ، وألا يجعل لأحد فيه شيئًا إنه ولي ذلك والقادر عليه .

عارف بن مزيد بن حامد السحيمي

س: ترجم للشيخ محمد بن عبد الوهاب ترجمة موجزة تشتمل على ذكر سمه ونسبه وطلبه العلم ومصنفاته ووفاته؟

ج: هو شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي ابن أحمد آل مشرف التميمي، ولد ونشأ في العيينة سنة **١١١٥**هـ، وحفظ القران وعمره عشر سنوات وتلقى تعليمه على يد والده، ثم ذهب إلى مكة وتتلمذ على بعض مشايخه ثم رحل إلى المدينة النبوية واستفاد من الشيخ عبد اللَّه بن إبراهيم والد صاحب العذب الفائض ودرس على الشيخ محمد ابن حياة السندي، ثم رحل إلى البصرة ودرس عند الشيخ محمد المجموعي، وألف كتاب التوحيد وأوذي هو وشيخه بسببه، ومن مؤلفاته: (كشف الشبهات) و(الأصول الثلاثة) و(المسائل التي خالف فيها رسول اللَّه ﷺ أهل الجاهلية) و(مختصر السيرة) و(آداب المشي إلى الصلاة). وتوفي في عام **١٢٠٦** هـ عن عمر يناهز **٩١**سنة في الدرعية رحمه الله.

س: ما سبب تأليف الكتاب؟ وما موضوعه؟

ج: السبب في تأليفه: ما رآه المؤلف من شيوع الشرك باللَّه وضياع مفهوم التوحيد عند كثير من المسلمين، وما رآه عندهم من مظاهر الشرك الأكبر والأصغر والخفي. اهـ التمهيد

وموضوع الكتاب: بين فيه مؤلفه أصول دلائل التوحيد وبين فيه معناه وفصله كما بين فيه ما يضاده والخوف مما يضاده، وبين أيضًا أفراد توحيد العبادة، وأفراد توحيد الأسماء والصفات إجمالًا واعتنى ببيان الشرك الأكبر والأصغر وصورهما والذرائع المؤدية إليهما وبين ما يحمى به

التوحيد والوسائل إلى ذلك وبين أيضا شيئًا من أفراد توحيد الربوبية . اهـ من التمهيد .

س : عدد بعض شروح كتاب التوحيد مع ذكر مصنفيها ؟

ج : شروحه كثيرة منها :

- تيسير العزيز الحميد ، للشيخ سليمان بن عبد اللَّه بن محمد بن عبد الوهاب .
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .
- قرة عيون الموحدين ، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .
- إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد ، للشيخ حمد بن عتيق .
- القول السديد في مقاصد التوحيد ، للشيخ عبد الرحمن السعدي .
- حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم .
- الدر النضيد على أبواب التوحيد ، للشيخ سليمان بن عبدالرحمن الحمدان .
- التعليق المفيد على كتاب التوحيد ، للشيخ ابن باز .
- القول المفيد للشيخ ابن عثيمين .
- إعانة المستفيد للشيخ صالح الفوزان .
- الملخص في شرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان .
- الجديد في شرح كتاب التوحيد للشيخ القرعاوي .
- المفيد على كتاب التوحيد للشيخ عبداللَّه بن صالح القصير

- التمهيد للشيخ صالح آل الشيخ .

- إفادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حمد الجطيلي .

- الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة على كتاب التوحيد للشيخ عبداللَّه الجاراللَّه .

- السبك الفريد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبداللَّه بن جبرين .

انظر فيما مضى : دليل المكتبة العقدية للشايع ص **٣٠-٣٢.**

س : ما واجبنا نحو التوحيد؟

ج : واجبنا نحو التوحيد هو واجبنا نحو أوامر الله-تعالى- عمومًا .

وهذه الأمور ذكرها الشيخ محمد بن عبدالوهاب كما نقل عنه في الدرر السنية (**٢/ ٧٤**) وهي سبعة :

- تعلمه .
- محبته .
- العزم على فعله .
- العمل به .
- إيقاعه خالصًا صوابًا .
- الحذر من محبطاته وما ينقص كماله .
- الثبات عليه .

س : اشرح الأمور السبعة المتقدمة؟

ج : واجبنا نحو التوحيد سبعة أمور شرحها أ . د . عبد الرزاق بن

عبدالمحسن البدر في شريط له وإليك ملخصها :

الأمر الأول: أن نتعلمه . أيّ أمر أمرنا اللَّه به- وأعظم الأوامر هو توحيد اللَّه تعالى- أن نتعلمه وهذه هي البداية . فيبدأ بالعلم والتعلم قبل كل شيء كما قال اللَّه تعالى : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل . وقد كان نبينا -عليه الصلاة والسلام- كما في حديث أم سلمة في مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجة كان كل يوم يقول بعد صلاة الصبح : «**اللهم إني أسألك علمًا نافعًا ورزقًا طيبًا وعملًا متقبلًا**» . وهذه الدعوة هي دعوة واستعانة باللَّه وفيها تحديد لأهداف المسلم في يومه . وهناك منهج على طالب العلم أن يسلكه أثناء دراسته وتعلمه لمسائل العقيدة فيترقى وفق المستويات التالية :

المستوى الأول :

١- (الأصول الثلاثة) لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

٢- (القواعد الأربعة) للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٣- (الأُصول الستة) للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٤- (أصول الإيمان) للشيخ محمد بن عبد الوهاب أو للشيخ محمد بن عثيمين .

المستوى الثاني :

١- (كتاب التوحيد) لشيخ الإسلام : محمد بن عبد الوهاب ، مع حاشيته (القول السديد) للشيخ : عبد الرحمن السعدي .

٢- (٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة) للشيخ حافظ الحكمي .

٣- (كشف الشبهات) للشيخ: محمد بن عبد الوهّاب مع شرحه للشيخ: ابن عثيمين.

المستوى الثالث:

١- (العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام: أحمد ابن تيمية، مع شرحها للشيخ: صالح الفوزان، أو (شرحها) للشيخ: ابن عثيمين، أو (شرحها) للشيخ: محمد خليل هراس، أو (التنبيهات السنية) للشيخ: عبد العزيز بن رشيد وهو مهم، ثُمَّ (الكواشف الجلية عن معانِي الواسطية) للشيخ: عبد العزيز السلمان.

٢- (إعانة المستفيد بشرح كتاب التَّوحيد) للشيخ صالح الفوزان، أو (القول المفيد شرح كتاب التوحيد) للشيخ: محمد بن عثيمين، أو (فتح المجيد) للشيخ: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ أو (الجديد شرح كتاب التوحيد) للشيخ: عبد اللَّه القرعاوي.

٣- (مختصر كتاب الاعتصام للشاطبي) اختصره: علوي سقاف.

المستوى الرابع:

١- (العقيدة الطحاوية) للعلامة: أبي جعفر الطحاوي مع (شرحها) للشيخ: الألبانيّ، أو (شرحها) للشيخ الفوزان، ثُمَّ (شرح العقيدة الطحاوية) للشيخ على ابن أبي العز الدمشقي الحنفي (تحقيق: د. عبد اللَّه التركي، والأرناؤوط ط٣ فما بعدها).

٢- (تيسير العزيز الحميد) للشيخ: سليمان بن عبد اللَّه آل الشيخ.

٣- (الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع) للشيخ ابن عثيمين، و(علم أُصول البدع) لعلي الحلبي.

وللاستزادة والاستفادة:

١- مطالعة الكتب المختصة بمواضيع عقدية مثل: (التَّدمريّة) لشيخ الإسلام ابن تيميّة (تحقيق: د. محمد السعوي) مع شرحها (التوضيحات الأثرية للمحسي)، (التحفة المهديّة) للشيخ فالح بن مهدى (تحقيق: د. محمد السعوي)، (الفتوى الحمويّة الكبرى) لشيخ الإسلام ابن تيميّة (تحقيق: التويجري)، و(القواعد المثلى) للشيخ ابن عثيمين.

(التوسل أنواعه وأحكامه) للشيخ: الألبانيّ، (التوصل إلى حقيقة التوسل) للشيخ: محمد نسيب الرفاعي، (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة) لشيخ الإسلام: ابن تيمية. (تحقيق: الشيخ: ربيع المدخلي)، تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس) للعلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشَّيْخ، (الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق) للعلامة ابن سحمان.

٢-مطالعة الأجزاء الأُولى من (مجموع الفتاوى) لشيخ الإسلام ابن تيميّة ومن الكتب الَّتِي فِي المجموع: (كتاب الإيمان) لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية. (تحقيق: الشيخ الألبانيّ)

ومطالعة كتب شيخ الإسلام المطولة مثل: (كتاب الاستقامة) و(منهاج السنة النبوية)، (نقض المنطق)، و(بيان تلبيس الجهمية) طبع مجمع الملك فهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، (درء تعارض العقل والنقل).

٣-مطالعة كتب الإمام محمد ابن القيّم مثل: (شفاء العليل)، (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهميّة) تحقيق: د. عواد المعتق، (الصواعق المرسلة) لابن القيم، و(مختصر الصواعق) تحقيق: العلوي،

(الداء والدواء)، (بدائع الفوائد)، (الفوائد).

٤- مطالعة كتب السنة لأئمة السلف مثل: (أصول السنة) للإمام أحمد ابن حنبل، و(كتاب السنة) لعبداللَّه بن الإمام أَحْمَد، و(السنة للإمام الخلاّل)، و(شرح السنة) للإمام البربهاري، و(شرح أُصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) للإمام اللالكائي، و(كتاب الشريعة) للآجري (تحقيق: الدميجي)، و(الإبانة الكبرى) للإمام ابن بطة، و(الرد على الجهميّة) و(الرد على بشر المريسي) كلاهما للإمام عثمان الدارمي، و(الرد على من أنكر الحرف والصوت) للإمام أبي نصر السجزيّ، و(الحجة في بيان المحجة) للإمام قِوام السنة إسماعيل الأصبهاني، و(خلق أفعال العباد) للإمام البخاري، و(السنة) للإمام ابن أبي عاصم و(العلو للعليّ العظيم) للإمام الذهبِي مع اختصاره للشيخ الألبانِيّ.

٥-مطالعة الكتب الآتية: (مجموعة مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب)، (الدرر السنيّة في الفتاوى النجديّة)، و(مجموعة الرسائل والمسائل النجديّة)، و(فتاوى اللجنة الدائمة-قسم العقيدة)، و(مجموع فتاوى ومقالات متنوِّعة-قسم العقيدة) للشيخ عبد العزيز ابن باز، و(معارج القبول) للشيخ حافظ الحكمي (تحقيق: حلاق).

٦- (كتاب الاعتصام) للإمام أبي إسحاق إبراهيم الشاطبى. (تحقيق: مشهور)

(الإبداع في مضار الابتداع) للشيخ علي محفوظ (طبعة مكتبة الرشد)، و(السنن والمبتدعات) للشيخ مُحَمَّد الشقيرى، (البدع الحولية) للتويجري.

٧- (أصول الدين عند أبي حنيفة) للشيخ محمد الخميس، (منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة) للشيخ سعود الدعجان، (منهج الإمام الشَّافِعِيِّ في إثبات العقيدة) للشيخ محمد العقيل، (مسائل الإمام أحمد في العقيدة) للشيخ الأحمدي. انظر فيما مضى كتاب: بَرْنَامَجٌ عِلْمِيٌّ مُقْتَرَحٌ لِمَنْ سَمَتْ هِمَّتُهُ لِطَلَبِ العِلْمِ

الأمر الثانى: أن نحبه. أن نحب الذي أمرنا اللَّه به وأعظم الأوامر التوحيد فأوثق عرى الإيمان الحب في اللَّه، أن تحب اللَّه وتحب أنبيائه وتحب دينه وتحب ما أمرك ﷻ به ولا تجد في قلبك حرج لأن هذا خير لك ورفعة وسعادة لك في الدنيا والآخرة حتى ولو كان الأمر شاقًّا لأن النبى ﷺ قال: «**حفت الجنة بالمكارة**». مثال ذلك: موالاة أهل السنة وبغض أهل البدعة أمر شرعي فيجب علينا أن نطرح كل شيء وكل أمر يخالف أمر اللَّه ولا نجد فى أنفسنا وحشة مثلما قال اللَّه ﷻ عن الكفار -والعياذ بالله- أنه عندما ذكر التوحيد تشمئز قلوبهم: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [الزمر: ٤٥].

الأمر الثالث: أن نعزم في قلوبنا على فعله. والعزم هو الحركة في القلب لفعل هذا الشيء، وقد يكون الإنسان قبل دخوله فى التوحيد ضالًّا عنه ومنحرفًا وربما كان فى عبادات باطلة وأهواء منحرفة وعندما أحبّ هذا الأمر بسماعه لحديث عنه وبيان فضائله وتحرك قلبه عزما على فعله يأتيه فى قلبه خوف من التغير بسبب الحياة التى عاشها فهو يخشى أن يعزم فتتغير حياته فإذا علمت هذا الأمر وأحببته فاعزم على فعله ولا تتردد وتوكل على ﷻ.

الأمر الرابع: العمل. اعمل بالتوحيد أخلص في الدين للَّه أفرد اللَّه ﷻ بالعبادة أخصه -جل وعلا- بالطاعة لا تصرف شيئًا من العبادة لغيره وحده فى ربوبيته وفى أسمائه وصفاته وأعمل بالتوحيد وأقبل على أمور التوحيد وتفاصيله وإفراد العبادة وأعمل بها طاعة للَّه ﷻ مقبلًا عليها. ونلاحظ أن بعض الناس قد يحب قد يعلم ويعزم ثم لما يأت للعمل يتعلل ويقول ماذا يقول عنى فلان أو كذا فنجده يمتنع عن العمل بعد أن علم وأحب وعزم يخاف أن يطلع عليه من يعظمه من الناس لكن رب العالمين أحق بالتعظيم فالذى خلقك وأوجدك أحق أن تخشاه.

الأمر الخامس: أن نوقع العمل خالصًا صوابًا. خالصًا للَّه تعالى وصوابًا على منهج رسولنا الكريم ﷺ.

قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى هذه الآية: (أخلصه وأصوبه)، قيل: يا أبا علي وما أخلصه وما أصوبه؟ قال: (إن العمل لا يقبل حتى يكون خالصًا للَّه صوابًا على السنة).

وقد يأتى الإنسان بالمراتب الأربعة ثم لما يأتى للناحية العملية فيعمل بأمور خالصة بعيدة عن الشرك لكنها ليست على شرعه. مثال ذلك: إنسان يذكر اللَّه بأدعية محدثة وأذكار مبتدعة مخالفة للسنة إذا علمنا وأحببنا وعزمنا وعملنا نوقع العمل خالصًا صوابًا.

الأمر السادس: أن نحذر من محبطاته ومبطلاته ومن الأشياء التي تنقصه وتنقص كماله. ولهذا فالتوحيد له نواقض تفسده تماما وتجتثه من أصله، وله نواقض تنقص كماله الواجب فكل مسلم مطالب بمعرفة الشرك

حتى يحذر منه ويتجنبه . يقول القائل :

(عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لم يعرف الشر من الناس يقع فيه) .

ويقول حذيفة بن اليمان ﷺ كما في صحيح البخاري : (كان أصحاب رسول اللَّه ﷺ يسألون عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أدركه) . وكثير من الناس يقع فى بعض النواقض لتوحيده بسبب جهله .

الأمر السابع : الثبات على هذه الأمور والاستقامة عليها إلى الممات . قال تعالى : ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر : ٩٩]، أي : حتى يأتيك الموت فتثبت على هذا الأمر . واللَّه ﷻ لما ذكر آية التوحيد فى ذلك المثل العجيب فى سورة إبراهيم ذكر عقبه أمر الثبات . قال تعالى : ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم : ٢٤ - ٢٧] . فيثبت الإنسان ويستقيم على الأمر قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأحقاف : ١٣]، وكقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت : ٣٠] هذه الأمور السبعة هي في غاية الأهمية وهي ليست خاصة بالتوحيد بل هي تتعلق بكل أمر أمرنا اللَّه به وهذه الأمور هي أيضا واجبنا نحو النواهي .

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] **الآية.**

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ **الآيَة** [النحل: ٣٦].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ **الآيَة** [الإسراء: ٢٣].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ **الآيَة** [النساء: ٣٦].

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ **الآيَات** [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ **إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ لِي: «يَا مُعَاذُ، أَتَدرِي مَا حَقُّ اللَّه عَلَى العِبَادِ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّه؟» قُلْتُ:

اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «حَقُّ اللَّه عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّه أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» قُلْتُ: أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا». أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَين.

س: عادة المصنفين بدء مؤلفاتهم بالبسملة لأمور عدّد خمسة منها:

ج: كتابه بالبسملة في بدء التصنيف يكون لأمور منها:

١- الاقتداء بالكتاب العزيز فإن أوله هو البسملة؛ وقد نص على ذلك أكثر أهل العلم، ومنهم القرطبي -رحمه اللَّه تعالى- في تفسيره، فقد ذكر إجماع الصحابة على أن البسملة تكتب كأول آية في القرآن، هذا الذي استقر عليه اتفاقهم رضي الله عنهم. الجامع لأحكام القرآن ١/ ٦٧ وكذلك ذكره الحافظ ابن حجر -رحمه اللَّه تعالى- في فتح الباري ١/ ١٤.

٢- الاقتداء بالرسول ﷺ في مراسلاته ومكاتباته للملوك وغيرهم فإنه كان يبدؤها بالبسملة كما جاء في صحيح البخاري ح (٧) في كتاب بدء الوحي: «**بسم اللَّه الرحمن الرحيم من محمد عبد اللَّه ورسوله إلى هرقل عظيم الروم...**» ورواه مسلم أيضا في صحيحه ح (**١٧٧٣**).

وقد جاء عنه الأمر بالتسمية إلا أنه لا يثبت، فقد رواه الخطيب في «جامعه» من حديث مبشر بن إسماعيل عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا: «**كل أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فهو أقطع**».

وهو خبر منكر، أعله الحفاظ، والصحيح فيه الإرسال وبغير لفظ

البسملة وهو منكر أيضًا ، وهم فيه مبشِّر بن إسماعيل فرواه بلفظ البسملة وقد رواه جماعة كالوليد بن مسلم وبقيَّة وخارجة بن مصعب وشعيب بن إسحاق ومحمد بن كثير والمعافى بن عمران وعبد القدوس وغيرهم عن الأوزاعي بلفظ : «**كل أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ بالحمد لله . .** » ووهم من عزاه بلفظ البسملة للسنن كالزيلعي والعراقي والسيوطي وغيرهم ، وتساهل بعض المتأخرين فحسنه . انظر : إرواء الغليل للألباني ١/ **٢٩**.

٣- اتفاق اصطلاح أئمة الإسلام على البدء بالبسملة في كتب العلم ؛ قال الحافظ ابن حجر -رحمه اللَّه تعالى- : (وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة ، وكذا معظم كتب الرسائل) . فتح الباري **١/ ١٤**.

٤- التبرك بها فيحصل بالبدء بها البركة - إن شاء اللَّه تعالى - ، والاستعانة .

٥- مخالفة المشركين الذين يبتدؤن كتبهم بأسماء أعيادهم ، أو دينهم ، أو آلهتهم .

س : لماذا لم يذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ خطبة لكتابه يبين فيها طريقته ؟

ج : أجيب على ذلك بأجوبة منها :

١- أنه ترك الخطبة تأدبًا وتعظيمًا لموضوع التوحيد وقد بيَّنه اللَّه في القرآن فكان من الأدب ألا يَجْعَلَ فاصلًا بين الحق والدال على الحق وكلام الدال عليه فالحق هو التوحيد والذي دل عليه هو اللَّه والدليل هو كلامه وكلام رسوله -عليه الصلاة والسلام- كما فعل البخاري في صحيحه . اهـ من التمهيد .

٢- أنه ذكرها وسقطت من النساخ.

٣- أنه حمد في نفسه لفظا لا كتابة.

٤- أنه اكتفى بالترجمة لأنها عنوان على موضوع الكتاب.

س: ما معنى التوحيد لغة واصطلاحا؟

ج: **لغة**: مصدر وحّد يوحّد توحيدًا، أي: إذا أفرده وجعله واحدًا.

اصطلاحًا: إفراد اللَّه في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

س: عدد أنواع التوحيد إجمالًا؟

ج: ١- توحيد الربوبية ٢- توحيد الألوهية ٣-توحيد الأسماء والصفات

س: ما معنى توحيد الربوبية؟ واذكر أدلة إثباته ومن خالف فيه؟ وما الثمرات المترتبة على الإيمان به؟

ج: أشهر ما قيل في معناه أنه توحيد اللَّه في أفعاله.

وقيل: هو إفراد اللَّه بالخلق والملك والتدبير.

وأدلة إثباته على أنواع:

الأول: الأدلة النقلية:

وهي أقسام:

١-أدلة الخلق والإيجاد ومنها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

٢- النصوص التي فيها ذكر الربوبية ومنها قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٣- أدلة التدبير والرزق والإحياء والإماتة ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾.

٤- النصوص الدالة على عموم ملكه ومنها قوله: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾.

الثاني: دلالة الفطرة:

ومن أدلتها قول النبي ﷺ عن ربه ﷻ: «**خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين**» رواه مسلم.

الثالث: دلالة الأنفس:

أي: التفكر في النفس ومنها قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

الرابع: دلالة الآفاق:

وهي التفكر في مخلوقات الرب سبحانه كالسماء والأرض. قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ﴾.

والمخالفون فيه على قسمين:

١- من وقع في شرك التعطيل كفرعون حيث قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ولم يقع منه إلا ادعاءً.

قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ وكذا وقع فيه الشيوعيون القائلون بأن الخالق هو الطبيعة، وغلاة المتصوفة كابن سبعين والفارض وابن عربي.

٢- من وقع في شرك التشريك، وهو اعتقاد وجود شريك مع اللَّه في أفعاله حيث وقع فيه النصارى الذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ﴾ وكذا وقع فيه نفاة القدر القائلون بأن العبد يخلق فعله.

ومن ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية :

١ - الأنس باللَّه والطمأنينة به

٢- قطع الطمع عن المخلوقين والاستغناء عما في أيديهم

٣ - عدم الخوف من المخلوق

س : ما معنى توحيد الألوهية؟ ثم تحدث عن أهميته باختصار؟ ثم اذكر أدلة إثباته؟ ومن خالف فيه؟

ج : هو : إفراد اللَّه بالعبادة .

وقيل : إفراد اللَّه في أفعال العباد .

أهميته :

هو أهم أنواع التوحيد فهو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره وآخره أول دعوة الرسل وآخرها وهو معنى قول : «لا إله إلا الله» ولأجله خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار وهو أول واجب على المكلف وآخر واجب وأول ما يدخل به في الإسلام وأخرج ما يخرج به الدين .

وأفصح القرآن عنه كل الإفصاح وأبدأ فيه وأعاد وضرب لذلك الأمثال بحيث كل سورة في القرآن ففيها الدلالة على هذا التوحيد وهو الذي كفر اللَّه بمخالفته المشركين وأباح دماءهم وأموالهم ونساءهم وشرع الجهاد على مخالفيه وهو شرط لقبول الأعمال . اهـ ملخصًا من التيسير .

أدلة إثباته :

١- الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية ومنها قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ أي ما دام أنه الرب فهو المستحق

للعبادة وحده.

٢- إظهار عجز الآلهة التي عبدت من دون اللَّه ومنها قوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

٣- بيان ضلال وسفه المخالفين فيه ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾....

٤- بيان ما سيقع بين العابد والمعبود بغير حق من التبرؤ يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ ...﴾.

٥- بيان انفراد اللَّه بصفة العظمة كما في سورة الفاتحة وآية الكرسي وآخر سورة الحشر

٦- النصوص الآمرة بالتوحيد مباشرةومنها قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾.

٧- النصوص الموضحة للحكمة من إنزال الكتب وإرسال الرسل ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾.

٨- النصوص المشتملة على ثواب الموحدين وعقاب المخالفين للرسل.

المخالفون فيه: وهم كل من وقع في الشرك الأصغر أو الأكبر أو الخفي ومن أمثلة ذلك:

١- اليهود، فإنهم عبدوا العجل والدرهم والدينار.

٢- النصارى فإنهم عبدوا عيسى ابن مريم.

٣- كفار قريش وغيرهم الذين عبدوا الأصنام.

٤- الرافضة والنصيرية ألهوا عليًّا رضي الله عنه.

٥- الدروز ألهوا الحاكم بأمر اللَّه العبيدي.

٦ - غلاة المتصوفة صرفوا العبادة للأولياء.

- وخالف فيه من وقع في الرياء بنوعيه، ومن حلف بغير اللَّه ومن قال: (ما شاء اللَّه وشئت) ونحو ذلك.

س: ما معنى توحيد الأسماء والصفات؟ وما ضده؟

ج: هو: الإيمان بأسماء اللَّه وصفاته كما جاءت في الكتاب والسنة على ما يليق بجلال اللَّه وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. فالتحريف: تغيير معنى الصفة إلى معنى آخر لم يرده اللَّه تعالى ورسوله. والتعطيل: نفي الصفات كلها أو بعضها عن اللَّه عز وجل. والتكييف؛ الإخبار عن حال الشيء وكيفيته وصفات اللَّه لا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه. والتمثيل: إثبات مثل للشيء، كأن يقول: إن صفات اللَّه مثل صفات المخلوقين.

- وضده الإلحاد في أسماء اللَّه وصفاته وهو ثلاثة أنواع:

الأول: إلحاد المشركين الذين عدلوا بأسماء اللَّه تعالى عما هي عليه وسموا بها أوثانهم، فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنان.

الثاني: إلحاد المشبهة الذين يكيفون صفات اللَّه تعالى، ويشبهونها بصفات خلقه وهو مقابل لإلحاد المشركين، فأولئك سوّوا المخلوق برب

العالمين، وهؤلاء جعلوه بمنزلة الأجسام المخلوقة وشبهوه بها تعالى وتقدس.

الثالث: إلحاد النفاة المعطلة. وهم على ثلاثة أقسام:

أ- الفلاسفة المشّاؤون.

وهم ثلاثة أصناف:

- المكذبة النفاة، وعلى رأسهم ابن سينا: (يصفون اللَّه بالصفات السلبية على وجه التفصيل).

- المتجاهلة الواقفة: (لا يثبتون الصفات ولا ينفونها).

- المتجاهلة اللاإرادية، ويحكى هذا القول عن الحلاج، يقولون: (لا نقول عن اللَّه ليس بموجود ولا معدوم).

ب- أهل وحدة الوجود. ومنهم ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض والعفيف التلمساني. يقولون: (وجود الخالق هو وجود المخلوق).

ج- أهل الكلام وهؤلاء خمسة أصناف وهم:

- الجهمية: (ينكرون أسماء اللَّه وصفاته).

- المعتزلة: (يثبتون الأسماء وينكرون الصفات).

- الأشاعرة: (يثبتون الأسماء الحسنى)، و(يثبتون -سبع- صفات) وهي:

«السمع - البصر - الحياة - القدرة - الإرادة - العلم - الكلام».

- الماتريدية: (يثبتون ثمان صفات، وهي الصفات السبع عند الأشاعرة، وصفة التكوين).

- الكلابية، ويسمون الصفاتية: (يثبتون الصفات الذاتية فقط).

س: ما العلاقة بين أقسام التوحيد الثلاثة؟ وما منشأ التقسيم؟وكيف ترد على من قال: إن التقسيم حادث؟ وما فائدة التقسيم؟

ج: العلاقة بين أقسام التوحيد بيانها في الآتي:

١- توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية.

٢- توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية.

٣- توحيد الأسماء والصفات مستلزم للربوبية والألوهية لأن من تفرد بالاسم والصفة يلزم أن يكون منفردا بالربوبية والألو هي-ة.

٤- يتضمن توحيد الأسماء والصفات فلا يمكن أن يعبد إلا من له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

(مثال يوضح العلاقة بين الأقسام الثلاثة):

- دعاء المرء غير اللَّه وسؤاله ما لا يقدر عليه إلا اللَّه شرك في الإلهية.

- وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفع شر معتقدا أنه قادر على قضاء ذلك، شرك في الربوبية حيث اعتقد أنه متصرف مع اللَّه في ملكوته.

- ثم إنه لم يدعه هذا الدعاء من دون اللَّه إلا مع اعتقاده أنه يسمعه على البعد والقرب في أي وقت كان وفي أي مكان، وهو شرك في الأسماء والصفات حيث أثبت له سمعًا محيطًا بجميع المسموعات، لا يحجبه قرب ولا بعد، فاستلزم هذا الشرك في الإلهية الشرك في الربوبية والأسماء والصفات.

ومنشأ تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

هو: التتبع والاستقراء لنصوص الشريعة.

ومنها قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾.

فقد تضمنت هذه الآية أقسام التوحيد الثلاثة وكذا سورة الفاتحة.

الرد على من قال: (إنه حادث) من وجهين:

١- أن الأدلة من الكتاب والسنة تدل على صحته وهي كثيرة.

٢- أنه مذكور في كلام العلماء المتقدمين كابن منده وابن بطه وابن تيميه وابن القيم وغيرهم وقد ألَّف في ذلك الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر كتابه (القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد) فليراجع.

ويستفاد من هذا التقسيم:

١- حرز التوحيد وحفظه بزيادة إيضاح معنى التوحيد، وما هو المطلوب من العباد؟ وصحة الاعتقاد.

٢- معرفة مصدر الباطل، فالرسل جاؤوا لقوم موحدين يعرفون اللَّه ربهم لكنهم ما أكملوا للَّه حقه في الألوهية: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

٣- أن التقسيم دليل على وجوه استحقاق اللَّه لحقه، وهو العبادة، فالحق واحد، لكن وجوه الاستحقاق متعددة، فكلما كثرت وجوه الاستحقاق عظم الحق، فعرفنا أن من وجوه الاستحقاق هو الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

فاللَّه يستحق التوحيد لذاته ولربوبيته، ولكونه موضع العبادة.

وورد في الحديث أن النبي ﷺ سمع رجلًا يقرأ سورة الإخلاص، فقال: «**هذا رجل عرف ربه**». وقرأ سورة الكافرون فقال: «**هذا رجل**

آمن بربه» .

فدل الحديث على أن المعاني منقسمة .

(انظر في فوائد التقسم مذكرة توحيد الربوبية والألوهية للدكتور محمد أبو سيف) .

س : لم يبسط الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ القول في توحيدي الربوبية والأسماء والصفات وإنما بسط القول في توحيد الألوهية . بين سبب ذلك؟

ج : لمَّا رأى الجهل بتوحيد الألوهية كثيرًا في زمانه وكثرة وقوع الناس في الشرك حتى ممن يدعي العلم كانت الحاجة ماسّة إلى أن يؤكد المؤلف في كتابه على بيانه والتحذير من ضده .

س : من المعلوم أنّ التوحيد ، أول واجب على المكلف فاذكر جملة من النصوص المقرّرة لهذا الأمر؟

ج : **أولًا** : من أدلة القرآن ما يلي :

١- قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ . . .﴾ وهذا أول أمر تكليفي في المصحف .

٢- بين القرآن أن التوحيد أول ما دلت إليه الرسل جملة وتفصيلًا :

- فمن المجمل قوله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَۖ . . .﴾ ، وقال : ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ . . .﴾ ، وقال : ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ .

- ومن المفصَّل قوله تعالى : ﴿نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم

مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، وقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟. . .﴾، وقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ﴾، وقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ. . .﴾، وقال: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ. . .﴾.

قال تعالى في أهل الكتاب مقررًا ذلك: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

ثانيًا: من أدلة السنة النبوية:

١ - حديث ابن عباس في بعث معاذ إلى اليمن وفيه: «**ليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله**».

٢ - حديث: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللَّه. . .**».

٣- في كتب النبي ﷺ إلى كسرى والنجاشي ما كان فيهما إلا التوحيد والدعوة إلى عبادة اللَّه.

٤- والأحاديث المتواترة تدل على أن النبي ﷺ لم يزد في دعوة المشركين على التوحيد، وكان يقبل من الأعراب التوحيد، وهو قولهم: (لا إله إلا الله) ويعتبرهم مسلمين بهذا.

فدلت هذه الدلالة على أن التوحيد هو المقصود والمطلوب.

٥- وضوابط الشريعة أيضًا تدل على ذلك فالتوحيد شرط لقبول العمل.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ. . .﴾.

فشرط الشيء هو أول ما يطلب.

س : اذكر أقوال المخالفين في أول واجب على المكلف مع الرد على مقالاتهم الفاسدة باختصار؟

المتكلمة خالفوا في ذلك وزعموا أن المعرفة هي المطلوبة، وأنه ليس المراد من الخلق إلا معرفة ربهم ثم يكون الأمر والنهي.

١- فقالوا : أول واجب على المكلف هو المعرفة.

وهي عقيدة معتزلية تلقفها منهم الأشاعرة.

٢- واستدرك بعض المتكلمين فقالوا صحيح أن المعرفة أول واجب لكن لابد فيها من النظر والاستدلال فقالوا : أول واجب النظر والاستدلال الذي تحصل به المعرفة.

وهذا قاله ابن فورك.

٣- ثم قالوا : النظر هو الاستدلال الذي يحصل به العلم أو الظن.

٤- وقالوا أيضًا : النظر أجزاء يترتب بعضه على بعض. فقالوا : أول واجب هو أول جزء من النظر وهذا قاله الباقلاني

٥- ثم جاء غيره وقال : أول جزء في النظر هو القصد وهذا قاله الاسفراييني.

٦- جاء آخر فاستدرك فقال : القصد لا يكون إلا بالشك، فقال : أول واجب هو الشك.

فانتهى أمرهم إلى ذلك. وهذا كفر، فالشك كفر والشك يقصدون به السؤال والحيرة والتردد الذي يجعل الفطرة خالية من المعرفة حتى تصبح لا تدري هل هناك خلق أم لا؟.

من أوجه الرد عليهم :

١- هذا الكلام باطل وأول ما يدل على بطلانه الأدلة السابقة التي تقدم ذكرها ، فإن الرسل دعت إلى التوحيد ولم تدع إلى النظر .

٢- فيه مصادمة صريحة لما دل عليه الشرع في كون المعرفة فطرية قال تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا . . .﴾ وكذلك أخذ اللَّه الميثاق على العباد وقال رسول اللَّه ﷺ : «**كل مولود يولد على الفطرة**» . والخطاب بالأمر بالعبادة جاء لمن يعرف ربه . فقولهم في بادئ النظر مردود غير مقبول بهذه الأدلة الظاهرة . لكن المشكلة أنهم استدلوا بشرعيات في هذه الدعوى ، فاستدلوا بـ :

١- الآيات في سورة الأنعام التي فيها نظر إبراهيم للكواكب . قالوا : وهذا النظر أداة إلى المعرفة هكذا قالوا بأن النظر أول واجب .

٢- واستدلوا ببعض طرق حديث معاذ في بعثه إلى اليمن وفيه : «**فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم . . .**» قالوا أن المراد بالتوحيد هو المعرفة .

٣- الآيات والأحاديث التي فيها الأمر بالنظر . مثل قوله تعالى : ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ .

٤ - واستدلوا بقاعدة عامة ، وهي : أن التقليد لا يفيد العلم .

أما استدلالهم بآيات الأنعام فهو استدلال خاطئ فإبراهيم لم يكن ناظرًا بل كان مناظرًا قومه ، فاتبع هذا الأسلوب في الدعوة . والدليل على ذلك :

١ - أنه كان نبيًّا رسولًا ، ولا يمكن أن يكون نبيًّا ولا يعرف ربه .

٢ - أن الآيات بعد ذكر النظر . قال تعالى بعد ذلك : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ

ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ فنسب الحجة إليه ﷺ.

٣ - هذه المناظرة لها غاية، فهو يناظر من أجل العمل، لا من أجل المعرفة.

أما استدلاهم بحديث معاذ فالجواب عليه: أن لفظ الحديث يفسر بالألفاظ بعده، فمن حديث معاذ: «**أن يشهدوا أن لا إله إلا الله**»، وفي لفظ: «**شهادة أن لا إله إلا الله**». وفي لفظ: «**عبادة الله**». وفي لفظ: «**أن يوحدوا الله**» فدل مجموع ألفاظه أن معنى «**فإذا عرفوا الله**» أي: فإذا وحدوا اللَّه أو إذا عبدوا اللَّه.

أما الأدلة الأخرى فيرد عليهم:

١ - بأن النظر في ذاته مطلوب، فهو غير منكر بل اللَّه مدح المؤمنين بالنظر.

٢ - أن الآيات التي استدلوا بها هي آيات ورد الأمر فيها للمشركين فخاطبهم بالنظر لإقامة الحجة فإذا قامت الحجة بما يؤدي إليه النظر، وهو المعرفة فيكون التوحيد واجبًا عليهم.

أما استدلالهم بالقاعدة: التقليد لا يفيد العلم فيرد عليه بما يلي:

١ - هذه الدعوى لا تتأتى في تقليد النبي ﷺ لأن العلم المطلوب العمل به هو تقليده ﷺ، ولهذا شعار التوحيد لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه. فهذا هو التوحيد. فاستدلوا بقاعدة في غير موضع النزاع.

٢ - أن المعرفة فطرية فلا صورة للتقليد فيها فالنبي لا يقلد في المعرفة، وإنما يقلد في العمل.

٣ - ادعوا ذم التقليد، وهم أول داعٍ إليه، لماذا؟ لأنهم ادعوا أن من لم

يقلدهم في طرقهم فإنه لا يعرف. فطلبوا من الناس تقليدهم فهم يذمون تقليد النبي ﷺ ولا يذمون تقليد الناس لهم.

هذا القول (أول واجب دل على المكلف)

١- في الحقيقة الدليل الأول فيه عندهم هو الفعل ونحن نتكلم على أمر شرعي والعقل لا حظ له في التكليف، فالذي يعين أول واجب هو الشرع، والذي يحكم بالوجوب والحرمة هو الشرع.

٢- لو اشتغل العقل بمعرفة أول واجب يأتي السؤال هنا ما الحاجة إلى الرسل؟ فأصبح إرسال الرسل لا معنى له. قالوا: الرسل جاؤوا لتعريف الناس الفروع. فيلزم من ذلك:

أ- أن وجود الرسل وعدمه سواء. ويحيل دعوات الرسل إلى العبث.

ب- لا نكر أن العقل يرشد لكن ننكر أن يشتغل العقل في معرفة اللَّه ﷻ.

(انظر في ما مضى: مذكرة توحيد الربوبية والألوهية للدكتور محمد أبو سيف).

س: ما معنى الشرك؟

ج: الشرك في اللغة: النصيب.

وفي الشرع: اتخاذ شريك مع اللَّه في الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات.

س: اذكر تقسيمات الشرك بالتفصيل؟

ج: ينقسم إلى قسمين: (أكبر وأصغر)، وقيل إلى ثلاثة: (أكبر وأصغر وخفي).

١- الأكبر:

وهو تسوية غير اللَّه باللَّه فيما يختص به اللَّه.

وقيل: هو أن تجعل للَّه ندا وهو خلقك.

وهو ثلاثة أقسام:

أ- اعتقادي وهو اعتقاد وجود مستحق للعبادة غير اللَّه.

ب- قولي وهو صرف العبادة من الأقوال لغير اللَّه كالاستعاذة والاستغاثة.

ج- عملي وهو صرف العبادات العملية لغير اللَّه كالصلاة والصيام ونحوها.

٢- الأصغر:

وهو: ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر.

وقيل: ماحكم الشارع بأنه شرك، وليس فيه تنديد كامل يلحقه بالشرك الأكبر.

وينقسم إلى قسمين:

أ- ظاهر، وهو إما أن يكون في الأقوال كالحلف بغير اللَّه وقول: ما شاء اللَّه وشئت.

وإما أن يكون في الأفعال مثل لبس الحلقة والتمائم إذا كان يعتقد أنها سبب لرفع البلاء أو دفعه.

ب - خفي وهو يسير الرياء.

٣- الخفي عند من يرى القسمة الثلاثية وهو قسمان:

أ- الرياء الأصغر وهو: الذي يفعله المرء يريد به ما عند اللَّه وما عند المخلوق، وهذا شرك أصغر.

ب- الرياء الأكبر وهو رياء المنافقين الذي يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وهذا شرك أكبر.

والذي عليه المحققون أنّ الشرك الخفي يعمّ النوعين الأكبر والأصغر.

قال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الشرك الخفي فإنه يعمُّهما فيقع في الأكبر كشرك المنافقين الذين يخفون عقائدهم الباطلة، ويتظاهرون بالإسلام رياء وخوفًا على أنفسهم، ويكون في الشرك الأصغر كالرياء» اهـ. (انظر كتاب: الدروس المهمة لعامة الأمة).

س: ما الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر؟

ج: من أبرز الفروق بينهما ما يلي:

١- أن صاحب الشرك الأكبر لا يغفر له ويخلد في النار، أما الشرك الأصغر فقد اختلف فيه أهل السنة على قولين:

أ- أن صاحبه يعامل معاملة صاحب الكبيرة، أي تحت المشيئة، وهو قول الجمهور.

ب- أنه لابد أن يعذب لكنه لا يخلد في النار، والصواب الأول

٢- صاحب الشرك الأكبر حلال الدم والمال خلافا لصاحب الشرك الأصغر.

٣- الشرك الأكبر يوجب العداوة الخاصة لصاحبه، وأما صاحب

الشرك الأصغر فإنه يوالى على توحيده ويبغض على معصيته .

س : ما إعراب قول في جملة : «كتاب التوحيد ، وقول اللَّه تعالى» ؟

ج : فيها وجهان :

١- الرفع على أنه مبتدأ والواو استئنافية .

٢- الجر على أنه معطوف على المضاف إليه وهو لفظ «التوحيد» .

قال اللَّه تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

س : ما مناسبة الآية للباب ؟

ج : هذه الآية تدل على وجوب التوحيد ، إذ أن الإنس والجن ما خلقوا إلا لعبادة اللَّه .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾

س : ما مناسبة الآية للباب ؟

ج : دلت الآية على الأمر بالتوحيد وترك الشرك والأمر يقتضي الوجوب .

قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ .

س : ما مناسبة الآية للباب ؟

ج : أن التوحيد هو آكد الحقوق وأوجب الواجبات ، ولأن اللَّه بدأ به في الآية ولا يبتدأ إلا بالأهم فالأهم .

قال تعالى : ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾

س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: في هذه الآية يأمر اللَّه تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، فهي دليل على أن التوحيد هو أول واجب على المكلف.

قال تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾

س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: أن اللَّه تعالى ابتدأ هذه الآيات المحكمات بتحريم الشرك والنهي عنه، فدل أن التوحيد أوجب الواجبات، وأن الشرك أعظم المحرمات.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ...﴾ **إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

س: ما مناسبة الأثر للباب؟

ج: أن ابن مسعود رضي الله عنه يرى أن هذه الآيات اشتملت على الدين كله، فكأنها الوصية التي ختم عليها رسول اللَّه ﷺ وأبقاها لأمته، وبدأها بتحريم الشرك الدال على الأمر بضده وهو التوحيد.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ لِي: «يَا مُعَاذُ، أَتَدرِي مَا حَقُّ اللَّه عَلَى العِبَادِ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّه؟» قُلْتُ: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «حَقُّ اللَّه عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّه أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» قُلْتُ:

أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا».

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: دل الحديث على أنّ حق العباد على اللَّه، أن يوحدوه بالعبادة ويفردوه، ويتجردوا من الشرك صغيره وكبيره، ومن لم يتجرد من الشرك لم يكن آتيا بعبادة اللَّه وحده، بل هو مشرك قد جعل للَّه ندًّا في عبادته.

* * *

بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ الآيَة. [الأنعام: ٨٢].

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّه الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» أخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدَرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ قَالَ: «قَالَ مُوسَى عليه السلام: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، قَالَ: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُون هَذَا. قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ - غَيْرِي- وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه فِي كِفَّةٍ؛ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا الله» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ.

وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَحَسَّنَهُ عَنْ أَنَسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّه تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».

س: عقد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب لأمور اذكر أربعة منها؟

ج: منها ما يلي:

أ- بيان ما تدل عليه كلمة التوحيد من علو المكانة والأثر في الدنيا والآخرة.

ب- معرفة منزلة أهل التوحيد مما يجعل قلوب الموحدين تزداد طمأنينة وشوقًا إلى ثواب اللَّه عَزَّ وَجَلَّ والذي لن يتحقق إلا لأهل التوحيد.

ت- الرد على الوعيدية المكفرين لأصحاب الكبائر.

ث- تحذير صاحب الكبيرة فإنه قد لا يندرج تحت الرحمة والمغفرة ابتداءً.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾

س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: بين اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أن من لم يلبس إيمانه وتوحيده بالشرك كان من أهل الأمن والاهتداء، وكلما نقص التوحيد نقص من الأمن والهداية بمقدار نقصه، وهذا دليل على فضل التوحيد وتكفيره للذنوب.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّه الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ».

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: أن فيه بيانًا لفضل التوحيد، وأنه سبب لدخول الجنة وتكفير الذنوب.

ورد في الحديث السابق: «أَدْخَلَهُ اللَّه الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ».

س: هذه الجملة له معنيان عند أهل العلم اذكرهما؟

ج:

- قيل: بمعنى على ما كان من العمل الصالح وإن قل.
- وقيل: على ما كان من العمل السيئ وإن كثر.

بشرط ألا يكون فيه شرك فهو إما أن تتداركه رحمة اللَّه فيدخل الجنة مباشرة بدون عذاب، وإما أن يعذب على قدر معصيته ويكون مآله على الجنة.

ورد في حديث عتبان: «فإنه حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله».

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: أن فيه بيانًا لفضل التوحيد، وأنه سبب لتحريم دخول النار ابتداءً أو مآلًا.

س: ما الفهم الصحيح لحديث عتبان رضي الله عنه؟

ج: الفهم الصحيح للحديث أنه لا يلزم أن كل من قالها يدخل الجنة لأنه قد يكون مخلًّا بشروطها أو ببعضها، أو يكون عنده من المعاصي ما يشاء اللَّه تعذيبه عليها ثم يكون مآله إلى الجنة، بل المراد: أن من قالها خالصة مستوفية لشروطها دخل الجنة مباشرة وحرم على النار، ومن لم

يسلم من المعاصي فإن أراد اللَّه تعذيبه فعلى قدر معصيته ويكون تحريمه على النار تحريمًا مقيدًا ؛ أي : بعد أخذ جزائه على المعصية ، وإن شاء اللَّه عدم تعذيبه فيكون تحريمه على النار تحريمًا مطلقًا .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدَرِيِّ ﷺ ، عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ قَالَ : «قَالَ مُوسَى ﷺ : يَا رَبِّ ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ ، قَالَ : قُلْ يَا مُوسَى : لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، قَالَ : يَا رَبِّ ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُون هَذَا . قَالَ : يَا مُوسَى ، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ - غَيْرِي- وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه فِي كِفَّةٍ ؛ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا الله» .

س : ما مناسبة الحديث للباب ؟

ج : أن فيه بيان فضل كلمة التوحيد وأنه لا شيء يعادلها في الفضل .

عَنْ أَنَسٍ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : «قَالَ اللَّه تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا ، لأَتَيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» .

س : ما مناسبة الحديث للباب ؟

ج : أن فيه بيان عظمة فضل التوحيد حيث أن من أتى بذنوب عظيمة ولو كانت كقراب الأرض أي قدر الأرض ولكنه كامل التوحيد ، لآتاه اللَّه بمقدار تلك الخطايا مغفرة .

س : عدد شروط (لا إله إلا الله) مع ذكر أدلة كل شرط ومن خالف فيه باختصار ؟

لا بد في شهادة أن لا إله إلا اللَّه من ثمانية شروط ، لا تنفع قائلها

إلا باجتماعها، وهي:

١- العلم المنافي للجهل، والدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

أي: بـ لا إله إلا اللَّه - وهم يعلمون - بقلوبهم.

وقال النبي ﷺ: «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا اللَّه دخل الجنة**». رواه مسلم من حديث عثمان رضي الله عنه.

وخالف هذا الشرط المرجئة الذين قالوا: الإيمان معرفة القلب وخالفت المعطلة.

٢- اليقين المنافي للشك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾.

وقال ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأني رسول اللَّه، لا يلقى اللَّه بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**». رواه مسلم.

وقال ﷺ لأبي هريرة: «**من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا اللَّه مستيقنًا بها قلبه بشره بالجنة**». رواه مسلم

وخالف هذا الشرط من شكّ في وجود اللَّه تعالى، واستحقاقه وحده للعبادة.

٣- الانقياد لها المنافي للترك، قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾. وخالف هذا الشرط من ترك العمل المشروع كالمرجئة، ومن فعل المحذور ومن ارتد عياذًا باللَّه.

٤- القبول المنافي للرد، قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟

يَعۡبُدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾. وخالف هذا الشرط من ردّ ما دلت عليه كلمة التوحيد إما جحودًا أو استكبارًا بعد فهمه لمعنى لا إله إلا اللَّه كحال كفار قريش، ومثله كفر الجحود والعناد، ومنه عدم تحكيم الشريعة، ومنه ردّ أخبار الآحاد، ومنه التعصب للمذاهب المخالفة.

٥- الإخلاص المنافي للشرك، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾.

وقال النبي ﷺ: «**إن اللَّه حرم على النار من قال لا إله إلا اللَّه يبتغي بذلك وجه الله**». رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا اللَّه خالصًا من قلبه**». رواه البخاري.

وخالف هذا الشرط عباد القبور وعامة المشركين.

٦- الصدق المنافي للكذب، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾.

وقال النبي ﷺ: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه من قلبه إلا حرم اللَّه عليه النار**». رواه البخاري. وخالف هذا الشرط أهل النفاق والمرجئة الذين حصروا الإيمان في تصديق القلب فقط ولم يعتبروا شرط الانقياد بحقوق هذه الكلمة.

٧- المحبة لها ولأهلها، والمعاداة لأجلها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾. وخالف هذا الشرط الجهمية

الذين قالوا : إنّ اللَّه لا يُحِب ولا يُحبّ ، وخالفت الصوفية الذين مرتبة العشق المحدثة في المحبة ، وخالف من والى أعداء الشريعة ، ومنه صنيع بعض الحركات الإسلامية التجميعية ، وخالف من أبغض الشريعة وعدّ التمسك بها رجعية وتخلفًا .

٨- الكفر بالطاغوت قال اللَّه تعالى : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ . وخالف هذا الشرط من تعلق بالكهان والسحرة ، ومن حكم بغير ما أنزل اللَّه ، ومن وقع في الشرك ومن توقف في ردّ عقائد المشركين أو صحح مذاهبهم والعياذ باللَّه .

وجمعت في هذين البيتين :

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها
وزيد ثامنها الكفران منك بما سوى الإله من الأشياء قد ألها

س : ذكر الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة من فضائل التوحيد في كتابه : (القول السديد) فاذكرها إجمالًا ؟

١- أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما .

٢- أنه يمنع الخلود في النار . إذا كان في القلب منه أذى مثقال حبة خردل .

٣- أنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية .

٤- أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة .

٥- أنه السبب الوحيد لنيل رضا اللَّه وثوابه .

٦- أن أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال : لا إله إلا اللَّه خالصًا

من قلبه .

٧- أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص للَّه كملت هذه الأمور وتمت .

٨- أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصبيات، فالمخلص للَّه في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه .

٩- أن التوحيد إذا كمل في القلب حب اللَّه لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين .

١٠- أنه يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الآلام . فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان، وتلقيه المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار اللَّه المؤلمة .

١١- أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي، ويكون مع ذلك متألها متعبدا لله، لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه .

١٢- أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققًا كاملًا بالإخلاص التام فإنه يصير القليل من عمله كثيرا، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد وذلك لكمال إخلاص قائلها، وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ ؛ لأنه

لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبد.

١٣- أن اللَّه تكفل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال.

١٤- أن اللَّه يدافع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره.

* * *

بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

وَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

وَعَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ البَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ وَلَكِنِّي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: ارْتَقَيْتُ.

قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِك؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ.

قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُم؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ.

قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ.

وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ». ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ.

فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِك، فَقَالَ بَعْضُهُم: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّه ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُم: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ فَلَمْ

يُشْرِكُوا بِاللَّه شَيْئًا، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ.

فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللَّه أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ». ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّه أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

س: تحقيق التوحيد على نوعين، اذكرهما؟

ج:

النوع الأول: الواجب وهو: تخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي، وهذا مقام أصحاب اليمين، وهم الذين فعلوا الواجبات وتركوا المحرمات.

النوع الثاني: المندوب وهو: تحقيق المقربين، الذين أضافوا إلى ما تقدم فعل المستحبات وترك المكروهات وبعض المباحات وهذا مقام السابقين المقربين.

س: اذكر ثمانية أوصاف لمحقق التوحيد على ضوء نصوص الباب؟

ج:

١- أن يكون قدوة للناس في الخير.

٢- دوام الطاعة.

٣- الميل عن الشرك والمعاصي إلى التوحيد والطاعة.

٤- الابتعاد عن أهل الشرك.

٥- أنهم لا يسترقون.

٦- أنهم لا يتطيرون.

٧- أنهم لا يكتوون.

٨- أنهم على ربهم يتوكلون.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

س: ما الدلالة في الآية على أن إبراهيم كان محققًا للتوحيد؟

ج: أن اللَّه وصفه بصفات عظيمة تستلزم تحقيق التوحيد، فقوله: ﴿أُمَّةً﴾، هو الإمام الذي جمع صفات الكمال البشري وصار مقتدى به في ذلك، وهو معنى تحقيق التوحيد، وقوله: ﴿قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾: أي دائمًا في طاعة اللَّه مائلا عن طريق أهل الشرك والمعاصي وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: أي مبتعدا ومباعدا عنهم وعن طريقتهم، فكان بذلك محققا للتوحيد.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾.

س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: من جهة أن اللَّه تعالى وصف المؤمنين السابقين إلى الجنات بصفات، أعظمها: الثناء عليهم بأنهم بربهم لا يشركون، أي شيئًا من الشرك في وقت من الأوقات، فإن الإيمان النافع مطلقًا لا يوجد إلا بترك الشرك مطلقًا، ولما كان المؤمن قد يعرض له ما يقدح له في إيمانه من شرك جلي أو خفي، نفى عنهم ذلك، ومن كان كذلك فقد بلغ من تحقيق

التوحيد النهاية، وفاز بأعظم التجارة، ودخل الجنة بلا حساب ولا عذاب.

س: ما مناسبة حديث حصين بن عبد الرحمن للباب؟

ج: أن فيه شيئًا من بيان أوصاف محققي التوحيد وهي أنهم «**لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**» وفيه ثواب هذه الأعمال عند اللَّه.

س: اشرح الصفات المذكورة في حديث حصين بن عبدالرحمن: (هم الذين لايسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)؟

ج: قوله: «**لايسترقون**» أي لا يطلبون من يرقي عليهم لقوة اعتمادهم على اللَّه.

وقوله: «**لا يكتوون**» هي الكي بالنار ولا يفعلونه لأن فعله يدل على أنه يتعلق به وقد نهى عنه النبي ﷺ للتنزيه.

وقوله: «**لايتطيرون**» الطيرة: التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم، وسميت الطيرة بذلك لأن الغالب في التشاؤم كان بالطيور.

وقوله: «**وعلى ربهم يتوكلون**» هذا الوصف يتضمن الصفات السابقة والتوكل: صدق الالتجاء إليه والاعتماد بالقلب عليه.

س: هل تحقيق التوحيد يستلزم عدم مباشرة الأسباب وضح ذلك؟

ج: لا يعني عدم مباشرة الأسباب لأن مباشرتها أمر فطري ضروري لا انفكاك لأحد عنه، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب، والنبي ﷺ قد تداوى وأرشد الناس إلى التداوي فقال: «**تداووا عباد اللَّه فان اللَّه**

ما وضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد وهو الهرم» رواه أحمد .

بل قال ابن القيم : (لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب المشروعة، وتعطيلها يقدح في نفس التوكل) اهـ.

فالمراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها توكلا على اللَّه كالاسترقاء والاكتواء لا لكونها سببا ولكن لكونها سببا مكروها . أهـ بتصرف من التيسير

* * *

بَابُ الخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ

وَقَوْلِ اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ الْخَلِيلُ عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وَفِي الْحَدِيثِ قَالَ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيكُمُ: الشِّرْكُ الأَصْغَرُ» فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ: «الرِّيَاءُ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُو يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ».

س: ما مناسبة الباب لكتاب التوحيد؟

ج: لما كان الشرك أعظم ذنب عُصي اللَّه به، ولهذا رتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتُبه على ذنب سواه من إباحة دماء أهله وأموالهم، وسبي نسائهم وأولادهم، وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة منه، نبّه المصنف في هذه الترجمة على أنه ينبغي للمؤمن أن يخاف منه ويحذره، ويعرف أسبابه ومبادئه وأنواعه لئلا يقع فيه، وليسأل ربه المعافاة منه كما هو مسلك الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾.

س : ما مناسبة الآية للباب؟

ج : أنها تدل على أن الشرك أعظم من الذنوب لأن من مات عليه لا يغفر له وهذا يوجب للعبد شدة الخوف من هذا الذنب الذي هذا شأنه .

س : اذكر أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ ؟

ج : اختلف العلماء في تفسير هذه الآية هل المراد الشرك الأصغر والأكبر أم الأكبر فقط على قولين :

١ - أنها تعم الشرك الأصغر والأكبر لأن المصدر المؤول من «أن» وما بعدها نكرة في سياق النفي فيعم كل شرك وهو اختيار ابن تيمية وابن القيم وعلماء الدعوة ، وإن صاحب الشرك الأصغر إن مات عليه لابد أن يعذب لكن لا يخلد في النار . اهـ . التمهيد .

٢ -أنها خاصة بالشرك الأكبر أما صاحب الشرك الأصغر فهو تحت المشيئة لأن الأدلة التي ذكرت الشرك إنما يراد بها في الغالب الشرك الأكبر . وهو قول الجمهور .

واحتجوا بحديث عبادة بن الصامت قال : قال لنا رسول اللَّه ﷺ ونحن في مجلس : «**تبايعوني على أن لا تشركوا باللَّه شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفي منكم فأجره على اللَّه ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره اللَّه فأمره إلى اللَّه إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه فبايعناه على ذلك**» رواه البخاري ومسلم .

وجه الدلالة: أن من أشرك باللَّه فعوقب على شركه لم تكن تلك العقوبة كفارة له لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فصاحب الشرك لايدخل تحت المشيئة، فعلم أن الحديث يدخل فيه صاحب الشرك الأصغر فيكون تحت المشيئة.

س: لم ساق الشيخ الآية: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ في هذا الباب؟ ثم اذكر فائدتين مستفادة منها؟

ج: ساقها في هذا الباب لأن فيها أن إبراهيم الخليل خاف على نفسه من الشرك مع أنه إمام الحنفاء والموحدين بعد نبينا ﷺ فهذا يوجب الخوف الشديد من الشرك، حتى قال إبراهيم التيمي: من يأمن من البلاء بعد إبراهيم.

ويستفاد من الآية:

١- أهمية الخوف من الشرك بجميع أنواعه.

٢- أهمية الاستعاذة باللَّه من الشرك وعدم الاغترار بالنفس.

في الحديث قال النبي ﷺ: «**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيكُمُ: الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**» فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ: «**الرِّيَاءُ**».

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: أفاد الحديث أن الرياء من الشرك الأصغر وأنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين فإذا كان الشرك الأصغر مُخافًا على أصحاب رسول اللَّه ﷺ، مع كمال علمهم وقوة إيمانهم، فكيف لا يخافه - وما فوقه - مَنْ هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : «مَنْ مَاتَ وَهُو يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ» .

س : ما مناسبة الحديث للباب؟

ج : في هذا الحديث التحذير من الشرك والتخويف منه ، فمن جعل للَّه ندًّا في العبادة يدعوه ويسأله ويستغيث به ، نبيا كان أو غيره دخل النار ، والند : المثل والشبيه واتخاذ الند على قسمين : أن يجعل للَّه شريكًا في أنواع العبادة أو بعضها ، فهذا شرك أكبر ، والثاني : ما كان من نوع الشرك الأصغر كقول الرجل : ما شاء اللَّه وشئت ، ولولا اللَّه وأنت وكيسير الرياء .

عَنْ جَابِرٍ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» .

س : ما مناسبة الحديث للباب؟

ج : في الحديث يبين ﷺ أن من مات لم يتخذ مع اللَّه شريكًا في الإلهية ، ولا في الخلق ، ولا في العبادة دخل الجنة ، ففيه فضيلة السلامة من الشرك ، وفيه التغليظ في النهي عن الشرك مما يوجب شدة الخوف منه .

س : هل دخول النار في حديث جابر ﷺ المتقدم أبدي؟

ج : من وقع في الأكبر ومات عليه فدخوله إلى النار أبدي ، وإن وقع في الأصغر ومات عليه فهو متوعد بالعذاب لكن دخوله النار ليس أبديًا .

س : عدد بعض آثار الشرك الأكبر على الفرد والمجتمع؟

ج :

أولًا : بعض آثار الشرك الأكبر على الفرد :

١- أنه محبط للأعمال مبطل لثوابها .

٢- أنّ صاحبه مخلد في النار .

٣- أنّ صاحبه لا تناله الشفاعة في إسقاط العذاب عنه .

٤- أنّه موجب لأحكام الردة إذا كان من مسلم .

ثانيًا : بعض آثار الشرك الأكبر على المجتمع المسلم :

١- انعدام الأمن وحلول المخاوف بالمجتمعات التي يقع فيها الشرك .

٢- تسلط الكفار على المسلمين وضياع العزّ والتمكين عنهم .

٣- حلول المصائب والنقم .

انظر هذه الآثار بتفصيلها رسالة : (شروط شهادة أن لا إله إلا اللَّه تأصيلًا ودراسة د . محمد عبداللَّه مختارمحمد)، وهي رسالة دكتوراه في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية ، لم تطبع بعد .

س : ما أسباب الوقوع في الشرك ؟

ج :

١- الجهل بالدين وتغرير علماء السوء بالجهلة .

٢- الغلو في الصالحين .

٣- التشبه بالكفار .

٤- تعظيم الآثار .

* * *

بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ الآيَة [يوسف: ١٠٨].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلِيَكُنْ أَوَلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه».

وَفِي رِوَايَةٍ: «إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِك فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّه افتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِك فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّه افتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَموَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّه حِجَابٌ» أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّه عَلَى يَدَيْهِ» فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيلَتَهُمْ، أَيُّهُم يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ كُلُّهُمْ يَرجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَينَ عَليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقِيلَ: هُو يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّه تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّه بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ

مِن حُمْرِ النَّعَمِ » .

س : ما مناسبة الباب لكتاب التوحيد؟

أنه لما ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأبواب السابقة وجوب التوحيد وفضله، والحث عليه وعلى تكميله، والتحقيق به ظاهرًا وباطنًا، والخوف من ضده، وبذلك يُكمِّل العبد نفسه، ذكر في هذا الباب، تكميله لغيره بالدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا اللَّه، فإنه لا يتم التوحيد حتى يكمل العبد جميع مراتبه، ثم يسعى في تكميل غيره - وهذا طريق جميع الأنبياء - فإنهم أول ما يدعون إليه قومهم عبادة اللَّه وحده لا شريك له .

قال اللَّه تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

س : ما مناسبة الآية للباب؟

ج : أن اللَّه ذكر فيها طريقة الرسول ﷺ وأتباعه وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا اللَّه على علم بما يدعون إليها .

س : في قول اللَّه تعالى ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ ... فائدتان اذكرهما؟

ج :

١ - أن الدعوة إلى اللَّه دعوة إلى توحيده دينه .

٢- التنبيه على الإخلاص . أهـ من التمهيد

س : ما المقصود بالبصيرة في قوله «على بصيرة» ؟

ج : البصيرة تشمل أمرين :

١- العلم بما يدعو إليه .

٢- المعرفة بحال المدعو .

س : ما موطن الشاهد من حديث معاذ ، ومناسبة إيراده في الباب ؟

ج : الشاهد أن النبي ﷺ أمر معاذًا أن يكون أول ما يدعو إليه هو : شهادة أن لا إله إلا اللَّه .

ومناسبة إيراده في الباب هو ذكر أن التوحيد هو أول ما يدعى إليه وهو شهادة أن لا إله إلا اللَّه .

س : اذكر بعض الفوائد المستخرجة من حديث بعث معاذ : «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب ...» ؟

ج :

١- فيه الاحتجاج بالآحاد .

٢- أنه ينبغي أن يكون على معرفة بحال من يدعوهم .

٣- أول واجب على المكلف وهو التوحيد .

٤- أول ما يبدأ به في الدعوة هو التوحيد .

٥- مبدأ التدرج في الدعوة .

٦- أن الصلاة أعظم الواجبات .

٧- أنه لا يحكم بإسلام الكافر إلا بعد النطق بالشهادتين .

٨- أن الوتر ليس بواجب حيث لم يجعله صلاة سادسة .

٩- أن الإنسان قد يكون عالما ولا يعرف معنى لا إله إلا اللَّه أو يعرفه ولا يعمل به .

١٠- أن الزكاة أوجب الأركان بعد الصلاة .

١١- أن الإمام هو الذي يتولى أخذ الزكاة وصرفها .

١٢- أن العدل واجب مع كل أحد مسلمًا كان أو كافرًا .

س : ما موطن الشاهد من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ، ومناسبة إيراده في الباب ؟

ج : الشاهد في قوله : «**ثم ادعهم إلى الإسلام**» و مناسبة إيراده في الباب أنّ هذا الحديث العظيم أمر فيه النبي ﷺ عليًّا رضي الله عنه قبل أن يفتح خيبر أن يدعو أهلها إلى الإسلام ، وأصل الإسلام ، هو التوحيد ، وهكذا ينبغي لأهل الإسلام أن يكون قصدهم بجهادهم هداية الخلق إلى الإسلام والدخول فيه وفيه بيان فضل الدعوة الشهادتين .

* * *

بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ الآيَة [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

وَقَوْلِهِ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآيَة [التوبة: ٣١].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دَونِ اللَّه؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّه ﷻ».

وَشَرْحُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ مَا بَعْدَهَا مِنَ الأَبْوَابِ.

س: ما مناسبة الباب لكتاب التوحيد؟

ج: فيه أنّ التوحيد يستلزم البراءة من عبادة كل ما سوى اللَّه تعالى، والإقبال بالقلب والعبادة على اللَّه، وذلك هو معنى الكفر بالطاغوت والإيمان باللَّه.

س: بم فسر المتكلمون «لا إله إلا الله» وما الذي ترتب على تفسيرهم؟

ج: فسروها بأمور:

١- أنه لا قادر على الاختراع إلا اللَّه.

٢- لا خالق إلا اللَّه.

٣- لا موجود إلا اللَّه.

وهذا توحيد الربوبية.

وترتب عليه فتح باب الشرك على المسلمين حيث ظنوا أن التوحيد هو: إفراد اللَّه بالربوبية، فمن آمن به صار موحدا وهذا من أبطل الباطل؛ لأن مشركي قريش كانوا مقرين به ومع ذلك حكم اللَّه بكفرهم.

قال اللَّه تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾.

س: س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: دلت الآية على أن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا اللَّه هو ترك ما عليه المشركون من دعاء الأنبياء والصالحين والاستشفاع بهم إلى اللَّه، وأنه لا يكفي النطق بالشهادة ما لم يكفر بكل معبود سوى اللَّه.

س: ما معنى الوسيلة في قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾؟

ج: هي القصد والحاجة والتقرب بالأعمال الصالحة.

س: ما وجه الاستدلال من الآية ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾؟

ج: تقديم الجار والمجرور - وحقه التأخير - يفيد الحصر والقصر، فقد حصروا وقصروا التوجه في اللَّه ﷻ. أ هـ التمهيد

س: لم ذكر اللَّه في الآية ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ **لفظ الربوبية دون الألوهية؟**

ج: لأن إجابة الدعاء والإثابة من مفردات الربوبية لأن ربوبية اللَّه على خلقه تقضى أن يجيب دعاءهم ويعطيهم سؤلهم. أ هـ التمهيد.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: دلت الآية على أن توحيد الشخص لا يصح إلا إذا تبرأ من عبادة ما سوى اللَّه.

قال الله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: دلت الآية على أن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا اللَّه إفراد اللَّه بالطاعة في تحليل ما أحل وتحريم ما حرم، وأن من اتخذ شخصًا من دون اللَّه يحلل ما أحل ويحرم ما حرم فهو مشرك.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾.

س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: دلت الآية على أن معنى التوحيد شهادة أن لا إله إلا اللَّه هو:

صرف عبادة المحبة للَّه الذي يستلزم إخلاص العبادة جميعها لله .

س : بم فسر السلف قول اللَّه تعالى : ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ ؟

ج : فيها قولان للسلف :

١ - أن المشركين يحبون أندادهم كحبهم لله .

٢ - أنهم يحبون أندادهم كحب المؤمنين لربهم سبحانه . والأول أرجح . التمهيد .

فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دَونِ اللَّه ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّه ﷻ» .

س : ما مناسبة الحديث للباب؟

ج : عَلَّقَ ﷺ عصمة المال والدم في هذا الحديث بأمرين :

الأول : قول : (لا إله إلا الله) عن علم ويقين ، كما قد قيد ذلك في قولها في غير ما حديث ، فإن من قالها في زمن النبي ﷺ قبل وجود النفاق لا يقولها إلا عن صدق وعمل بها ، وعلم بما دلت عليه من النفي والإثبات .

والثاني : الكفر بما يعبد من دون اللَّه ، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى بل لا بد من قولها ، والعمل بها والبراءة مما ينافيها .

في الصحيح : «**من قال لا إله إلا اللَّه وكفر بما يعبد من دون اللَّه عصم ماله ودمه وحسابه على اللَّه ﷻ**» .

س : ما مناسبة الحديث للباب؟

ج : دل الحديث أنه من أعظم ما يبين ويدلّ على لا إله إلا اللَّه ، هو الكفر بكل ما يعبد من دون اللَّه .

بَابُ مِنَ الشِّرْك لُبْسُ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفعِ البَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ **الآيَة** [الزمر: ٣٨].

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَينٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» قَالَ: مِنَ الوَاهِنَةِ. فَقَالَ: «انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا» رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ.

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّه لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعةً فَلَا وَدَعَ اللَّه لَهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ».

وَلابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيفَةَ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى فَقَطَعَهُ وَتَلَا قَولَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

س: ما مناسبة الباب لكتاب التوحيد؟

لمّا لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه قد يكون شركًا أصغر إذا تعلق قلب المرء بها وجعلها سببًا لرفع البلاء أو دفعه، مع أن هذا السبب لم يأذن به الشرع، وقد يكون أكبر إذا اعتقد أنها ليست سببًا، وإنما تؤثر بنفسها في رفع البلاء بعد حصوله أو دفعه قبل وقوعه فناسب أن يعقد

المؤلف هذا الباب ليبين أن هذا العمل شرك مناف للتوحيد أو لكماله .

س : لابدّ من معرفة ثلاثة أمور متعلقة بالأسباب اذكرها إجمالًا .

أولًا : ألا يجعل منها سببًا إلا ما ثبت أنه سبب شرعًا أو قدرًا .

ثانيًا : ألا يعتمد العبد عليها ، بل يعتمد على مسبِّبها ومقدِّرها مع قيامه بالمشروع منها ، وحرصه على النافع منها .

ثالثًا : أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء اللَّه وقدره ، ولا خروج لها عنه .

وهذه الأمور ذكرها السعدي في القول السديد .

س : عرّف الحلقة والخيط وما مراد المؤلف بقوله ترجمة الباب : (ونحوه) ؟

الحلقة : كل شيء استدار من من حديد أو ذهب أو فضة أو نحاس أو غيرها .

والخيط : في الأصل ما يخاط به وهو معروف .

ونحوه : كالودعة والتميمة والمسمار والخرزة ونحو ذلك .

س : ما اعتقادات الناس في الحلقة والخيط ؟

ج : يعتقدون أن من تعلق شيئًا من ذلك أثر فيه ونفع ، إما من جهة رفع البلاء قبل وقوعه ، وإما من جهة رفع البلاء بعد وقوعه . أ هـ التمهيد ، وتفعل في الغالب لأمرين اتقاء العين والخوف من الجن .

قال تعالى : ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾

س: ما وجه الاستدلال من هذه الآية على الباب؟

ج: الشاهد منها أن الأصنام والأوثان لا تنفع أصحابها بجلب نفع ولا بدفع ضر فليست أسبابًا لذلك، فيقاس عليها كل ما ليس بسبب شرعي أو قدري، فيعتبر اتخاذه سببًا شركًا باللَّه، اهـ القول المفيد لابن عثيمين.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَينٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» قَالَ: مِنَ الوَاهِنَةِ. فَقَالَ: «انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا» رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ.

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

دل الحديث على إنكار لبس الحلقة لدفع الضر؛ لأن جلب النفع ودفع الضر من الأفعال الخاصة باللَّه، وطلبها من غير اللَّه شرك به.

س: ما معنى قوله في الحديث: (صفر، الواهنة، ما أفلحت أبدًا)

ج: - الصفر: النحاس.

- الواهنة: عرق يأخذ في المنكب أو اليد كلها، وغالبًا ما يصيب الرجال.

- معنى قوله: (ما أفلحت أبدًا): يحتمل أمرين:

١- أن يكون على ظاهره لنفي مطلق الفلاح وهذا في حق من يعلقها معتقدًا أنها تؤثر بنفسها فهذا شرك أكبر لا يفلح صاحبه إن مات عليه أبدًا.

٢- أن المقصود به الوعيد وذلك في حق من يُعَلِّقَها معتقدًا أنها سبب للتأثير، وهذا شرك أصغر.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّه لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعةً فَلَا وَدَعَ اللَّه لَهُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

دل الحديث على أن تعليق التميمة معتقدًا فيها النفع شرك؛ لأن جلب النفع ودفع الضر من الأفعال الخاصة باللَّه.

س: بين معنى ألفاظ الحديث.

ج:

(من تعلق تميمة) علَّقها على نفسه أو أحد من ولده.

والتمائم: جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم، يتقون بها العين في زعمهم.

(فلا أتم اللَّه له) دعاء عليه بأن اللَّه لا يتم أموره، ويحتمل أن يكون خبرًا.

(ودعة) هو شيء يستخرجونه من البحر يشبه الصدف، يعتقدون أنه يشفي من العين.

(فلا ودَع اللَّه له) أي لا جعله في دَعة وسكون، ويحتمل أن يكون خبرًا.

(من تعلق تميمة فقد أشرك) لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا دفع الأذى من غير اللَّه الذي هو دافعه.

عَنْ حُذَيفَةَ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى فَقَطَعَهُ وَتَلَا قَولَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

س: ما مناسبة الأثر للباب؟

ج: أن فيه اعتبار لبس الخيط لدفع المرض شركًا يجب إنكاره.

س: ما تفسير هذه الآية «وما يؤمن أكثرهم باللَّه إلا وهم مشركون»؟

ج: أي وما يؤمن أكثرهم بالربوبية إلا وهم مشركون في الألوهية.

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا أَلَّا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاودَ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ».

التَّمَائِمُ: شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَى الأَوْلَادِ مِنَ العَيْنِ، لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ القُرْآنِ فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ، وَبَعضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، مِنْهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

وَالرُّقَى: هِيَ الَّتِي تُسَمَّى العَزَائِمَ، وَخصَّ مِنْهُمَا الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ، فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللَّه ﷺ مِنَ العَيْنِ وَالْحُمَةِ.

وَالتِّوَلَةُ: هِيَ شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا وَالرَّجُلَ إِلَى امرَأَتِهِ.

وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّه ﷺ: «يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ».

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ» رَوَاهُ وَكِيعٌ.

وَلَهُ عَنْ إِبرَاهِيمَ قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا، مِنَ القُرْآنِ وَغَيْرِ القُرْآنِ.

س: ما مناسبة الباب لكتاب التوحيد؟

لمّا كنت بعض صور الرقى والتمائم شركية ناسب أن يعقد المؤلف هذا الباب ليحذر من النوع الشركي فيها.

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع رسول اللَّه ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولًا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة، إلا قطعت.

س: ما معنى قوله: (قلادة من وتر).

ج: الوتر: واحد أوتار القوس، وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره، وقلدوا به الدواب، اعتقادًا منهم أنه يدفع عن الدابة العين.

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: دل الحديث على تحريم تعليق القلائد لدفع الضرر، ودلّ على حرص الرسول ﷺ على محاربة الشرك وأن الأوتار والتمائم في الحكم شيء واحد.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ؓ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ».

س: ما معنى الرقى والتمائم والتولة؟

ج: جمع رقيه، وهي: أدعية وألفاظ تقال أو تتلى ثم ينفث فيها، ومنها

ما له أثر عضوي في البدن ومنها ماله أثر في الأرواح. التمهيد. والرقى المنهي عنها ما كان من جنس رقى الجاهلية.

والتمائم: جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم، يتقون بها العين في زعمهم. التولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته، ويسمونه العطف، وهو ضرب من السحر، وإنما كان من الشرك لما يراد به من دفع المضار، وجلب المنافع من غير اللَّه تعالى.

س: كيف نجمع بين قوله ﷺ: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» وقوله ﷺ: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا» مع أن «أل» تفيد العموم في الرقى؟

ج: أن العموم خص منه الدليل الرقى وحدها، وهو قوله ﷺ: «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا**». فليس كل أنواع الرقية شركًا وإنما ما كان منها مشتملًا على الشرك.

س: تنقسم الرقى إلى قسمين اذكرهما بالتفصيل:

الأولى: رقية مشروعة، وهي ما توفرت فيها ثلاثة شروط وهي:

أ- أن تكون بأدعية مشروعة، والأفضل كونها من الكتاب والسنة.

ب- أن تكون باللغة العربية، أو بلغة مفهومة المعنى.

ت- أن يعتقد أنها سبب، وأن النفع والضر بيد اللَّه.

وقد تكون الرقية بالنفث على المريض مباشرة أو تقرأ في ماء ويشربه المريض.

الثانية: رقية ممنوعة: كالتي تشتمل على دعاء غير اللَّه، كدعاء الملائكة، أو الأنبياء، أو الصالحين، أو الشياطين، أو الكواكب، أو غير ذلك، فهذا شرك أكبر، وإن كانت طلاسم أو أسماء لا يعرف معناها فهي ممنوعة أيضا لأنها تجر إلى الشرك.

س: التمائم تنقسم إلى قسمين اذكرهما بالتفصيل:

ج: القسم الأول: التمائم المشتملة على القرآن والأدعية النبوية: كمن يعلق القرآن كاملا على عنقه، أو سورا معيّنة أو آية معيّنة كآية الكرسي. وهذا النوع قد اختلف العلماء في حكم تعليقه على قولين:

القول الأول: الجواز.

وهو قول جماعة من الصحابة، منهم: عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، وهو ظاهر ما روي عن عائشة وبه قال أبو جعفر الباقر، وأحمد بن حنبل في رواية عنه.

ومن أقوى ما استدلوا به: عموم قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾.

وحملوا الحديث الوارد في المنع من التعليق على التمائم التي فيها شرك.

القول الثاني: المنع من ذلك.

وهو قول جماعة من الصحابة، منهم: ابن مسعود، وابن عباس، وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم، وبه قال جماعة من التابعين، منهم: أصحاب ابن مسعود، وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه.

ورجح هذا القول الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد

الوهاب صاحب فتح المجيد، والشيخ ابن باز، والشيخ الألباني، والشيخ ابن عثيمين. وهذا القول هو الأرجح والعلم عند اللَّه لأمور منها: أولًا: عموم النهي في الحديث النبوي: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك». الثاني: سد الذريعة لئلا يعلق ما هو شرك. الثالث: لأنها عرضة للامتهان عند دخول الخلاء، أو النوم عليها، ولو كان تعليق تمائم القرآن جائزا لأمر به ﷺ فقد كان يرقى ورقى وليس في كتاب اللَّه تعالى ولا سنة رسول اللَّه ﷺ ما يدل على إجازة تعليق شيء من القرآن.

القسم الثاني من التمائم: التمائم التي بغير القرآن والأدعية النبوية. وهي ما يكون فيها استعانة بغير اللَّه، كالاستعانة بالملائكة والأنبياء، أو تعليق خرزات أو عظام، أو غير ذلك لجلب النفع، أو دفع الضر، وهي شرك. لأنه لا كاشف للضر إلا اللَّه وحده، وهي المرادة في قوله ﷺ: «**إن الرقي والتمائم والتولة شرك**».

س: عدّد بعض أمثلة التعاليق الشركية القديمة والحديثة.

ج: من أمثلة التعاليق الشركية القديمة: ما يعلق على الإنسان اعتقادا أنه يدفع العين: كالتعاليق الجلدية الصغيرة التي توضع فيها التميمة، أو خرزات أو عظام بعض الدواب، أو لبس أساور من نحاس، أو خواتم لها فصوص، أو عين زرقاء وهي رسم لعين إنسان باللون الأزرق، يزعم أهل الشرك أنها ترد العين. ومن أمثلة التعاليق الشركية التي انتشرت اليوم: ما يعلق على الدابة أو السيارة اعتقادًا أنه يدفع البلاء، أو يجلب الرزق، كالقلادة من وتر، أو الخرق السوداء، أو القرب البالية، وما كان على شكل حذاء صغير أو تمثال حيوان يوضع في مقدمة أو مؤخرة السيارة.

ومنها ما يعلق على الدار، أو المتجر، أو يوضع فيهما، اعتقادًا أنه يدفع البلاء أو يحل البركة في المكان، كالدراهم الفضية القديمة، أو حذوة فرس، أو رأس ذئب، أو رأس غزال، وقد تكون من أشياء عديدة على حسب ما يعتقده واضعوها، وهذا الفعل من تعلق القلب بغير اللَّه، واللَّه سبحانه هو النافع الضار الرازق المعطي لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

س: ما حكم من علق شيئًا يشبه هذه التعاليق الشركية بقصد الزينة من غير اعتقاد لنفعها؟

ج: حكمه التحريم؛ لعلة المشابهة لأهل الشرك.

عن عبد اللَّه بن حكيم مرفوعًا: «من تعلق شيئًا وكل إليه».

س: **مناسبة الحديث للباب:**

ج: دل الحديث على التحذير من التعلق على غير اللَّه في جلب المنافع ودفع المضار ودلّ على وجوب التوكل على اللَّه، وأنّ هذا لا ينافي فعل الأسباب، ودلّ على خذلان من انصرف عن اللَّه وطلب النفع من غيره.

س: **أقسام التعلق بغير اللَّه تنقسم إلى قسمين اذكرهما؟**

الأول: ما ينافي التوحيد الواجب من أصله، وهو أن يتعلق بشيء لا يمكن أن يكون له تأثير، ويعتمد عليه اعتمادًا معرضًا عن اللَّه، مثل تعلق عباد القبور بمن فيها عند حلول المصائب، ولهذا إذا مستهم الضراء الشديدة يقولون: يا فلان انقذنا فهذا لا شك أنه شرك أكبر مخرج من الملة.

الثاني: ما ينافي كمال التوحيد الواجب، وهو أن يعتمد على سبب صحيح كاعتماد المريض على الدواء مع الغفلة عن المسبب، وهو

اللَّه ﷻ وعدم صرف قلبه إليه، فهذا شرك أصغر.

عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّه ﷺ: «يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ».

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: أنّ جعل الوتر قلادة في عنقه أو عنق دابته، زاعمًا أنه يدفع العين والمكاره، هذا شرك لما فيه من اعتقاد جلب النفع ودفع الضر من غير اللَّه.

عن سعيد بن جبير قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة».

س: ما معنى الأثر السابق؟

ج: معناه: أنه إذا قطع التميمة من إنسان فكأنه اعتقه من الشرك ففكه من النار ففيه فضل قطع التمائم وأنها شرك.

س: لماذا ساق المؤلف رحمه الله أثر إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون أي أصحاب عبد اللَّه بن مسعود التمائم كلها من القرآن وغير القرآن؟.

ج: ساقه ليبيّن حرص السلف على سد أبواب الشرك، فمنعوا تعليق التمائم كلها حتى ولو كانت مكتوبة من القرآن حماية للتوحيد، وسدا لأبواب الشرك، وحفظًا للقرآن من الامتهان.

س: اذكر بالتفصيل حكم لبس خاتم الدبلة؟

ج: لبس خاتم الدبلة على أحوال:

١- إن لبسه معتقدًا فيه الضر والنفع بذاته فهو شرك أكبر.

٢- إن لبسه معتقدًا أنه سبب للنفع فهو شرك أصغر.

٣- إن كان لا يعتقد فيه الضر والنفع ولا أنه سبب، وإنما لبسه تشبهًا بالنصارى فهو كبيرة من الكبائر.

٤- إذا كان من ذهب فهو محرم على الرجال فهو كبيرة من الكبائر.

س: كيف يحصّن المسلم نفسه من الشرور والآفات؟

ج: يحصّنها بالأذكار الواردة التي تنفع من يقولها بصدق وإخلاص، وقوة توكل ويقين، ومن ذلك.

قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين ثلاثًا في الصباح والمساء، وكذلك قراءة آية الكرسي في الصباح والمساء وقراءة خواتيم سورة البقرة في المساء.

ومن الأذكار المشروعة قول: «باسم اللَّه الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات في الصباح والمساء، وكذلك قول أعوذ بكلمات اللَّه التامات من شر ما خلق» ثلاث مرات في الصباح.

وتعليق المسلم قلبه باللَّه وحده واجتناب الأسباب الواهية للشفاء كالخيط، والحلقة والرقى والتمائم الشركية فإنها لا تنفع بل تضر.

* * *

بَابُ مَنْ تَبَـرَّكَ بِشَجَرٍ أَوِ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ الآيَاتُ [النجم: ١٩].

وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، اجْعَلْ لنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَال رَسُولُ اللَّه ﷺ: «اللَّه أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

س: ما معنى التبرك؟

ج: هو: طلب البركة بحصول دوام الخير وكثرته.

س: ما مناسبة الباب لكتاب التوحيد؟ فيه بيان أن اللَّه تعالى بعث نبيه محمدًا ﷺ يجدد للناس دين أبيهم إبراهيم عليه السلام ويدلهم على أن العبادة محض حق اللَّه تعالى، لا يجوز صرف شيء منها لغيره سبحانه وتعالى، فلا يتبرك بالشجرة والحجر ونحوهما وهذا العمل مناف للتوحيد أو لكماله.

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾

س: ما المقصود باللات والعزى ومناة؟

ج : - اللات لها معنيان :

١- قرئت بتخفيف التاء وعلى هذا يكون معناها : أن المشركين اشتقوا من اسم «الله» اسمًا لهذا الصنم وسموه اللات .

٢- قرئت بتشديد التاء «اللات» وعلى هذا يكون معناها : أن هذا الصنم أصله رجل كان يلت السويق للحجاج وهو طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير يجعل فيه السمن لهم ، فلما مات عكفت ثقيف بالطائف على قبره فعبدوه وعبدوا صخرته .

- العزى : اسم شجرة بين مكة والطائف ، يعبده قريش وبنو كنانة ، وأخذوا اسمه من اسم اللَّه «العزيز» .

- مناة : صنم بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة كان يعبده هذيل وخزاعة والأوس والخزرج ويهلون منه للحج إلى الكعبة ، وسمي بهذا الاسم «مناة» لكثرة ما يمني ويراق عنده من الدماء ، وقيل : أخذا من اسم اللَّه «المنان» - تعالى اللَّه عما يقولون علوًّا كبيرًا .

س : ما مناسبة الآيتين للباب؟

ج : أن ما كان يفعله المشركون عند هذه الأصنام الثلاثة هو عين ما يفعله المشركون في هذه الأزمنة عند الأحجار والأشجار والغيران والقبور .

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهدٍ بِكُفْرٍ ، وَلِلمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ الله ، اجْعَلْ لنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقَال رَسُولُ اللَّه ﷺ : «اللَّه

أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. **لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...**».

س: هل التبرك بالشجر والحجر شرك أكبر أو أصغر بين ذلك؟

ج: التبرك بالشجر والحجر على حالين:

١- إذا طلب بركتها معتقدًا أنها وسيلة تتوسط له عند اللَّه وتنفع وتضر بذاتها فهذا شرك أكبر.

٣- إذا اعتقد أن التبرك بها سبب لحصول البركة كصاحب التميمة فهذا شرك أصغر لأنه جعل ما ليس بسبب شرعي ولا قدري سببًا.

س: ما اعتقاد المشركين في شجرة السدرة؟ ثم اذكر بعض فوائد الحديث؟

ج: اعتقادهم فيها يشمل ثلاثة أشياء:

١-أنهم كانوا يعظمونها.

٢-أنهم كانوا يعكفون عندها.

٣- أنهم كانوا ينوطون بها الأسلحة رجاء انتقال البركة من الشجرة إلى السلاح.

من فوائد الحديث:

١- أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده لا يأمن أن يكون في قلبه بقية منه.

٢- تكبير اللَّه وتنزيهه عند التعجب.

٣- أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور من التبرك بها هو الشرك.

٤- أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء.

٥- النهي عن التشبه بأهل الجاهلية من أهل الكتاب والمشركين.

٦- أن الشرك لا بد أن يقع في هذه الأمة.

٧- سد الذرائع.

٨- الغضب عند التعليم.

س: التبرك ينقسم إلى قسمين مشروع وممنوع، اذكرهما وما يندرج تحتهما بالتفصيل؟

ج:

أولًا: التبرك المشروع:

وله ثلاثة أنواع:

١- التبرك بالأقوال والأفعال والهيئات:

فهناك أقوال وأفعال وهيئات إذا جاء بها المسلم ملتمسًا للخير والبركة حصل له ما أراد إذا اتبع بذلك السنة ولم يكن في ذلك مانع.

- فمن الأقوال التي تكون سببًا للبركة:

ذكر الله: فعن أبي هريرة ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن للَّه ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون حِلق الذكر... وفيه أن اللَّه تعالى يقول: أُشْهدكم أني قد غفرت لهم قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم**». رواه

البخاري .

ومن بركات القرآن أن الحرف الواحد بعشر حسنات ، وأنه شفاء للناس وهدى ورحمة ، قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

- ومن الأفعال التي تكون سببًا للبركة :

طلب العلم وتعلمه ، فمن بركاته : الرفعة في الدنيا والآخرة ومن ذلك أداء الصلاة جماعة مع المسلمين ، فمن بركة ذلك مضاعفة الحسنات وتكفير السيئات .

- ومن الهيئات التي تكون سببًا للبركة :

الاجتماع على الطعام .

قال ﷺ : «**اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم اللَّه عليه يبارك لكم فيه**» . رواه أحمد وأبو داود .

وكذلك الأكل من جوانب القصعة ، قال ﷺ : «**البركة تنزل في وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطها**» . رواه أحمد وأبو داود .

وكذلك لعق الأصابع ، فقد أمر الرسول ﷺ بلعق الأصابع وقال : «**فإنه لا يدري في أيتهنّ البركة**» . أخرجه أحمد

٢- التبرك بالأمكنة :

هناك أمكنة جعل اللَّه فيها البركة إذا تحقق في العمل الإخلاص والمتابعة .

فمن هذه الأماكن المساجد ، والتماس البركة فيها يكون بأداء الصلاة

فيها ، ومن المساجد مايكون له مزيّة وزيادة في البر كالمسجد الحرام والمسجد النبوي .

جاء عند ابن ماجه عن جابر قال : قال ﷺ : «**صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**» .

ومن ذلك مسجد قباء كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : (كان رسول اللَّه ﷺ يأتي قباء راكبًا وماشيًا) وفي رواية : (فيصلي فيه ركعتين) . متفق عليه

وعن سهل بن حنيف أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء وصلى فيه صلاة ، كان كأجر عمرة**» . رواه أحمد والنسائي .

ومن الأمكنة المباركة : مكة والمدينة والشام .

قال رسول اللَّه ﷺ : «**إن إبراهيم حرّم مكة ودعا لها ، وإني حرمت المدينة كما حرّم إبراهيم مكة**» وقال ﷺ في المدينة : «**اللهم اجعل في المدينة ضعف ما جعلت بمكة من البركة**» . متفق عليه .

وقال ﷺ : «**طوبى للشام ، فقلنا : لأي شيء ذلك؟ فقال : لأن ملائكة الرحمة باسطة أجنحتها عليه**» . رواه الترمذي .

فمن سكن مكة أو المدينة أو الشام طلبًا لما فيها من البركة التي أخبر عنها النبي ﷺ فقد وفق إلى خير كثير ، بخلاف ما لو طلب التبرك بجدرانها وترابها وأشجارها وغير ذلك مما لم يرد به الشرع ، فإنه بدعة .

٣- التبرك بالأزمنة :

هناك أزمنة خصها اللَّه بزيادة فضل وبركة ، مثل شهر رمضان وليلة

القدر والعشر الأول من شهر ذي الحجة، ويوم الجمعة. . . الخ.

ثانيًا: التبرك الباطل وله ثلاثة أنواع:

١- التبرك بالأماكن المباركة على غير ما ورد في الشرع:

كتقبيل أبواب المساجد والتمسح بأعتابها، والاستشفاء بتربتها، والتمسح بجدران الكعبة أو مقام إبراهيم والذهاب إلى القبور لا بقصد الزيارة، وإنما لقصد الدعاء عندها لأجل بركتها، واعتقاد أن الدعاء عندها أفضل.

قال ابن تيمية: (فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء أو بعض الصالحين تبركًا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادّة للَّه ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله). وقال ابن القيم: (ليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود والركن اليماني) أ.هـ

٢- ومن التبرك الباطل تخصيص أزمنة معينة بنوع من التعظيم كيوم الهجرة والاحتفالات كعيد المولد والاسراء. . . . الخ.

٣- من التبرك الباطل التبرك بذوات الصالحين، وهذا على قسمين:

أولًا: التبرك بالنبي ﷺ:

إن مما لا شك فيه أن نبينا ﷺ مبارك في ذاته وآثاره كما كان مباركًا في أفعاله ﷺ، وهذا مما أكرم اللَّه تعالى به أنبياءه ورسله جميعًا عليهم الصلاة والسلام.

ولهذا فإن صحابة الرسول ﷺ ورضي الله عنهم تبركوا بذاته ﷺ وبآثاره الحسيّة المنفصلة منه ﷺ في حياته، وأقرهم على ذلك ولم ينكر عليهم، مما يدل

على مشروعية هذا التبرك .

ومن تبرك الصحابة بالرسول ﷺ في حياته :

ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : «**كان رسول الله** ﷺ إذا صلى الغداة جاءه خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاءوه بالغداة الباردة فيغمس يده فيها» . رواه مسلم .

وبعد موته إن ثبت أنه من آثاره جاز وأنى يثبت في هذا الزمان؟

ثانيًا : هل يقاس عليه ﷺ غيره من الصالحين؟

ذهب بعض العلماء إلى قياس الصالحين على الرسول ﷺ في جواز التبرك بذواتهم وآثارهم .

وهو قول بعض المتأخرين كالنووي وابن عبد البر والقرطبي وغيرهم .

والصحيح أنه لا يجوز .

قال الإمام ابن رجب في معرض سياقه للنهي عن المبالغة في تعظيم الأولياء والصالحين : (وكذلك التبرك بالآثار فإنما كان يفعله الصحابة مع النبي ﷺ، ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم . . . ولا يفعله التابعون مع الصحابة، مع علوّ قدرهم، فدل على أن هذا لا يفعل إلا مع النبي ﷺ) . اهـ .

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله : التبرك لا يجوز لوجهين :

الوجه الأول : أن الصحابة لم يفعلوا ذلك مع غير النبي ﷺ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه .

الوجه الثاني : سد ذريعة الشرك ؛ لأن جواز التبرك بآثار الصالحين

يفضي إلى الغلو فيهم وعبادتهم من دون اللَّه، فوجب المنع من ذلك.

س: اذكر أربعة أسباب للتبرك الممنوع وستة آثار سيئة مترتبة عليه وما وسائل مقاومة التبرك الممنوع؟

ج: من أسباب التبرك الممنوع:

١- الجهل بالتوحيد وبما ينافيه ويضاده فقل أن تجد من يتعلم التوحيد ويعلمه غيره.

٢- الغلو في الصالحين والمبالغة في تعظيمهم.

٣- التشبه بالكفار وقد ابتلي به كثير من الناس في الأزمنة المتأخرة لسهولة الاتصال وضعف الدين.

٤- تعظيم الآثار أو اعتقاد بركتها كبقعة أو زاوية أو قبر أو مشهد أو حجر أو كغار حراء الذي كان النبي ﷺ يتعبد فيه، وحجرة قبر النبي ﷺ.

وأما الحجر الأسود فإنه لا يتبرك به، وإنما يتعبد للَّه باستلامه وتقبيله.

من آثاره السيئة:

١- الشرك.

٢- البدعة كبدعة المولد بسبب التبرك بالأزمنة.

٣- اقتراف المعاصي كالاختلاط والإسراف والتعلق بالمردان من بعضهم في الاحتفال بالمولد.

٤- الوقوع في الكذب.

٥- تحريف النصوص.

٦- التغرير بالجهال وإضلال الأجيال.

وسائل مقاومته تكون بأمرين :

١- نشر العلم وتوعية الناس .

٢- إزالة وسائل التبرك الممنوع كما فعل عمر رضي الله عنه بالشجرة التي حصل عندها بيعة الرضوان حيث قطعها لما رأى التبرك بها .

انظر في بيان أقسام التبرك وأسبابه وآثاره ووسائل مقاومته كتاب : (التبرك أنواعه وأحكامه د. ناصر بن عبدالرحمن الجديع) .

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ الله

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ **الآيَة** [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣].

وَقَوْلِهِ : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر : ٢].

عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّه ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : «لَعَنَ اللَّه مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله ، لَعَنَ اللَّه مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ ، لَعَنَ اللَّه مَنْ آوَى مُحْدِثًا ، لَعَنَ اللَّه مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ طَارِقِ بِنِ شِهَابٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : «دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ» قَالُوا : وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ : «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا ، فَقَالَ لأَحَدِهِمَا : قَرِّبْ . قَالَ : لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُهُ . قَالُوا لَهُ : قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا . فَقَرَّبَ ذُبَابًا ، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ ، فَدَخَلَ النَّارَ . وَقَالُوا لِلآخَرِ : قَرِّبْ . فَقَالَ : مَا كُنْتُ لأُقَرِّبَ لأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّه ﷻ ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ» رَوَاهُ أَحْمَدُ .

س : ما مناسبة الباب لكتاب التوحيد؟

ج : فيه بيان أنّ الذبح عبادة من أجل العبادات ، وقربة من أفضل القربات المالية فصرفه لغير اللّه شرك أكبر ناقل عن الملة ، كمن يذبح لقبر أو شجرة ، أو حجر ، أو ملك ، أو نبي ، أو جني ، أو عند مقدم سلطان ، أو

لغير ذلك .

قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾

س : ما مناسبة الآية للباب ؟

ج : أنها تدل على أن الذبح لغير اللَّه شرك .

قال تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾

س : ما مناسبة الآية للباب ؟

ج : أفادت الآية أن النحر من العبادة ، فلا يجوز صرفها لغير اللَّه ، فإذا ذبح الإنسان شيئًا لغير اللَّه تعظيمًا له وتذللًا وتقربًا إليه كما يتقرب بذلك إلى اللَّه كان مشركًا باللَّه ﷻ .

عَنْ عَلِيٍّ ؓ قَالَ : حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّه ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : «لَعَنَ اللَّه مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله ، لَعَنَ اللَّه مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ ، لَعَنَ اللَّه مَنْ آوَى مُحْدِثًا ، لَعَنَ اللَّه مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ» .

س : ما مناسبة الحديث للباب ؟

ج : فيه دليل على غلظ تحريم الذبح لغير اللَّه ، حيث أن فاعله أول من يستحق لعنة اللَّه .

عَنْ طَارِقِ بنِ شِهَابٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : «دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ» قَالُوا : وَكَيْفَ ذَلِك يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا ، فَقَالَ لأَحَدِهِمَا : قَرِّبْ . قَالَ : لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُهُ . قَالُوا لَهُ : قَرِّبْ وَلَوْ

ذُبَابًا . فَقَرَّبَ ذُبَابًا ، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ ، فَدَخَلَ النَّارَ . وَقَالُوا لِلآخَرِ : قَرِّبْ . فَقَالَ : مَا كُنْتُ لأُقَرِّبَ لأَحْدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّه ﷻ ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ» .

س : ما مناسبة الحديث للباب؟

ج : أنه دل على أن الذبح عبادة ودلّ على بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل ، وأنه يوجب النار ، وفيه الحذر من الوقوع في الشرك .

س : هل الأولى للإنسان أن يصبر إذا أكره على الكفر ويُقتل ؟ أو يوافق ظاهرًا ويتأول ؟

ج : في المسألة تفصي-ل :

- أن يوافق ظاهرًا وباطنًا ، فهذا لا يجوز لأنه ردّة .

- أن يوافق ظاهرًا لا باطنًا ، ولكن بقصد التخلص من الإكراه ، فهذا جائز .

- أن لا يوافق لا ظاهرًا ولا باطنًا ويقتل ، وهذا جائز وهو من الصبر .

لكن ، أيهما أفضل : أن يصبر ويقتل؟ أو أن يوافق ظاهرًا؟

في المسألة تفصيل :

- إذا كان الإكراه لا يترتب عليه ضرر في الدين للعامة ، فإن الأولى أن يوافق ظاهرًا لا باطنًا ، لاسيما إذا كان بقاؤه فيه مصلحة للناس كصاحب العلم ونحوه .

- وأما إذا كان في موافقته وعدم صبره ضرر على الإسلام فإنه يصبر ، وقد يجب الصبر .

والإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المحنة المشهودة لو وافقهم ظاهرًا لحصل في ذلك مضرّة على الإسلام.

س: هناك خمسة أقسام للذبح، ما هي مع التمثيل لكل قسم بمثال؟

ج: الذبح ينقسم إلى خمسة أقسام:

١- ذبح شركي، من يذبح عند القبر أو عند عنبة بابه خوفًا من الجن وهو على ثلاثة أنواع:

أ- الذبح لغير اللَّه قصدًا ولفظًا كمن يقصد الذبح لغير اللَّه ويتلفظ بغير الله

ب- الذبح للَّه قصدًا ويذكر اسم غيره لفظًا كمن يذبح أضحية ويذكر اسم غير اللَّه.

ج - الذبح لغير اللَّه قصدًا ويذكر اسم اللَّه عليها كمن يقصد بالذبح وليًّا ويذكر اسم اللَّه عند ذبحه.

٢- ذبح المحرم، وهو الذي ورد في الحديث: «**لا عقر في الإسلام**».

كمن يذبح عند قدوم زعيم من الزعماء بحضرته فهو محرم لأنه تعظيم يفضي إلى الشرك، والوسائل لها أحكام المقاصد.

٣- الذبح الواجب: كذبح الهدي والنذر.

٤- الذبح المندوب: كذبح الأضحية والعقيقة على الصحيح من قولي العلماء.

٥- الذبح المباح: كالذبح لأجل الأكل، وقد يكون مندوبًا إذا اقترن بالنية الصالحة.

س : ما حكم ذبائح الكفار باختصار؟

- أجمع العلماء على تحريم ذبائح الكفار من غير أهل الكتاب كالمجوس والوثنيين والهندوس والملحدين فهذه تحرم وإن ذكروا اسم اللَّه عليها وذبحوها على الصفة الشرعية لأن اللَّه أباح ذبائح أهل الكتاب، وما عداهم فيبقى على التحريم وقد نقل الإجماع على ذلك النحاس في ناسخه.

- أجمع العلماء على حل ذبائح أهل الكتاب

وحصل الخلاف في: من هم أهل الكتاب؟ هل هم المتمسكون بدينهم السابق فقط؟ أم يدخل فيهم المتمسكون بدينهم المحرف؟

الصحيح أنه يدخل فيهم المتمسكون بدينهم المحرف لأمرين:

١- عموم الآية التي ذكر فيها أهل الكتاب.

٢- أنهم كانوا موجودين على عهد النبي ﷺ وهم على دينهم المحرف ولم يمنع من طعامهم.

- وذبائح أهل الكتاب لها حالات:

الأولى: ما علم أنه ذكي بطريقة شرعية وذكر عليه اسم اللَّه فهذا جائز لقوله تعالى: (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم). قال ابن عباس: الذبائح.

الثانية: ما علم أنه ذكي على غير طريقة شرعية محل خلاف والصحيح لا تجوز لأن المسلم لو ذكى بطريقة غير مشروعة فلا تصح فمن باب أولى الكتابي وهو أحوط وأبرأ للذمة ورجحه ابن باز واللجنة الدائمة (الفتاوى٢٢/ ٣٩٠).

الثالثة: ما جهل حالها أذبحت بذكاة شرعية وذكر اسم اللَّه عليها أم لا؟ محل خلاف:

قيل: يحل أكلها. ورجحته اللجنة الدائمة ابن باز وابن عثيمين -رحمهما الله-.

لأن الأصل حل ذبائحهم.

وقيل: يحرم ورجحه الشيخ عبد اللَّه بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى سابقًا والشيخ صالح الفوزان.

ومن أدلة المحرّمين ما يلي:

١- أن الأصل في الحيوانات التحريم من حيث التذكية فلا تحل حتى نعلم ذكاتها.

٢- التغليب لجانب الحظر عند التردد.

٣- لأن كثيرًا من الدول الكافرة ملحدة وليست صاحبة كتاب كما تزعم.

٤- لأن كثيرًا من الدول الكافرة تقوم بمنع الذبح على أراضيها.

٥- لأنه ثبت استخدام كثير من المصانع الذبح بالصعق الكهربائي أو الضرب.

٦- كذب من يكتب «ذبح بالطريقة الإسلامية» ونحو هذه العبارة.

فهل يرجى ممن ديدنه العداء للإسلام ونقض العهود والمواثيق وسب الرسول ﷺ واتهامه بالإرهاب والكذب عليه الصدق في ما هو أقل من ذلك بكثير وهو الذبح!؟.

٧- وللقاعدة إذا تعارض الأصل والظاهر فالمقدم الظاهر إذا قويت القرائن.

مسألة:

ما حكم ذبائح قوم وبلد كفار لا يعلم عن حالهم أهم أهل كتاب أم ليسوا أهل كتاب؟

الحكم: أنه محرم لأن الأصل في الحيوانات التحريم.

* * *

بَابُ لَا يُذْبَحُ للَّه بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّه

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى : ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الآيَة [التوبة : ١٠٨] .

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ ﷺ قَالَ : نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا : لَا ، قَالَ : «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» قَالُوا : لَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : «أَوْفِ بِنَذْرِكَ ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعَصِيَةِ الله ، وَلَا فِيمَا لَا يَملِكُ ابْنُ آدَمَ» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا .

س : اذكر مراد المؤلف بهذا الباب ، وما حكم الذبح للَّه في مكان يذبح فيه لغير اللَّه؟

ج : أراد سد الوسائل الموصلة إلى الشرك الأكبر ، وحكم الذبح للَّه بمكان يذبح فيه لغير اللَّه محرم ووسيلة من وسائل الشرك ولما فيه من مشابهة المشركين .

س : ما مناسبة الآية ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ ... للباب؟

ج : هي : أن اللَّه نهى نبيهﷺ والمؤمنين عن الصلاة في مسجد الضرار مع أنهم مخلصون وليس عندهم نية الإضرار ولا التفريق ولا الإرصاد لكن نهاهم لأجل المشاركة والمشابهة التي قد تغري بإتيان ذلك المكان ، فكذا فيمن ذبح للَّه بمكان يذبح فيه لغير اللَّه . أ هـ ملخصًا من التمهيد .

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ ﷺ قَالَ : نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ فَسَأَلَ

النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» قَالُوا: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعَصِيَةِ الله، وَلَا فِيمَا لَا يَملِكُ ابْنُ آدَمَ».

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: فيه المنع من الذبح في المكان الذي فيه وثن من أوثان الجاهلية أو فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله؛ لأن ذلك من الوسائل المضية إلى الشرك.

س: اذكر شيئًا من فوائد الحديث.

ج: من فوائد الحديث:

١- استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك.

٢- أنه لا يذبح في مكان يذبح فيه لغير اللَّه، والحكمة من ذلك أنه يؤدي إلى التشبه بالكفار.

٣- المنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية ولو بعد زواله.

٤- ينبغي للمسلم أن يبتعد عن أماكن الجاهلية، ولا يخصصها بعبادة حتى لا يتشبه بهم وينسب إليهم.

٥- أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

٦- سد الذريعة وترك مشابهة الكفار.

٧- وجوب الوفاء بالنذر إذا لم يقصد مشابهة الكفار.

٨- تحريم الوفاء بنذر المعصية، كأن ينذر فاسق للَّه أن يشرب الخمر، فلا يوفي بنذره إجماعًا.

واختلف العلماء هل فيها الكفارة على قولين:

القول الأول: لا تجب عليه الكفارة.

لقوله ﷺ: «**لا وفاء لنذر في معصية الله**»، ولم يذكر ﷺ كفارة، ولو كانت واجبة لذكرها.

القول الثاني: تجب الكفارة.

وهذا هو المشهور من مذهب الحنابلة، لحديث عائشة مرفوعًا: «**لا نذر في معصية اللَّه، وكفارته كفارة يمين**». رواه أحمد والترمذي

وهذا القول هو الراجح، ورجحه الشيخ ابن باز رحمه الله.

٩- أنه لا وفاء لنذر فيما لا يملكه ابن آدم، كأن يقول: للَّه علي نذر أن أعتق عبد فلان، فنذره هذا باطل.

١٠- تقرر في الشريعة أنه لا يجوز للمسلم أن يتشبه بالكفار، سواء في عبادتهم أو أعيادهم أو أزيائهم الخاصة بهم وهذه قاعدة عظيمة لها أدلتها من الكتاب والسنة الصحيحة:

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ. . .﴾.

قال ابن كثير: (نهى اللَّه المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية).

من السنة: قول رسول اللَّه ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**». رواه أبو داود عن ابن عمر.

قال شيخ الإسلام: (وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم). اهـ.

فتبين من ذلك أن ترك هدي الكفار والتشبه بهم في أعمالهم وأقوالهم وأهوائهم من المقاصد والغايات التي أسسها وجاء بها القرآن الكريم، وفصلها النبي ﷺ لأمته.

* * *

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللَّه

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّه فليُطِعْهُ، ومَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِي اللَّه فَلَا يَعْصِه».

س: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن النذر للَّه من أنواع العبادة فصرفه لغير اللَّه شرك ينافي التوحيد.

س: قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾. **ما مناسبة الآية للباب؟**

ج: أن اللَّه مدح الموفين بالنذر فدل ذلك على أنه عبادة فمن نذر لغير اللَّه متقربًا إليه فقد أشرك.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾.

س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: أن اللَّه أخبر أن ما أنفقناه من نفقة أو نذرناه من نذر متقربين إليه أنه يعلمه ويجازينا عليه فدل ذلك على أنه عبادة فمن صرفها لغير اللَّه فقد أشرك.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّه فليُطِعْهُ، ومَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِي اللَّه فَلَا يَعْصِه».

س: ما مناسبة حديث عائشة رضي الله عنها للباب؟

ج: أنه دل على أن النذر لغير اللَّه معصية يحرم الوفاء به لكونه شرك.

س: عرف النذر؟ وما حكمه؟ ثم اذكر أنواعه بالتفصيل؟

تعريفه:

النذر لغة: الإيجاب، يقال: نذر فلان دم فلان، أي أوجب قتله.

وشرعًا: إلزام مكلف مختار نفسه عبادة للَّه تعالى غير لازمة له بأصل الشرع.

حكمه: يعرف بمعرفة أقسامه فهو على قسمين:

الأول: النذر المطلق: غير المقيد بشيء، كأن يقول: للَّه على نذر أن أصلي ركعتين، وليس في مقابل شيء يحدث له أو حدث له، فهذا لا كراهة فيه على الصحيح.

الثاني: النذر المقيد وهو على أنواع:

١- ما يجب الوفاء به، وهو نذر الطاعة.

مثاله: قول أحدهم: للَّه علي - إن نجحت - أن أصوم ثلاثة أيام.

ويجب الوفاء به لقوله ﷺ: «**من نذر أن يطيع اللَّه، فليطعه**»، ولقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه-: «يا رسول اللَّه، إني كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة». وفي رواية: «يومًا في المسجد الحرام. فقال له النبي ﷺ: **أوف بنذرك**».

٢- ما يحرم الوفاء به، وهو نذر المعصية.

مثاله: كقول أحدهم: للَّه عليه - إن نجح - أن يسرق.

فلا يجوز الوفاء به، وعليه كفارة يمين لحديث عائشة مرفوعًا: «**ومن نذر أن يعصي اللَّه فلا يعصيه**» وفي راوية: «**وكفارته كفارة يمين**» صححها الشيخ ابن باز، وهو مذهب الحنفية والحنابلة.

٣- ما يجري مجرى اليمين، وهو نذر المباح، فيخير بين فعله وكفارة اليمين.

مثل لو نذر أن يلبس هذا الثوب، فإن شاء لبسه وإن شاء لم يلبسه، وكفر كفارة يمين.

٤- نذر اللجاج والغضب.

وسُمي بهذا الاسم؛ لأن اللجاج والغضب يحملان عليه غالبًا، وليس بلازم أن يكون هناك لجاج وغضب، وهو الذي يقصد به معنى اليمين، الحث، أو المنع، أو التصديق، أو التكذيب.

مثل لو قال: حصل اليوم كذا وكذا، فقال الآخر: لم يحصل، فقال: إن كان حاصلًا فعلي للَّه نذر أن أصوم سنة، فالغرض من هذا التكذيب، فإذا تبين أنه حاصل، فالناذر مخيّر بين أن يصوم سنة، وبين أن يكفّر كفارة يمين؛ لأنه إن صام فقد وفى بنذره وإن لم يصم حنث، والحانث في اليمين يكفر كفارة يمين.

٥- نذر المكروه، فيحرم الوفاء به، وعليه كفارة يمين.

مثاله: كقول أحدهم: للَّه عليه - إن شفى اللَّه مريضه - أن يصوم شهر رجب، فالأقرب أنه لا يفي، وعليه كفارة يمين.

س : ما حكم الابتداء بالنذر؟

ج : اختلف أهل العلم في حكم الابتداء به على قولين :

١- أنه محرم وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر : اقتضاء الصراط المستقيم **(١/ ٣٦٠)**

واستدلوا على التحريم بما ورد في الصحيحين ، عن عبد اللَّه بن عمر ﵄ : نهى النبي ﷺ عن النذر وقال : «**إنه لا يرد شيئًا ؛ ولكن يستخرج به من البخيل**» .

وفي رواية للبخاري : يقول ابن عمر : أولم تنتهوا عن النذر إن النبي ﷺ قال : «**إن النذر لا يقدم شيئًا ولا يؤخره وإنما يستخرج بالنذر من البخيل**» .

فقد نهى النبي ﷺ عن النذر ، وأخبر أنه لا يأتي بخير ، وأنه ليس من الأسباب الجالبة لخير ، أو الدافعة لشر أصلًا ، وإنما يوافق القدر موافقة كما يوافقه سائر الأسباب فيخرج من البخيل حينئذ ما لم يكن يخرجه قبل ذلك .

قال الشيخ ابن عثيمين ﵀ في القول المفيد (١/ ٢٤٧-٢٤٨) :

(واعلم أن النذر لا يأتي بخير ، ولو كان نذر طاعة ، وإنما يستخرج به من البخيل ، ولهذا نهى عنه النبي ﷺ ، وبعض العلماء يحرمه ، وإليه يميل شيخ الإسلام ابن تيمية للنهي عنه ، ولأنك تلزم نفسك بأمر أنت في عافية منه ، وكم من إنسان نذر وأخيرًا ندم ، وربما لم يفعل .

ويدل لقوة القول بتحريم النذر قوله تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ [النور: ٥٣]، فهذا التزام مؤكد بالقسم فيشبه النذر .

قال اللَّه تعالى : ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ﴾ [النور: ٥٣]، أي : عليكم

طاعة معروفة بدون يمين، والإنسان الذي لا يفعل الطاعة إلا بالنذر، أو حلف على نفسه يعني أن الطاعة ثقيلة عليه.

ومما يدل على قوة القول بالتحريم أيضًا، خصوصًا النذر المعلق:

أن النادر كأنه غير واثق بالله ﷻ، فكأنه يعتقد أن الله لا يعطيه الشفاء إلا إذا أعطاه مقابلة، ولهذا إذا أيسوا من البرء ذهبوا ينذرون، وفي هذا سوء ظن بالله ﷻ والقول بالتحريم قول وجيه.

فإن قيل: كيف تحرّمون ما أثنى الله على من وفي به؟

فالجواب: أننا لا نقول: إن الوفاء هو المحرم، حتى يقال إننا هدمنا النص، إنما نقول المحرم أو المكروه كراهة شديدة هو عقد النذر، وفرق بين عقده ووفائه، فالعقد ابتدائي، والوفاء في ثاني الحال تنفيذ لما نذر). اهـ.

٢- أنه مكروه. وهو قول المالكية، والشافعية، والحنابلة على الصحيح من المذهب.

واستدلوا بالآية ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ قالوا: لو كان ابتداؤه محرمًا لما أثنى الله على الموفين.

س: ما الفرق بين نذر المعصية والنذر لغير الله؟

ج: الفرق بينهما من وجهين:

١- أن النذر لغير الله شرك، ونذر المعصية قد يكون شركا وقد لا يكون شركا.

٢- النذر لغير الله لا ينعقد وكفارته التوبة.

قال شيخ الإسلام : وما نذره لغير اللَّه كالأصنام والشمس والقمر ونحو ذلك بمنزلة أن يحلف بغير اللَّه من المخلوقات ، لا وفاء عليه ولا كفارة ، وكذلك الناذر للمخلوق ليس عليه وفاء ، فإن كليهما شرك ، والشرك ليس له حرمة ، بل عليه أن يستغفر اللَّه ، ويقول ما أمر به النبي ﷺ : «**من حلف وقال في حلفه : واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله**» متفق عليه . أمّا نذر المعصية فإنه ينعقد وعليه كفارة يمين على الصحيح كما تقدم بيانه .

* * *

بَابُ مِنَ الشِّرْكِ: الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللَّه

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيْم قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّه التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

س: ما معنى الاستعاذة؟

ج: هي: الاعتصام والالتجاء إلى من تعتقد أنه يعيذك.

والاستعاذة باللَّه هي: الالتجاء إلى اللَّه، والملاذ بجنابه من كل شر.

س: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

هي بيان أنّ الاستعاذة بغير اللَّه شرك أكبر ينافي التوحيد: فإن من استعاذ بغير اللَّه فقد وقع في الشرك الأكبر؛ كالذي يأتي إلى الأموات من الأنبياء، أو الصالحين، أو غيرهم، ويطلب منهم أن يحموه ويحفظوه من الآفات والشرور ولو لم ينطق بكلمة أعوذ.

س: ما الفرق بين الاستعاذة والاستغاثة؟

ج: الاستعاذة تكون قبل حصول البلاء وبعده، والاستغاثة لا تكون إلا بعد حصوله.

س: ما الفرق بين اللياذ والعياذ؟

ج : اللياذ لطلب الخير ، والعياذ يكون لدفع الشر كما قال المتنبي :

يا من ألوذ به فيما أؤمله

ومن أعوذ به فيما أحاذره

لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره

ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

س : هل تجوز الاستعاذة بغير اللَّه ؟

ج : الاستعاذة بغير اللَّه على قسمين :

١ - الاستعاذة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين أو بالأحياء الحاضرين غير القادرين كالمشلول أو الجماد ، فهذا القسم شرك أكبر .

٢ - الاستعاذة بالمخلوق الحي القادر ، فهذا جائزة .

س : قال تعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ **. ما مناسبة الآية للباب ؟**

دلت على تحريم الاستعاذة بغير اللَّه ، لذا تكون الاستعاذة عبادة لله ، وصرف العبادة لغير اللَّه شرك .

عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيْم قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّه التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» .

س : ما مناسبة الحديث للباب ؟

أنه دل على أن كلمات اللَّه غير مخلوقة لأن الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه شرك .

س : من الاستعاذة المشروعة التعوذ بالمعوذتين فاذكر مايدل على فضلهما .

عن عقبة بن عامر قال : بينا أنا أسير مع رسول اللَّه ﷺ بين الجحفة والأبواء إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول اللَّه ﷺ يتعوذ بـ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ويقول : «**يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما**» . قال : وسمعته يؤمنا بهما فى الصلاة . رواه أبو داود .

وعن عقبة بن عامر ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ - «**ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾**» رواه مسلم .

وذلك لما فيهما من اللجوء إلى اللَّه تعالى والتوسل إليه بأنواع التوحيد الثلاثة ، الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ، والتحصّن به من شر كل ذي شر ، والوقاية من كل مكروه ، فمن ذلك كانت فضيلتهما وتقديمهما - بالاستعاذة بهما - على جميع سور القرآن .

* * *

بَابُ مِنَ الشِّرْكِ : أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللَّه أَوْ يَدْعُوَ غَيْـرَهُ

وقول اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

وقول اللَّه تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

رَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤذِي الْمُؤمِنِينَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّه ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّه».

س: ما الفرق بين الاستغاثة والدعاء؟

ج: الفرق بين الاستغاثة والدعاء:

أن الاستغاثة خاصة بطلب دفع الضر، والدعاء أعم من الاستغاثة لأنه يكون من المكروب وغيره، فيشمل طلب جلب الخير أو دفع الضر فعطف الدعاء على الاستغاثة من باب عطف العام على الخاص (فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة).

س: إلى كم ينقسم الدعاء مع التعريف لكل قسم؟

ج: ينقسم إلى قسمين:

١- دعاء عبادة وهو: التقرب إلى اللَّه بالأعمال الصالحة التي شرعها اللَّه لعباده وأمرهم بها.

٢- دعاء مسألة وهو: طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر.

س: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

هي أن الاستغاثة باللَّه ودعاءه من أنواع العبادة التي أمر اللَّه بها وكل ما كان عبادة للَّه فصرفه لغيره شرك ينافي التوحيد.

س: هل تجوز الاستغاثة بالمخلوق؟

ج: الاستغاثة بالمخلوق على نوعين:

النوع الأول: الاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر القادر جائزة.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾.

وقال تعالى في قصة موسى ﷺ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾.

وكما يستغيث الرجل بأصحابه في الحرب، وغيرها مما يقدر عليه

المخلوق الحي الحاضر . قال الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وإذا طلبت من أحد الغوث وهو قادر عليه ، فإنه يجب عليك تصحيحا لتوحيدك أن تعتقد أنه مجرد سبب وأنه لا تأثير له بذاته في إزالة الشدة ؛ لأنك ربما تعتمد عليه وتنسى خالق السبب ، وهذا قادح في كمال التوحيد .

النوع الثاني : الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه ، كالاستغاثة بالأموات ، والاستغاثة بالأحياء الحاضرين فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه من شفاء المرضى وتفريج الكربات ودفع الضر .

وهذا النوع غير جائز وهو شرك أكبر .

س : ماوجه الاستدلال من هذه الآية : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ **على الباب ؟**

ج : وجه الاستدلال أن الآية تضمنت النهي عن صرف الدعاء لغير اللَّه سواء كان دعاء المسألة الذي يشمل الاستعاذة والاستغاثة أم دعاء العبادة الذي يشمل الصلاة والزكاة والذبح والنذر وغير ذلك .

س : ما وجه الاستدلال من هذه الآية : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ **على الباب ؟**

دلت الآية على أن كشف الضر وجلب النفع من خصائص اللَّه ، فيكون طلبهما من غير اللَّه شركًا به .

س : لماذا ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **هذه الآية** ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ...﴾ ؟

ج : ذكرها ليبين أن الاستغاثة والدعاء هما من أعظم ما يتعلق بهما

الخلق لطلب الرزق، ولأن معظم حال المستغيثين إنما هي لطلب الرزق، فأمر اللَّه أن يكون ذلك خالصًا له.

س: ما وجه الاستدلال من هذه الآية ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ **على هذا الباب؟**

ج: وجه الاستدلال أن اللَّه وصف كل من يدعو من دون اللَّه بأنه في غاية الضلال ومنتهى الغواية، فلا يجوز صرف عبادة الدعاء لغير اللَّه.

س: ما وجه الاستدلال من هذه الآية ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ **على هذا الباب؟**

ج: في الآية إبطال الاستغاثة بغير اللَّه؛ لأنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء النازل، ويحي ويميت سواه.

س: ما وجه الاستدلال من قول النبي ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث باللَّه ﷻ» على هذا الباب؟

ج: فيه أن من دعا أحدًا من المخلوقين أو استغاث به فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه فقد أشرك الشرك الأكبر الموجب للخلود في النار عياذًا باللَّه من ذلك.

س: لماذا أنكر النبي ﷺ الاستغاثة به في حياته مع قدرته على الإغاثة؟

ج: أنكر ذلك حماية للتوحيد وسدًّا لوسائل الشرك في الأقوال والأفعال وأدبًا وتواضعًا مع ربه -جل وعلا-.

* * *

بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يومَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ فَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ» فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وَفِيهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيْرَةِ مِنَ الفَجْرِ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا» بَعْدَمَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللَّه لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» فَأَنْزَلَ الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وَفِي رِوَايَةٍ: يَدْعُو عَلَى صَفْوانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَالْحَارِثِ ابْنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّه ﷺ حِيْنَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّه شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّه شَيْئًا، يَا صَفيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّه ﷺ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّه شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئتِ

لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّه شَيْئًا».

س: لم سيق هذا الباب في كتاب التوحيد؟

ج: سيق للاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، فكما أن اللَّه لا يشاركه أحد في الخلق والرزق والنفع والضر فيجب أن لا يشرك معه في عبادته أحد.

س: ما وجه الاستدلال من الآية ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ...؟

ج: دلت على بطلان عبادة غير اللَّه وبيان أن جميع المدعوين من دون اللَّه لا يستطيعون إجابة من دعاهم سواء كانوا ملائكة أو أنبياء أو صالحين أو غيرهم ممن لا يقدر على جلب نفع أو دفع ضر.

س: ما وجه الاستدلال من الآية ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ ...؟

ج: وجه الاستدلال أنه إذا كان هؤلاء المدعوين لا يملكون القطمير - وهو: اللفافة الرقيقة التي على النواة - مع حقارته فكيف يطلب منهم أكثر من ذلك.

س: ما وجه الاستدلال من الآية ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾؟

ج: وجه الاستدلال أنه إذا كان رسول اللَّه ﷺ لا يملك من الأمر شيئًا مع أنه أفضل البشر، فكيف بمن هو دونه في الرتبة.

س: ما حكم الدعاء على الكفار عامة بالهلاك؟

ج : الصحيح أنه يدعى على المعتدين منهم، فقط؛ لأنه لم يرد عن النبي ﷺ أنه دعا على قريش بالهلاك عامة بل قال: «**اللهم عليك بهم، اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف**».

وجه الدلالة: أنّ هذا دعاء عليهم بالتضييق لا بالهلاك، والتضييق قد يكون من مصلحة الظالم بحيث يرجع عن ظلمه.

ولما ورد في قنوت عمر رضي الله عنه حيث قال: «**اللهم عذب الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك ويقاتلون أولياءك . . .**».

وجه الدلالة: عدم التعميم في الدعاء بل قيده بالمعتدين والله أعلم.

س: بين وجه الاستدلال من حديث «يا معشر قريش» أو كلمة نحوها «اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا».

ج: وجه الاستدلال: أن النبي ﷺ لا يملك شيئًا من ملكوت الله، ولا يستطيع أن ينفع أحدا من أقربائه فضلا عن غيرهم إلا بما جعله الله من الرسالة وأداء الأمانة، ولا يدفع عنهم العذاب والنكال والعقوبة، فمن دونه -عليه الصلاة والسلام- من الأنبياء والملائكة والصالحين أولى بأن ينفى عنهم ذلك، فإذا كان كذلك بطلت كل التوجهات إلى غير الله عز وجل ووجب أن يتوجه بالعبادات إليه وحده لا شريك له.

* * *

بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى :

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّه الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُم ذَلِكَ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، **فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ -وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ- فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا عَلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يَلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنا يومَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ».**

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّه تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ تكلَّمَ بِالوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةٌ -أَوْ قَالَ: رَعْدَةٌ- شَدِيدَةٌ، خَوْفًا مِنَ اللَّه عز وجل، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صُعِقُوا وَخَرُّوا للَّه سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّه مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ: قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ

مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عَجَلَّ» .

س : ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج : هي أن فيه بيان لما يحصل للملائكة عند نزول الوحي من الغشي والخوف من اللَّه تعالى مما يدل على بطلان التعلق بهم أو بغيرهم لأن من يعتريه الخوف من غيره لا يستحق أن يكون إلها .

س : ما مناسبة الآية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ **للباب؟**

ج : دلت الآية على خوف الملائكة من اللَّه، وتذللهم له، فإذا كان الملائكة كذلك يخشون اللَّه ويخافونه، فكيف يُدعون من دون اللَّه، وإذا لم تصح عبادتهم لا استقلالًا ولا وساطة بالشفاعة، فعبادة غيرهم كالقبور لا تصح من باب أولى .

س : ما مناسبة حديثي أبي هريرة والنواس بن سمعان رضي الله عنهما الواردين في الباب؟

ج : فيهما الرد على المشركين، فإنه إذا كان هذا حال الملائكة عند سماع كلام اللَّه مع ما أعطاهم اللَّه من القوة، عُلم أنه لا يجوز صرف شيء من العبادة لهم، فكيف بمن دونهم .

س : عدد أهم فوائد حديثي أبي هريرة والنواس بن سمعان رضي الله عنهما الواردين في الباب؟

ج :

١- بيان حال الملائكة وأنهم يخافون اللَّه ويخشونه.

٢- أن الملائكة أنفسهم يعبدون اللَّه ويخافونه، فإذا لم يصح دعاؤهم وعبادتهم لا استقلالًا ولا وساطة بالشفاعة، فعبادة غيرهم لا تصح من باب أولى.

٣- إثبات القول للَّه تعالى.

٤- عظمة اللَّه تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾.

٥- إثبات الأجنحة للملائكة.

٦- أنه لا يصدر عن اللَّه إلا الحق.

٧- إثبات استراق الشياطين للسمع، وأن اللَّه قد يمكنهم من ذلك ابتلاءً.

٨- كثرة الجن.

٩- أن مصدر علم الكهنة والسحرة هو الشياطين.

١٠- أن الكهان من أكذب الناس.

١١- استعمال الأمثال الحسية في توضيح الأشياء المعنوية.

١٢- قبول النفوس للباطل، يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة.

١٣- أن الشيء إذا كان فيه شيء من الحق فلا يدل على أنه حق كله.

١٤- أن الرمي بالشهب كان قبل المبعث.

واختلف العلماء هل المسترقون انقطعوا عن الاستراق بعد بعثة الرسول ﷺ إلى الأبد؟ أو انقطعوا في وقته فقط؟

الصحيح: أنهم انقطعوا في وقت البعثة فقط، حتى لا يلتبس كلام الكهان بالوحي، ثم بعد ذلك زال السبب الذي من أجله انقطعوا.

بَابُ الشَّفَاعَةِ

وَقَوْلِ اللَّه ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

وَقَوْلِهِ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآيتَيْنِ [سبأ: ٢٢-٢٣].

قَالَ أَبُو العَبَّاسِ: نَفَى اللَّه عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَو قِسْطٌ مِنْهُ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لله، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ فَبَيَّنَ أَنَّهَا لا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا القُرْآنُ وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ، وَيَحْمَدُهُ - لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا - ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ».

وَقَالَ أَبُو هُرَيرَةَ لَهُ ﷺ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ».

فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لأَهْلِ الإِخْلَاصِ بِإِذْنِ الله، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّه.

وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَفضَّلُ عَلَى أَهْلِ الإِخْلَاصِ فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشَفْعَ لِيُكْرِمَهُ وَيَنَالَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ؛ فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا الْقُرْآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لأَهْلِ الإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ. انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

س: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي الرد على من خالف في باب الشفاعة كاليهود والنصارى، والخوارج المكفرين بالذنوب،

الذين أنكروها والرد على من غلوا في إثباتها، حتى جوزوا طلبها من الأولياء والصالحين وهم المشركون ومن تشبه بهم.

س: ما هي شبهة المشركين في الشفاعة؟

ج: شبهتهم أنهم يقولون: أن معبوداتهم من الأصنام وغيرها شفعاء لهم عند اللَّه فقالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ وقالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ كما أخبر اللَّه عنهم، وهم ضالون في ذلك فإن اللَّه - سبحانه - عليم وقدير وذو سلطان، ومن كان كذلك فإنه لا يحتاج إلى شفعاء. اهـ القول المفيد

س: عرف الشفاعة واذكر أنواعها مع التعريف لكل نوع وذكر أقسامه؟

ج: الشفاعة في اللغة: جعل الشيء شفيعًا. واصطلاحًا: هي طلب التوسط عند الغير في جلب نفع أو دفع ضر.

والشفاعة ثلاثة أنواع:

النوع الأول: شفاعة بين المخلوق والمخلوق وهي على قسمين:

١- جائزة: كالشفاعة عند احد الخصمين للصلح بينهما ونحو ذلك. قال اللَّه تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾. وعن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: كان رسول اللَّه ﷺ إذا جاءه السائل أو طلب إليه حاجة، قال: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي اللَّه على لسان نبيه ما شاء**». رواه البخاري.

٢- محرمة: كالشفاعة في إسقاط حد من الحدود كما في حديث عن عائشة ﵂: (أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول اللَّه ﷺ؟ ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول اللَّه ﷺ، فكلمه أسامة فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أتشفع في حدٍ من حدود اللَّه؟**» ثم قام فاختطب ثم قال: «**إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيعم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم اللَّه لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**». متفق عليه.

أو كانت الشفاعة تعين على باطل فهي محرمة أيضًا.

النوع الثاني: شفاعة الخالق إلى المخلوق:

وهذه ممنوع طلبها لأن الشفيع سائل واللَّه مسئول لا سائل.

النوع الثالث: شفاعة المخلوق عند الخالق وهي على قسمين:

١- شفاعة منفية وهي: التي تطلب من غير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه والشفاعة بغير إذنه أو لأهل الشرك به.

٢- شفاعة مثبتة وهي: التي تطلب من اللَّه بإذنه لمن يرضى قوله وعمله

أو من المخلوق فيما يقدر عليه .

وللشفاعة الأخروية شرطان :

أ- الإذن للشافع أن يشفع .

ب- رضا اللَّه عن الشافع والمشفوع له .

وتنقسم الشفاعة المثبتة إلى أقسام :

١- الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول : «**أنا لها**» وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من كرب الموقف .

٢- شفاعته ﷺ لأهل الجنة في دخولها .

٣- شفاعته ﷺ لقوم من العصاة من أمته أن لا يدخلوا النار .

٤- شفاعته ﷺ في إخراج العصاة من أهل التوحيد من النار .

٥- شفاعته ﷺ في قوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم .

٦- شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب .

٧- شفاعة الشهداء .

لحديث أبي الدرداء ﵁ قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «**الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته**» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحها وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح (١٣٦٩) .

٨- شفاعة الرجال لغيرهم .

لحديث أنس ﵁ قال : قال النبي ﷺ : «**إنّ الرجل يشفع للرجلين وللثلاثة والرجل للرجل**» أخرجه ابن خزيمة في التوحيد وصححه الألباني

في السلسلة الصحيحة ح (٢٠٠٥).

٩- شفاعة الملائكة.

لحديث أبي سعيد قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يوم القيامة يشفع النبيون والملائكة ويشفع المؤمنون**» صححه الألباني في ظلال الجنة ح (**٥٢٧**).

١٠-شفاعة الأطفال لآبائهم.

لحديث حبيبة أنها كانت عند عائشة رضي الله عنها فجاء النبي ﷺ حتى دخل عليها فقال: «**ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا جيء بهم يوم القيامة حتى يوقفوا على باب الجنة فيقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى تدخل آباؤنا فيقال لهم ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم**» رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن جيد.

قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: في هذه الآية نفي الشفاعة من دون اللَّه - أي: بغير إذنه - ومفهومها أنها ثابتة بإذنه، وهذا هو المقصود.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾.

س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: دلت الآية على أنّ الشفاعة بجميع أنواعها ملك للَّه فلا تُنال إلا بإذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له.

قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾

س : ما مناسبة الآية للباب ؟

ج : دلت الآية على أنه لا أحد يشفع عند اللَّه سبحانه إلا بإذنه ، فمن شروط الشفاعة إذن اللَّه تعالى للمشفوع .

قال تعالى : ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾

س : ما مناسبة الآية للباب ؟

ج : فيها الرد على المشركين الذين يطلبون الشفاعة من الملائكة وغيرهم من المخلوقين .

س : اشرح هذه الآية : ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ ؟

ج : قال بعض العلماء : إن هذه الآية : تقطع عروق شجرة الشرك من القلب لمن عقلها . أهـ

وذلك أن المعبود إما أن يكون مالكا أو شريكا للمالك أو ظهيرا له أو شفيعا عنده وكل هذه الأربع الصفات منفية عن المعبودات التي يعبدها المشركون فعلم بذلك بطلان عبادتهم لها . وهذا ما تضمنت الآية المذكورة تقريره حيث جاء فيها نفي الملك عن هذه المعبودات بقوله : ﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ ونفي الشراكة بقوله : ﴿وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ﴾ ونفي الظهير والمعين بقوله : ﴿وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ ونفي الشفيع بقوله : ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾ .

س: اذكر بعض الأسباب التي تنال بها الشفاعة مع الاستدلال لما تقول؟

من أسباب الشفاعة:

١- من مات على التوحيد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: «**من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟**» قال رسول اللَّه ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا اللَّه خالصا من قلبه أو نفسه**» رواه البخاري.

٢- القرآن الكريم.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**». رواه مسلم.

٣- سكنى المدينة والصبر على شدّتها والموت بها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحدٌ من أمتي إلا كنت له شفيعًا يوم القيامة أو شهيدًا**». رواه مسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها**». رواه الترمذي.

٤- الصلاة على النبي ﷺ وطلب الوسيلة له.

عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلّوا علي فإنه من صلى علي**

صلاة صلى اللَّه بها عشرًا، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد اللَّه، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة». رواه مسلم

وعن جابر بن عبد اللَّه ﵄ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم ربِّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة**». رواه البخاري

س: من المسلم الذي لا تقبل شفاعته مع الاستدلال لما تقول؟

ج: المسلم الذي لا تقبل شفاعته هو المكثر من اللعن فعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة**». رواه مسلم.

❊ ❊ ❊

بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ **الآيَة** [القصص: ٥٦].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّه بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ: «يَا عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله» فَقَالَا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللَّه ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]. **وَأَنْزَلَ فِي أَبِي طَالِبٍ:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

س: ما مناسبة الباب لكتاب التوحيد؟

ج: أنه إذا كان هذا حال النبي ﷺ بحيث إنه لا يستطيع أن يهدي من يحب فكيف بمن هو دون النبي ﷺ فإن نفي ذلك عنه من باب أولى ففيه رد على من يصرف العبادة لغير اللَّه ويتعلق به.

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾

س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: قيل: المحبة الطبيعية، وكان ذلك جائزًا ثم نسخ، .

وقيل: من أحببت هدايته، وهو أقوى.

س: ما معنى قوله: ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾؟

ج: في الآية دلالة على أن الرسول ﷺ لا يملك ضرًّا ولا نفعًا ولا عطاءً ولا منعًا، وأن الأمر كله بيد اللَّه، ففيها الرد على الذين ينادونه لتفريج الكربات وقضاء الحاجات.

س: كيف نجمع بين الآيتين ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ **و**﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؟

ج: الجمع بينهما أن الهداية المنفية هي هداية التوفيق والمثبتة هي هداية الدلالة والإرشاد.

س: ما مناسبة حديث ابن المسيب للباب؟

ج: هي أنّ الحديث يقطع وسائل الشرك بالرسول ﷺ وغيره، فالذين يلجئون إليه ﷺ ويستنجدون به مشركون، فلا ينفعهم ذلك؛ لأنه لم يؤذن له أن يستغفر لعمه مع أنه قام معه قيامًا عظيمًا ناصره وآزره في دعوته، فكيف بغيره ممن يشركون بالله؟

س: عدّد بعض من فوائد الحديث؟

من فوائد الحديث:

١- دل الحديث على نفي هداية التوفيق عن النبي ﷺ، فإذا انتفت عنه وهو أكرم الخلق، فنفيها عن غيره أولى.

٢- أن هداية التوفيق خاصة باللَّه سبحانه، فيكون طلبها من غير اللَّه شركًا.

٣- أن الأعمال بالخواتيم.

٤- أن النبي ﷺ أمر أبا طالب أن يقول: لا إله إلا اللَّه، لعلم أبي طالب بما دلت عليه من نفي الشرك وإخلاص العبادة للَّه وحده.

٥- جواز عيادة المشرك إذا رجي إسلامه.

٦- أن أبا طالب مات على الشرك، ففيه الرد على من قال بإسلامه.

٧- حكمة الرب ﷻ في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام ليبين لعباده أن ذلك إليه، وهو القادر عليه دون من سواه، فلو كان عند النبي ﷺ - الذي هو أفضل خلقه - من هداية القلوب وتفريج الكروب ومغفرة الذنوب والنجاة من العذاب، لكان أحق الناس بذلك وأولاهم به عمه الذي كان يحوطه ويحميه وينصره، فسبحان من بهرة حكمته العقول، وأرشد العباد إلى ما يدلهم إلى معرفته وتوحيده وإخلاص العمل له وتجريده.

٨- مضرة أصحاب السوء على الإنسان.

٩- الحرص على مصاحبة الأخيار. [وهذا يستفاد بالمفهوم].

١٠- فيه الحرص في الدعوة إلى اللَّه، والصبر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١١- مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر، زيادة على المشروع، بحيث تجعل أقوالهم حجة يرجع إليها عند التنازع.

١٢- تحريم الاستغفار للمشركين.

١٣- تلقين المحتضر الشهادة.

س: اذكر أهم العقبات التي تواجه العبد في طريق الاستقامة مع ذكر العلاج لتلك العقبات؟

١- عقبة الجهل، وضعف معرفة الإنسان بنعمة الهداية.

وعلاجها بأخذ العلم على أهله فمن كان باللَّه أعرف كان منه أخوف.

٢- العقبة النفسية، فمن الناس من جبل على التعلق الأخلاق الرديئة كالحسد والكبر وحب المال والشهوة. وعلاجها بمجاهدة النفس على التحلي بالأخلاق الحسنة.

٣- العقبة الاجتماعية، وهي البيئة التي يعيش فيها كالجلساء الفاسدين ومحبة الدار والوطن والأهل والأقارب والعشيرة. وعلاجها باستبدال البيئة السيئة ببيئة صالحة.

٤- الوسائل المسموعة والمرئية والمقروءة الفاسدة، ويشمل فساد الشهوات والشبهات.

وعلاجها، بالابتعاد عنها واستبدالها بالوسائل المفيدة التي لا محذور فيها.

٥- تشويه صورة الإسلام ممن ينستب إليه. وعلاجها، بإظهار محاسن الإسلام في أحسن صورة.

س: اذكر أهم وسائل الثبات على دين اللَّه تعالى؟

من أسباب وسائل الثبات:

١- الصدق مع اللَّه ﷻ ويكون بالشعور بالحاجة والفقر إلى تثبيت اللَّه تعالى.

٢- الإيمان باللَّه تعالى القائل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾.

٣- ترك المعاصي والذنوب صغيرها وكبيرها ظاهرها وباطنها .

٤- رفقة الصالحين الأخيار .

٥- الصبر على الطاعات والصبر عن المعاصي .

٦- الاعتصام باللَّه قال اللَّه تعالى : ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ .

٧- كثرة ذكر اللَّه تعالى .

٨- الإقبال على كتاب اللَّه تلاوة وتعلمًا وعملًا وتدبرًا .

٩- التفكر في مخلوقات اللَّه تعالى .

١٠- الدعاء وسؤال اللَّه التثبيت فإن اللَّه هو الذي يثبتك ويهديك . قال اللَّه تعالى : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ .

١١- نصر دين اللَّه الواحد الديان ونصر أوليائه المتقين وحزبه المفلحين .

١٢- الرجوعُ إلى أهل الحق والتقى من العلماء العاملين .

١٣- عدم الأمن من مكر اللَّه تعالى .

وقد قيلت هذه الأبيات في ذكر جملة من أسباب الثبات على الهداية :

يا من ضللت عن الطريق بشهوة ... أو شبهة تفضي إلى الخسران

إسمع مقالة مشفق لك ناصح ... تنجوا بإذن الواحد الديان

فإليك أسباب الثبات على التقى ... منها لزوم الصدق كل أوان

وعقيدة التوحيد من ثمراتها ... شرح الصدور لسائر الإنسان

ومجالس العلماء لا تزهد بها ... ولتصحب الأزكى من الخلّان

والذكر لا تتركه إن رمت الهدى ... واحذر من الهجران للقرآن

قلّب بطرفك ناظرًا ملكوت من ... هو للخليقة مظهر الإحسان

لا تأمنن مكر الإله فإنّ ذا ... صفة لأهل الزيغ والكفران

وسل الثبات على الهدى من ربنا ... فهو المجيب وغافر العصيان

❊ ❊ ❊

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ

وَقَوْلِ اللَّه ﷻ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

قَالَ: هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَومِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، وَلَمْ تُعبَدْ؛ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ العِلْمُ، عُبِدَتْ.

وَقَالَ ابْنُ القَيِّم: قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ.

وَعَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُهُ» أَخْرَجَاهُ.

وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ».

وَلِمُسْلِمٍ: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنْ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا.

س: ما مناسبة الباب لكتاب التوحيد؟

ج : لما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض ما يفعله عباد القبور مع الأموات من الشرك، أراد أن يبين السبب في ذلك ليحذر، وهو الغلو مطلقًا وخاصة في الصالحين، فإنه أصل الشرك قديمًا وحديثًا، لقرب الشرك في الصالحين إلى النفوس، فإن الشيطان يظهره في قالب المحبة والتعظيم.

س : تكلم عن نوعي الغلوّ مع تعريف كل نوع وذكر مثال يوضّحه؟

الغلو على نوعين : (اعتقادي وعملي)

النوع الأول : الغلو الاعتقادي :

والمراد به : ما كان متعلقًا بباب العقائد

وأمثلة هذا كثيرة :

منها : الغلو في الأئمة وادعاء العصمة لهم، أو الغلو في البراءة من المجتمع العاصي وتكفير أفراده واعتزالهم.

والغلو الاعتقادي أشد خطرًا وأعظم ضررًا من الغلو العملي، إذ الغلو الاعتقادي هو المؤدي إلى الانشقاقات، وهو المظهر للفرق والجماعات الخارجة عن الصراط المستقيم.

النوع الثاني : الغلو العملي :

والمراد به ما كان متعلقًا بباب العمليات، فهو محصور في جانب الفعل سواءً كان قولًا باللسان أو عملًا بالجوارح.

مثاله : الذي يقوم الليل كله.

وقد عالج رسول اللَّه ﷺ كثيرًا من أحداث الغلو العملي في عصره :

فعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج

النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ؟ فقد غفر اللَّه ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا، قال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول اللَّه ﷺ فقال: «**إني لأخشاكم للَّه وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**». رواه البخاري ومسلم

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: (دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين ساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ: «**حلّوه، ليصلِّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد**». رواه البخاري ومسلم.

قال ابن حجر: «وفي الحديث الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها».

س: اذكر أقسام الناس في معاملة الصالحين؟

ج: الناس في معاملة الصالحين على ثلاثة أقسام:

الأول: أهل السنة والجماعة، وخلاصة منهجهم في الأمور التالية:

١- يرون موالاة الصالحين. قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾.

٢- يرون محبتهم والثناء عليهم وذكر محاسنهم. قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

٣- يرون أن الصالحين أولياء اللَّه. قال الله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا

خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾.

٤- الإيمان بكرامات الأولياء. والكرامة: هي ما يجريه اللَّه على أوليائه من خوارق العادات كما جرى لأسيد بن حضير حين استمعت الملائكة إلى قراءته. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (أعظم الكرامة لزوم الاستقامة).

٥- لا يدعون العصمة للأولياء كما ادعته الرافضة بل عندهم «**كل بني آدم خطاء**». مسألة عصمة الأنبياء عند أهل السنة والجماعة.

أ- الأنبياء معصومون من الكبائر قبل الوحي وبعده باتفاق.

ب- لاتقع منهم الصغائر عمدًا. لحفظ اللَّه لهم واختيارهم من صفوة الناس كما قال تعالى: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾.

ج- تقع منهم الصغائر سهوًا. وهو قول الطبري وأكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء وابن تيمية).

٦- لا يفضلون الأولياء على الأنبياء.

الثاني: أهل التقصير والتفريط، ومنهم:

١- الجهمية والمعتزلة. ينفون كرامات الأولياء.

٢- فساق الملة من أهل الإسلام. فمن تقصيرهم عدم احترام أهل العلم أو التعرض لهم بسبب أو سخرية.

الثالث: أهل الغلو، ومنهم:

١- الرافضة. حيث ألهوا عليًّا في زمنه فحرَّقهم بالنار، وكذا عندهم

الغلو في أهل البيت وبناء القباب على القبور والأضرحة.

٢- الصوفية. حيث فضلوا الولي على النبي، وكذا بناء القباب على القبور كالرافضة.

س: ما مناسبة الآية: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ **للباب؟**

ج: أن فيها النهي عن جميع الغلو في الدين، ويدخل فنه الغلو في الصالحين فإنه من أسباب كفر أهل الكتاب.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح: ٢٣]. **قَالَ: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَومِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، وَلَمْ تُعبَدْ؛ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ العِلْمُ، عُبِدَتْ».**

س: أ- ما مناسبة الآية للباب؟

ج: دلت الآية على أن الغلو في الصالحين شرك، وذلك أن الغلو فيهم صرف شيء من حقوق اللَّه الخاصة به لهم، وذلك إشراك لهم مع اللَّه.

ب- ما شرك قوم نوح؟

ج: كان بالغلو في الصالحين وأرواحهم، حيث عظموهم فصوروا لهم صورًا ونصبوا لهم أنصابًا ثم عبدوهم.

ج-كيف يكون الغلو في الصالحين؟

ج: يكون بمجاوزة الحد الشرعي فيهم كالمبالغة في الثناء والإطراء أو

إعطائهم بعض خصوصيات الألوهية .

د-أذكر بعض فوائد الآية الواردة في أثر ابن عباس رضي الله عنهما؟

ج : من فوائد الآية :

١ - أن من فهم هذا الباب وما بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة اللَّه وتقليبه القلوب العجب .

٢- ومنها : أن أول شرك حدث في الأرض سببه الغلو في محبة الصالحين وفي ذلك تحذير من الغلو ووسائل الشرك، وإن كان القصد منها حسنًا .

٣- ومنها : معرفة أول شيء غير به دين الأنبياء .

٤- معرفة سبب قبول البدع، مع كون الشرائع والفطر تنكرها، وأن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل، بأمرين :

الأمر الأول: محبة الصالحين .

الأمر الثاني : فِعْلُ أُناسٍ من أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيرًا فظن من بعدهم أنهم أرادوا غيره .

٥- أن فيها شاهدًا لما نقل عن بعض السلف : أن البدعة سبب الكفر، وأنها أحب إلى إبليس من المعصية .

٦- معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حَسُنَ قصد الفاعل .

٧- ومنها : معرفة القاعدة الكلية وهي : النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه من الشرك

٨- مضرة العكوف على قبر لأجل عمل صالح .

٩- النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها .

١٠- التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة .

١١- ظنهم أن الذي صوروا الصور أرادوا ذلك .

١٢- التحذير من التصوير وتعليق الصور ولا سيما العظماء .

١٣- التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم .

١٤- أن سبب فقد العلم موت العلماء .

عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا : عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُهُ» .

س : ما مناسبة الحديث للباب؟

ج : دل الحديث على أن الغلو في النبي ﷺ وهو أشرف الخلق يخرج المسلم من دينه ، كما أخرج النصارى من دينهم غلوّهم في عيسى ﷺ .

قَالَ ﷺ : «إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ» .

س : ما مناسبة الحديث للباب؟

ج : دل الحديث على أن الغلو في الدين أو في المخلوقين يخرج الإنسان عن الحدود التي أنزلها اللَّه فيكون متبعًا لهواه ، وهذا من الشرك المنافي للتوحيد الذي أهلك الأمم قبلنا .

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنْ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا .

س : ما مناسبة الحديث للباب؟

ج : دل الحديث على أن التنطع في الأمور كلها بما في ذلك تعظيم الصالحين من أسباب الهلاك .

* * *

بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللَّه عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟

فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ -أَوْ: العَبْدُ الصَّالِحُ- بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ الله». فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ الفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةِ القُبُورِ وَفِتْنَةِ التَمَاثِيلِ.

وَلَهُمَا عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللَّه ﷺ؛ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ وَهُو كَذَلِك: «لَعْنَةُ اللَّه عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِك أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا. أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُو يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّه أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّه قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا. أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ».

فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِه، ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ -وَهُو فِي السِّيَاقِ- مَنْ فَعَلَهُ.

وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِك، وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ، وَهُو مَعْنَى قَولِهَا: خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حولَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَكُلُّ مَوْضِعٍ

قُصِدَتِ الصَّلَاةُ فِيهِ فَقَدْ اتُّخِذَ مَسْجِدًا، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فِيهِ يُسَمَّى مَسْجِدًا، كَمَا قَالَ ﷺ: «جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا».

وَلأَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ». وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ.

س: اذكر مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: مناسبته لكتاب التوحيد: أن عبادة الأولياء والصالحين شرك أكبر ينافي التوحيد وعبادة اللَّه عند قبورهم وسيلة إلى الشرك.

س: ما مناسبة أحاديث الباب للباب؟

ج: دلت الأحاديث على التحذير من بناء المساجد على القبور لما في ذلك من تعظيم أصحابها، والتعظيم عبادة، وصرف العبادة لغير اللَّه شرك.

س: اتخاذ القبور مساجد يشمل ثلاث معان، اذكرها؟

ج: يشمل:

أ- الصلاة على القبور، بمعنى السجود عليها.

ب- السجود إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء.

ت- بناء المساجد عليها، وقصد الصلاة فيها.

س: ما حكم اتخاذ المساجد على القبور؟

ج: محرم وبدعة من البدع لورود النهي عنه ومنه ما ورد في أحاديث الباب.

س: اذكر شبهات المجيزين لاتخاذ المساجد على القبور مع الرد المفصل عليها؟

ج: هذه الشبه قد جمعت في كتاب «تنوير الصدور في التحذير من فتنة القبور» وإليك بيانها ملخصة من الكتاب المذكور.

الشبهة الأولى:

الاستدلال بقوله تعالى في سياق قصة أصحاب الكهف: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾.

قال أهل الباطل:

أي لنتخذن على باب الكهف مسجدًا ليصلي فيه المسلمون وجعلوا هذا القول صادرًا من أهل الإيمان

وبيان الرد على استدلالهم بذلك من عدة وجوه:

١- أن القول الصحيح والمعتمد في هذه المسألة أن القائلين ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ إنما هم أهل الغلبة والقهر وأصحاب الأهواء، وليس هو من فعل أهل العلم فهذا القول صدر من أهل الغلبة والبطر والبغي والعدوان الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**لعن اللَّه اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

فكيف يستدل بقول الكفار على جواز ما قالوه من الإفك والإثم والعدوان؟.

٢- أن المعتمد عند أهل السنة أن الأحاديث النبوية تفسر القرآن وتوضح مجمله وتبين معناه وتزيل وجه الإشكال الذي قد يعرض في فهم بعض آياته والسنة حافلة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد، وذلك في

نصوص كثيرة صحيحة صريحة في هذا النهي .

٣- لو سلم جدلًا أن الذين قالوا : ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدًا﴾ هم المسلمون فهذا قصاراه إنما يدل على جواز ذلك في تلك الشريعة وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد نسخه في شرعنا ، وقد جاءت شريعتنا بنسخه وسد أبوابه ولعن فاعليه والإخبار بأنهم شرار الناس ونحن مأمورون باتباع هذه الشريعة ، .

لكن هذا على فرض التسليم الجدلي وإلا فإن بناء المساجد على القبور محرم في كل الشرائع بدليل قوله : «**لعن اللَّه اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» فهذا يفيد أنه ممنوع في كل الشرائع إذ لو كان ذلك جائز في شريعتهم لما استحقوا اللعن .

الشبهة الثانية :

الاستدلال بأن النبي ﷺ قد صلى في مسجد الخيف فقد روى الطبراني بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**في مسجد الخيف قبر سبعين نبيًّا**» .

والجواب عن ذلك من وجوه :

١ – أن هذا الحديث فيه انقلاب على بعض الرواة ؛ لأن أصل الحديث يقول : «**وصلى في مسجد الخيف سبعون نبيًّا**» رواه الطبراني في الكبير والأوسط وقد حسن إسناده المنذري والألباني ، فليس الحديث : «قبر سبعين نبيًّا» بل : «**صلى فيه سبعون نبيًّا**» .

٢- أن الحديث الذي يقول : «قبر سبعين نبيًّا» حديث ضعيف لا تقوم بمثله الحجة .

- لأن فيه عبدان بن أحمد وهو الأهوازي وهذا من شيوخ الطبراني وهو متكلم فيه.

- ولأن في إسناده من يروي الغرائب مثل عيسى بن شاذان، فقد قال فيه ابن حبان: (يغرب).

- وكذلك في إسناده إبراهيم بن طهمان.

قال فيه ابن حبان: (أمره مشتبه، له مدخل في الثقات ومدخل في الضعفاء وقد روى أحاديث مستقيمة تشبه أحاديث الأثبات، وقد تفرد عن الثقات بأشياء معضلات).

وقال فيه الحافظ في التقريب (ثقة يغرب).

فهذا الحديث المذكور من الغرائب، إما من غرائب ابن شاذان وإما من غرائب ابن طهمان.

٣- أن هذا الحديث بهذه الحالة كيف يكون معارضًا للأحاديث التي في أعلى درجات الصحة والتي تنهى عن اتخاذ القبور مساجد وكيف تترك دلالتها في صراحتها وصحتها من أجل هذا الحديث الغريب الضعيف؟.

٤- أن المتقرر عند أهل العلم -رحمهم اللَّه تعالى- أن المعدوم لا حكم له.

فلو سلم بصحة حديثهم هذا لما أمكن الاستدلال به لأنه لا أثر لهذه القبور ولا يستطيع أحد أن يحدد موضعها، فهي من جملة سائر القبور التي امتلأت بها هذه الأرض وحيث ليس هناك قبر مشاهد له أثر محسوس فإن الحكم في هذه الحالة الجواز فإن النهي إنما هو في حق من يتعمد بناء المسجد على هذا القبر المخصوص بقصد تعظيمه وصرف التعبد له.

٥- أن هذه القبور لا وجود لها أساسًا في مسجد الخيف وأن هذا الحديث أصلًا لا أساس له من الصحة وذلك لأن الذين تحدثوا عن تاريخ مكة وتحدثوا عن تاريخ مسجد الخيف لم يتطرقوا إلى وجود مثل هذه القبور فطالما أن هذه القبور قد خفيت معالمها ودرست فإن الخطر الذي يخشى قد زال، ولأن مسجد الخيف في هذه الأزمنة قد بني بناية عظيمة وضخمة وهذه البناية الكبيرة العظيمة العالية تحتاج إلى تعميق الحفر في الأرض ومع ذلك لم يظهر لمن حفروه ولا مطلق الأثر لهذه القبور على كثرتها، لا يقال: - لعل الدود قد أكل أصحابها؟ لأن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، ولم يعرف أحد بأن لهؤلاء الأنبياء أجسادًا في هذا المكان وهذا يفيدك أن هذا الحديث واهٍ وأنه لا مستند لأهل الزيغ والضلال في الاستدلال به، ولكنها الأهواء التي تعصف بصاحبها.

٦- أن المتقرر عند أهل العلم -رحمهم اللَّه تعالى- أن المتشابه يرد إلى المحكم وحيث كان هذا الحديث الذي استدلوا به من المتشابه الذي ترد عليه احتمالات كثيرة في سنده ومتنه فإن الواجب هو رده إلى المحكم الذي لا تلتبس دلالته فإذا رددت هذه المسألة إلى المحكم وجدت أن الأدلة المحكمة تقضي قضاء جازمًا لا يتطرق إليه مطلق الاحتمال بحرمة اتخاذ القبور مساجد.

٧- أنه قد تقرر أن هذا الحديث الذي يستدلون به حديث ضعيف لا تقوم بمثله الحجة، وهو مع ضعفه مخالف للأحاديث الصحيحة الصريحة وقد تقرر عند أهل العلم رحمهم اللَّه تعالى أن الحديث الضعيف إذا خالف الحديث الصحيح فإنه حديث منكر، والمتقرر عندهم أن الحديث المنكر لا يستدل به ولا يستفاد منه شيء من الأحكام الشرعية.

الشبهة الثالثة:

قالوا: إن إسماعيل عليه السلام وكذلك أمه هاجر قد دفنا في الحجر بجوار الكعبة ولذلك فإنه يقال له حجر إسماعيل نسبة لدفنه فيه هو وأمه ومستندهم في ذلك روايات ذكرها الأزرقي في أخبار مكة تفيد ذلك فإنه قال في كتابه المذكور: «فماتت أم إسماعيل قبل أن يرفعه إبراهيم وإسماعيل، ودفنت في مكان الحجر» وكذلك ما أورده السيوطي من أن قبر إسماعيل في الحجر، هكذا قالوا.

والجواب على هذه الشبهة من وجوه:

١- ليس هناك نقل صحيح يثبت أن هاجر وإسماعيل -عليه الصلاة والسلام- قد قبرا في الحجر.

٢- ورود الأحاديث الصحيحة الصريحة المانعة من اتخاذ القبور مساجد.

٣- أن منهج الأنبياء السابقين تحريم بناء المساجد على القبور وأول من ارتكب ذلك مخالفين لأنبيائهم هم اليهود والنصارى ولذا لعنهم الرسول ﷺ وما لعنهم إلا لفعلهم محظورًا في شريعتهم وهذا يدل دلالة أكيدة أن إسماعيل عليه السلام وغيره من أنبياء اللَّه تعالى ممن جاؤوا قبله وبعده قد حذروا أممهم وأتباعهم من اتخاذ القبور مساجد فلا يمكن بحال أن يقبر إسماعيل في المسجد الحرام.

الشبهة الرابعة:

الاستدلال بفعل أبي جندل رضي الله عنه لما بنى على قبر أبي بصير رضي الله عنه مسجدًا.

والجواب من وجوه:

١- أن هذه القصة:

- رواها البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده من غير زيادة: (وبنى على قبره مسجدًا)

- وأوردها ابن إسحاق في السير عن الزهري مرسلًا وليس فيها هذه الزيادة.

- ورواها ابن جرير في تاريخه من طريق معمر وابن إسحاق وغيرهما عن الزهري بدون هذه الزيادة.

فهذه الزيادة ضعيفة جدًّا لأنها لم ترد من طريق الثقات وقصارا ها أن ابن عبدالبر في الاستيعاب ذكرها مرسلة، وكذلك ذكرها ابن الأثير في أسد الغابة مرسلة بصيغة التعريض، فهي عندهم ضعيفة لا تقوم بمثلها الحجة.

فأصل القصة صحيح وهي أن أبا جندل قد دفن أبا بصير.

أما زيادة (وبنى على قبره مسجدًا) فإنها لا أساس لها من الصحة.

فمدار هذه الزيادة على الزهري في بعض الروايات:

فهي مرسلة إذا قيل إن الزهري من صغار التابعين وأنه سمع من أنس، فهي على هذا من مراسيل التابعين الصغار وقد تقرر عند أهل العلم -رحمهم اللَّه تعالى- أن مرسل التابعي ضعيف.

وإذا لم يثبت كون الزهري قد سمع من أنس فهذه الزيادة معضلة.

وكيف ما كان الأمر فإنه لا تقوم بها الحجة لأنها إما مرسلة وإما معضلة

والإعضال والإرسال سبب من أسباب الضعف.

ثم إنه لا يسلم أنها من مراسيل الزهري لأن كثيرًا من الثقات رووا عين القصة عن الزهري ولم يذكروا هذه الزيادة.

والأغلب أنها من رواية موسى بن عقبة كما صرح به ابن عبدالبر، ومن المعلوم أن ابن عقبة هذا لم يسمع أحدًا من الصحابة، فهذه الزيادة وهي قوله: (وبنى على قبره مسجدًا) معضلة بل هي منكرة لأن هذه الزيادة على ضعفها بالإعضال أو الإرسال قد خالفت الأحاديث الصحيحة الصريحة القاضية بحرمة البناء على القبور لاسيما بناء المساجد كما تثبته هذه الزيادة المعضلة وقد تقرر في قواعد الإسناد أن الضعيف إذا خالف الصحيح فحديثه منكر، فبان لك بذلك أن هذه الزيادة منكرة معضلةً

٢- هذه الزيادة باطلة لأنه يبعد جدًّا عن أحدٍ من أصحاب رسول اللَّه ﷺ أن يبني مسجدًا على قبر وقد رباه رسول اللَّه ﷺ فلا يظن ذلك بآحاد العلماء فكيف بأحدٍ من أصحاب محمد -عليه الصلاة والسلام-

٣- لو سلم جدلًا أنها ثابتة فمع ثبوتها فإنه لا حجة فيها لأنها فعل صحابي قد خالف النص المرفوع الصحيح الصريح، وقد تقرر في القواعد الأصولية أن فعل الصحابي إذا خالف المنقول الصحيح الصريح فهو مردود عليه؛ لأن قوله ومذهبه لا يكون حجة إلا إذا لم يخالف نصًا ولم يخالفه صحابي آخر، فهذه الزيادة المنكرة الواهية لو سلم بثبوتها لما كان فيها حجة لما ذكر بل ولو سلم جدلًا أنها صحيحة فإن ذلك محمول على أول الإسلام وآخر الأمرين هو النهي لحديث جندب وفيه سمعت رسول اللَّه ﷺ قبل أن يموت بخمسٍ يقول: «**ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني**

أنهاكم عن ذلك» .

الشبهة الخامسة :

استدلالهم بالحال التي عليها الآن قبر رسول اللَّه ﷺ وقبر صاحبيه فإنه في داخل المسجد النبوي .

وأجيب على ذلك بعدة أجوبة منها :

١- أن تعلم جزمًا وقطعًا أنه ﷺ ما دفن في المسجد ، وإنما دفن في بيته في حجرة عائشة رضي الله عنها وقد كانت الحجرة هذه التي دفن فيها هو وصاحباه رضي الله عنهما خارجة خروجًا كليًّا عن المسجد .

والعلة التي من أجلها دفن النبي ﷺ في بيت عائشة أمران : -

أحدهما : لأن الأنبياء تدفن في المكان الذي قبضت فيه أرواحهم .

بدليل حديث رواه الترمذي عن أبي بكرٍ رضي الله عنه قال : سمعت من رسول اللَّه ﷺ شيئًا ما نسيته فقال : «**ما قبض اللَّه نبيًّا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه ، ادفنوه في موضع فراشه**» وهو حديث صحيح .

ثانيًا : لأن الصحابة -رضي اللَّه عنهم أجمعين- قد خافوا أن يتخذ قبره مسجدًا ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدًا كما في الصحيحين .

٢- أن عصر الصحابة قد انقضى والحال على ما هي عليه ، وقبره ﷺ وقبر صاحبيه لا تزال خارجة عن المسجد ، أن مسجده ﷺ لا يزال على حالته الأولى مع توسعة المسجد زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما .

٣- أن الحجرة التي دفن فيها النبي ﷺ لم تدخل في المسجد إلا في

عهد الوليد بن عبدالملك وذلك بعد موت عامة الصحابة وقد استنكر العلماء صنيع الوليد عفا اللَّه عنه.

قال ابن تيمية: (بل بعد موت عامة الصحابة فلم يكن بقي في المدينة منهم أحد ولم يكن بقي من الصحابة إلا نفر قليل كأنس بن مالك لكنه كان بالبصرة وجابر بن عبداللَّه أيضًا كان بالمدينة وتوفي بها، وفعل الوليد هذا كان بعد وفاة جابر بنحو عشر سنين)

فأول من تجرأ على إدخال الحجرة إلى المسجد هو الوليد بن عبدالملك في مدة توليه للخلافة، وقد اتفق جميع أهل الإسلام على ذلك ولا يعلم بينهم خلاف في ذلك.

وقد أمر الوليد بن عبدالملك عامله على المدينة عمر بن عبدالعزيز بأن يشتري هذه الحجرات ممن ورثوها بعد أهلها وأن يدخلها في المسجد، وهذا لا شك خطأ من الوليد عفا اللَّه عنه.

وقد استنكر أهل العلم هذا الفعل وإليك بعض ما نقل عنهم في ذلك:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٧/ ٤٢٠:

(فلهذا لم يتكلم فيما فعله الوليد هل هو جائز أو مكروه إلا التابعون كسعيد بن المسيب وأمثاله) اهـ.

وقال في الرد على الأخنائي ١/ ١١٩: (فلما قدم الوليد حاجًّا جعل يطوف في المسجد وينظر اليه ويقول ها هنا ومعه أبان بن عثمان فلما استنفد الوليد النظر إلى المسجد التفت إلى أبان بن عثمان فقال: أين بناؤنا من بنائكم؟ فقال أبان: إنا بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس) اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في البداية والنهاية ٩/ ٧٤-٧٥:

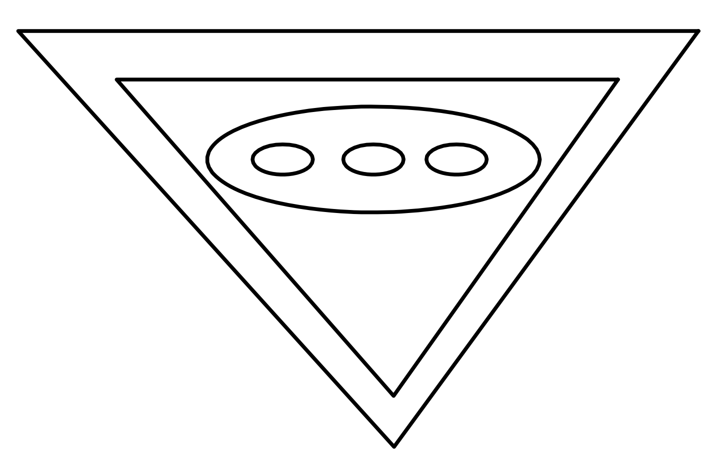
(قدم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النبوي وإضافة حجر أزواج رسول اللَّه وأن يوسعه من قبلته وسائر نواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع فمن باعك ملكه فاشتره منه وإلا فقومه له قيمة عدل ثم اهدمه وادفع إليهم أثمان بيوتهم فإن لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الوليد فشق عليهم ذلك وقالوا هذه حجر قصيرة السقوف وسقوفها من جريد النخل وحيطانها من اللبن وعلى أبوابها المسوح وتركها على حالها أولى لينظر إليها الحجاج والزوار والمسافرون وإلى بيوت النبي فينتفعوا بذلك ويعتبروا به ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزهد في الدنيا فلا يعمرون فيها إلا بقدر الحاجة وهو ما يستر ويكن ويعرفون أن هذا البنيان العالي إنما هو من أفعال الفراعنة والأكاسرة وكل طويل الأمل راغب في الدنيا وفي الخلود فيها فعند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء العشرة المتقدم ذكرهم فأرسل إليه يأمره بالخراب وبناء المسجد على ما ذكر وأن يعلى سقوفه فلم يجد عمر بدا من هدمها ولما شرعوا في الهدم صاح الأشراف ووجوه الناس من بني هاشم وغيرهم وتباكوا مثل يوم مات النبي وأجاب من له ملك متاخم للمسجد للبيع فاشترى منهم وشرع في بنائه وشمر عن إزاره واجتهد في ذلك وأرسل الوليد إليه فعولا كثيرة فأدخل فيه الحجرة النبوية حجرة عائشة فدخل القبر في المسجد وكانت حده من الشرق وسائر حجر أمهات المؤمنين كما أمر الوليد وروينا أنهم لما حفروا الحائط الشرقي من حجرة عائشة بدت لهم قدم فخشوا أن تكون قدم النبي حتى تحققوا أنها قدم عمر رضي الله عنه ويحكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة في

المسجد كأنه خشي أن يتخذ القبر مسجدا واللَّه أعلم) اهـ. وقال السمهودي في خلاصة الوفا ١/ ١٣٨: (وعن عروة قال نازلت عمر بن عبد العزيز في قبر النبي ﷺ أن لا يجعل في المسجد أشد المنازلة فأبى وقال كتاب أمير المؤمنين لا بد من إنفاذه) اهـ.

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في فتاواه ١/ ٧٠: (وأول ما جرى من هذا أن بني أمية - لما بنوا مسجد الرسول ﷺ - وسعوه واشتروا بيوتًا حوله، ولم يمكنهم إدخال بيت النبي ﷺ الذي فيه قبره وقبر صاحبيه، ولكن أدخلوا البيت في المسجد لأجل توسيع المسجد ولم يقصدوا تعظيم الحجرة بذلك، لكن قصدوا تعظيم المسجد، ومع هذا أنكره علماء المدينة حتى قتل خبيب بن عبد اللَّه بن الزبير بسبب إنكاره ذلك فانظر إلى سد العلماء الذرائع).

ثم كيف تترك النصوص الصحيحة الصريحة في هذه المسألة والتي لا يتطرق إليها احتمال أو شك ويترك ما عليه الخلفاء الراشدون وما نهجه سائر الصحابة -رضوان اللَّه عليهم- ويستدل بفعل الوليد بن عبدالملك؟

٤- أن الوليد بن عبدالملك وعامله على المدينة ومن تولى إدخال الحجرات إلى المسجد قد أخذوا سائر الاحتياطات لإبعاد الناس عن القبر وعلى ستره عن الأعين وعلى عدم تمكين أحد أن يطوف به أو يصلي إليه أو يمسه بيده أو يقبله أو يدعو عنده، وذلك لأنهم جعلوا على القبر جدارًا على شكل دائرة أو قريبة من الدائرة، ثم جعلوا على هذه الدائرة جدارين على شكل مثلث فهو قريب من هذا الشكل التالي.



فلا يستطيع أحد أن يدخل إلى القبور الثلاثة ولا أن يصلي عندها ولا أن يدعو عندها، فلا يزال البيت على شكله وحيازته والمسجد لا يزال على وضعه والحمد لله.

وما يحصل من الناس الجهال إنما يكون في مسجد الرسول وليس عند القبر لأن القبر بعيد عنهم، ومصون عنهم ولا يرونه، وهذا تحقيق لدعاء النبي ﷺ حين قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**» فاستجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بهذه الجدران الثلاثة قال ابن القيم في النونية:

فأجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران

حتى غدت أرجاؤ من بعده ... في عزّة وحماية وصيان

يعني: - صار القبر داخل هذه الجدران الثلاثة فلا يرى أبدًا وذلك صيانةً له عن الغلو فيه -عليه الصلاة والسلام-، ولا يستطيع أحد البتة أن يستقبل القبر لأنه إنما يستقبل الجدار لا القبر.

قال الألباني -رحمه اللَّه تعالى-: (فإن المخالفين لما أدخلوا القبر النبوي في المسجد احتاطوا للأمر شيئًا ما، فحاولوا تقليل المخالفة ما أمكنهم) ا.هـ.

ولا تزال الدولة السعودية وفقها اللَّه تأخذ سائر الاحتياطات لإبعاد الناس عن القبر فزادت في سماكة هذه الجدران ورفعتها فوق ما كانت عليه ووظفت عددًا من أهل الحسبة للقيام عند هذه القبور الشريفة لتوجيه الناس وردع الجهلة منهم والإنكار على ما يفعل في المسجد قريبًا من القبور من البدع والضلالات.

فإن قيل: - فلماذا لا يهدم ما على القبر ليكون خارج المسجد؟

فالجواب: أنه قد تقرر عند أهل العلم -رحمهم اللَّه تعالى- أنه إذا تعارض مفسدتان روعي أشدهما بارتكاب أخفهما، وإن الفتنة والمضرة والمفسدة التي تحصل في هذا الهدم وهذا الإخراج في هذا الزمان أعظم بكثير من مفسدة إبقائه على حاله الراهنة فإنه مع كثرة الجهل وانتشار البدعة ومعاداة أهل التوحيد لاسيما أهل هذه البلاد المباركة، فإنه لو تحركت معاول الهدم تهدم ما على القبر من البناء لثارت الفتن التي لا نهاية لها ولتكلم الرويبضة في أهل التوحيد ولتحركت أفواه المبتدعة سبًّا وشتمًا وطعنًا في الدين وأهله، فدرءا لذلك كله وسدًا لأبواب المفاسد والضرر والفتنة رأى ولاة الأمر حفظهم اللَّه أن يبقى الحال على ما هو عليه لاسيما وأن القبر محفوظ ومصون ولا يستطيع أحد أن يفعل عنده شيئًا من البدع والضلالات والمهم أنه لابد من إحسان الظن في ولاة الأمر من الأمراء والعلماء في إبقاء الحال على ما هو عليه وأنهم ما أبقوه رغبة منهم في الأمر المحدث وإنما أبقوه من باب مراعاة المصالح والمفاسد ومن باب تحمل الضرر الأخف لدفع الضرر الأشد، ومن باب أنه إذا تعارضت مفسدة ومصلحة وكانت المفسدة أعظم فإن درء المفسدة مقدم على جلب

المصلحة، ومن باب سد الذرائع ومن باب جمع الكلمة واتحاد الصف، ومن باب خشية افتتان العامة فإن بعضهم قد يفتن عن دينه والعياذ باللَّه تسخطًا من هذا الفعل.

ثم إن النصوص الواردة في فضل الصلاة في المسجد النبوي عامة فأجر الصلاة ثابت في المسجد النبوي مع وجود القبر فيه. أما الصلاة في المساجد التي فيها قبور عدا المساجد الثلاثة فإنها باطلة. لما ورد في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها**» فالنهي هنا يقتضي بطلان العبادة. والواجب على من صلى في مسجد به قبر أن يعيد صلاته. قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تصح الصلاة في المساجد التي فيها القبور، والواجب إعادة ما صلى المسلم فيها».

س: كيف الجمع بين الحديثين:

١- حديث ابن مسعود مرفوعًا: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهو أحياء والذي يتخذون القبور مساجد».

٢- حديث «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين حتى تقوم الساعة» ؟

ج: الجمع بينهما أن المراد بقوله: «**حتى تقوم الساعة**» أي: إلى قرب قيام الساعة وليس إلى قيامها بالفعل لأنها لا تقوم إلا على شرار الخلق، فاللَّه يرسل ريحًا تقبض نفس كل مؤمن، ولا يبقى إلا شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة. أهـ من القول المفيد.

* * *

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّـرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّه

رَوَى مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّه عَلَى قَومٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

وَلابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]، قَالَ: كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ.

وَكَذَا قَالَ أَبُو الْجَوزَاءِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلحَاجِّ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّه ﷺ زَائِرَاتِ القُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ. رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ.

س: عقد المؤلف هذا الباب في كتاب التوحيد لأمور اذكرها.

ج: عقد المؤلف هذا الباب في كتاب التوحيد لأمور وهي:

أولًا: التحذير من الغلو في قبور الصالحين.

ثانيًا: أن الغلو فيها يؤول إلى عبادتها.

ثالثًا: أنها إذا عبدت سميت أوثانًا، ولو كانت قبور صالحين.

رابعًا: التنبيه إلى العلة من البناء على القبور واتخاذها مساجد.

س: قال رسول اللَّه ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب اللَّه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». ما مناسبة الحديث للباب؟

ج : أن الغلو في القبور يجعلها أوثانًا تعبد ؛ لأن النبي ﷺ قال : «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**» وبين ذلك بقوله : «**اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» .

س : اذكر بعض ما يستفاد من الحديث .

ج :

١- أن اتخاذ القبور مساجد وسيلة لعبادة أصحابها ، وذلك شرك منافي للتوحيد .

٢- (اللهم لا تجعل . . .) قد استجاب اللَّه دعاء رسوله ﷺ، فمنع الوصول إلى قبره لئلا يعبد .

٣- أن قبر الرسول ﷺ لو عبد لكان وثنًا ، فما ظنك بقبر غيره من القبور .

٤- المنع من تتبع آثار الأنبياء والصالحين كقبورهم ومجالسهم ومواضع صلاتهم للصلاة ، والدعاء عندها ، فإن ذلك من البدع .

٥- قوله (اشتد غضب اللَّه على قوم اتخذوا . . .) هذه الجملة بعد الأولى تنبيه على سبب لحوق اللعن بهم ، وهو توسلهم بذلك إلى أن تصير أوثانًا تعبد .

٦- وجوب سد الذرائع .

٧- تحريم البناء عند القبور وتحريم الصلاة عندها .

س : ما مناسبة الآية : ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ للترجمة ؟

ج : أنهم غلو فيه لصلاحه حتى عبدوه ، وصار قبره وثنًا من أوثان المشركين وعليه فكل قبر غلا الناس في تعظيمه سيؤدي إلى عبادته وإن لم

يسمونه عبادة.

س: اذكر بعض ما يستفاد من الحديث.

١- أن الغلو أصل الشرك في الأولين والآخرين إلى يوم القيامة، ولهذا نهى عن تجصيص القبور والبناء عليها والكتابة عليها.

٢- قد أمرنا اللَّه ﷻ بمحبة أوليائه وإنزالهم منازلهم من العبودية، وسلب خصائص الإلهية عنهم، وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم، ونهانا عن الغلو فيهم، فلا نرفعهم فوق منزلتهم ولا نحطهم منها، لما يعلمه تعالى في ذلك من الفساد العظيم، فما وقع الشرك إلا بسبب الغلو فيهم، فإن الشرك بهم غلو فيهم.

س: ما المقصود بالعكوف في قول مجاهد: «فعكفوا على قبره»؟

ج: هو لزوم القبر بتعظيمه، واعتقادا البركة والثواب والنفع ودفع الضر في لزومه. اهـ التمهيد

س: ما مناسبة حديث «لعن رسول اللَّه زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» للترجمة؟

ج: أن اتخاذ المساجد على القبور وإسراجها غلو فيها، فيؤدي بعد ذلك إلى عبادتها.

س: اذكر بعض ما يستفاد من الحديث.

١- تحريم زيارة القبور للنساء على الصحيح من أقوال العلماء. (وسيأتي بيان حكم المسألة).

٢- جواز لعن الفساق على سبيل العموم.

٣- أن الغلو في القبور من الكبائر.

٤- تحريم اتخاذ المساجد على القبور.

٥- تحريم اتخاذ السرج على القبور، وهذا العمل بدعة وفيه إضاعة للمال وفيه تشبه بالمجوس حيث لا تطفأ نارهم. وقد ذكر هذه الأمور الثلاثة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (أحكام الجنائز).

٦- من مقاصد الشريعة سد كل ما يؤدي إلى الشرك.

س: أحكام زيارة القبور أربعة أذكرها إجمالا؟

ج: زيارة القبور على خمسة أقسام:

١- سنية: وهي أن يزورها المسلم متبعا للسنة، فيدعو لأهلها عموما ومعارفه خصوصا، فيكون محسنًا إليهم بالدعاء لهم وطلب العفو والمغفرة والرحمة لهم، ومحسنًا إلى نفسه باتباع السنة وتذكر الآخرة وتذكر المآل والمصير بعد الرحيل من هذه الدنيا الفانية، والاعتبار والاتعاظ فهذه زيارة شرعية.

٢- بدعية: وهي أن يزورها لعبادة اللَّه عندها، فيصلي، أو يدعو أو يذبح للَّه عندها أو يتمسح بها ويتوسل إلى اللَّه بأهلها، كإسراجها والبناء عليها، والغلو فيها وفي أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة فهذه زيارة بدعية ومن وسائل الشرك.

٣- شركية: وهي أن يزورها ليذبح للميت ويتقرب إليه بذلك، أو يزورها لطلب الغوث والنصر منه، أو يزورها لطلب الولد مثلا، فهذا شرك أكبر.

٤- مختلف فيها : وهي (زيارة النساء للقبور) .

اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

القول الأول: الجواز ، وهو قول الحنفية ، واستدلوا بأدلة منها :

١- عموم حديث «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**» .

وأجيب عنه بأنه مخصوص بحديث ابن عباس مرفوعًا : «**لعن اللَّه زائرات القبور**» وكان في مرض موته فهو مخصص للحديث بالنهي عن الزيارة للنساء دون الرجال .

٢- عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : (مرّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال : «**اتقي اللَّه واصبري**» ، قالت : إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ، ولم تعرفه ، فقيل لها : إنه النبي ﷺ ، فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : لم أعرفك ، فقال : «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» . متفق عليه

وجه الدلالة: قال الحافظ في الفتح : (وموضع الدلالة منه أنه ﷺ لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر ، وتقريره حجة) .

وأجيب بأن المرأة لم تخرج للزيارة قطعًا وإنما لم تتمالك نفسها ببقائها في بيتها لعظم مصيبتها ولما علم النبي ﷺعظم مصيبتها وأنها لم تخرج للزيارة أمرها بالصبر قاله ابن عثيمين في القول المفيد .

٣- ما روى مسلم في صحيحه عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت : (كيف أقول يا رسول اللَّه - تعني إذا زارت القبور - قال : «**قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، يرحم اللَّه المتقدمين منّا والمتأخرين ، وإنا إن شاء اللَّه بكم للاحقون**» .

وأجيب عنه بجوابين :

١- أن محمول على من مرت بجوار القبر دون قصد الزيارة.

٢- أنه منسوخ بحديث ابن عباس السابق.

٤- جاء عن ابن أبي مليكة: أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها يا أم المؤمنين: من أين أقلبت؟ قالت: من قبر عبد الرحمن بن أبي بكر، فقلت لها: أليس قد نهى رسول اللَّه ﷺ عن زيارة القبور؟ قالت: بلى ثم أمر بزيارتها» رواه الحاكم والبيهقي.

وأجيب عنه: بأن هذا فهمها، وحديث ابن عباس في مرض موته ﷺ مقدم على فهمها.

القول الثاني: الكراهة. وهو مذهب الشافعية والحنابلة وابن سيرين والشعبي والنخعي.

ومن أدلتهم:

أ- حديث أم عطية قالت: (نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا). متفق عليه

ب- حديث اللعن يدل على التحريم، وحديث الأذن يرفع التحريم ويبقى أصل الكراهة.

ورد عليه أن هذا فهمها وحديث ابن عباس نص في الباب.

القول الثالث: يحرم زيارة القبور للنساء.

وهذا قول أبي إسحاق الشيرازي، والشافعية، وهو اختيار شيخ الإسلام، وقول للمالكية، ورجحه ابن باز وابن عثيمين.

وهو الراجح لأمرين:

أ- حديث ابن عباس: (أن النبي ﷺ لعن زوارات القبور). رواه الترمذي

وفي لفظ: (زائرات القبور).

ب- سدًّا للذريعة، فإن المرأة ضعيفة، فيخشى أن تكون زيارتها سبب في فعلٍ غير مشروع.

س: ما حكم زيارة المسلم لقبر المشرك؟

ج: زيارة قبور المشركين لأخذ العظة والاعتبار دون الدعاء لهم جائزة لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «زار النبي ﷺ، قبر أمه فبكى، وأبكى من حوله، فقال: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستاذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**» رواه مسلم.

س: ما حكم زيارة المشرك لقبر المسلم؟

ج: تجوز زيارة المشرك لقبر المسلم. وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية. لعدم الدليل على المنع ولعل ذلك يكون سببًا في هدايته واللَّه أعلم.

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِلُ إِلَى الشِّرْكِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ **الآيَة** [التوبة: ١٢٨].

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَينِ رضي الله عنه أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَنَهَاهُ وَقَالَ: أَلَّا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُم قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ» رَوَاهُ فِي «الْمُخْتَارَةِ».

س: ما الجناب وما المراد بحمايته؟

ج: الجناب هو: الجانب. والمراد بحمايته صيانته عما يقرب منه أو يخالطه من الشرك وأسبابه.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: هذه الآية فيها ذكر شيء من أوصافه ومحاسنه الكريمة ﷺ التي تقتضي منه النصح لأمته، وتبليغه البلاغ المبين وسدّه كل طريق موصل إلى الشرك، وحمايته جناب التوحيد، غاية الحماية، ومبالغته أشد المبالغة في ذلك لئلا تقع الأمة في الشرك.

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ».

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: دل الحديث على تحريم اتخاذ قبره عيدًا وذلك حماية منه لجانب التوحيد وسد كل طريق يؤدي إلى الشرك.

س: ما معنى قوله في الحديث: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا»؟

ج: قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله (المجموع الثمين ٢/ ١١٦):

«اختلف في المعنى المراد من قوله: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**» على قولين:

القول الأول: أن المعنى لا تدفنوا فيها موتاكم، وهذا ظاهر اللفظ.

ولكنه أُورد على ذلك دفن النبي ﷺ في بيته، وأجيب بأنه من خصائصه.

القول الثاني: أنه لا تجعلوا البيوت مثل المقابر لا تصلون فيها؛ لأن من المتقرر عندهم أن المقابر لا يصلى فيها.

وكلا المعنيين صحيح». أهـ.

ويؤيد القول الثاني حديث: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم...**».

قال شيخ الإسلام: «أي: لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحرِّيها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة».

س: ما معنى قوله في الحديث: «ولا تجعلوا قبري عيدًا»؟

ج: قال شيخ الإسلام: «العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائدًا إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر، أو نحو ذلك».

ومعنى الحديث: النهي عن زيارة قبره على وجه مخصوص، في زمان مخصوص، وذلك يدل على المنع في جميع القبور؛ لأن قبر رسول اللَّه ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيدًا، فقبر غيره أولى بالنهي كائنًا من كان.

س: ما معنى قوله في الحديث: «وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»؟

ج: قوله: «**صلّوا علي**»: أمر، أي: قولوا: اللهم صلّ على محمد.

قال شيخ الإسلام في قوله (وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني): «يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم، فلا حاجة منكم إلى اتخاذه عيدًا». أهـ

وقد روى أبو داود عن أبي هريرة مرفوعًا: «**ما من أحد يسلم علي إلا ردّ اللَّه عليّ روحي حتى أرد عليه السلام**».

فإن قيل: كيف تبلغه الصلاة عليه؟

ورد حديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن للَّه ملائكة سياحين يسيحون في الأرض يبلِّغون النبي ﷺ سلام أمته عليه**». رواه النسائي، وقال ابن القيم: «إسناده صحيح».

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَينِ رضي الله عنه أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَنَهَاهُ...

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: فيه النهي عن قصد قبر النبي ﷺ لأجل الدعاء عنده، فغيره من القبور من باب أولى؛ لأن ذلك نوعًا من اتخاذها عيدًا وهو وسيلة إلى الشرك.

س: ما حكم شد الرحل لزيارة قبر النبي ﷺ مع الدليل؟

ج: محرم.

لما جاء في الصحيح من حديث أبي سعيد، وأبي بصرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**» متفق عليه.

* * *

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ

وَقَوْلِهِ تعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟». أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّه زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ، وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَلَّا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَلَّا يُسَلِّطَ عَلَيهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَلَّا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَلَّا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

وَرَوَاهُ البَرْقَانِيُّ فِي صَحِيحِهِ وَزَادَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَةَ

الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَضِعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُم يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأَتِيَ أَمْرُ اللَّه -تبَارَك وَتَعَالَى-».

س: اذكر مقصود المؤلف بهذا الباب؟

ج: قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مقصود هذه الترجمة الحذر من الشرك والخوف منه، وأنه أمرٌ واقع في هذه الأمة لا محالة، والرد على من زعم: أن من قال لا إله إلا اللَّه، وتسمى بالإسلام أنه يبقى على إسلامه ولو فعل ما ينافيه من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم».

ويشمل الرد على من يزهّد في تدريس العقيدة للمسلمين بحجة أنه لا داعي لذلك في بلاد الإسلام.

س: كيف نجمع بين ما جاء من نصوص تدل على وقوع الشرك في هذه الأمة ومنه حديث ثوبان الوارد في الباب وغيره، وبين ماورد في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت الرسول ﷺ يقول: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم» رواه مسلم؟

ج: في ذلك أقوال أشهرها أربعة:

١- أن الشيطان هو الذي أيس بنفسه وقد أخطأ يأسه حيث خالفه الواقع. وبه قال الشيخ ابن عثيمين

٢- أن المقصود أيس من الردة الكاملة من جميع المسلمين. وهذا جواب الحافظ ابن رجب والشيخ عبدالله أبا بطين.

٣- المراد أن الشيطان لا يطمع أن يعبده المؤمنون في جزيرة العرب فمن كان بهذه الصفة فلا مطمع فيه. وهذا جواب الألوسي.

٤- أن المقصود بالمصلين هم الصحابة. ذكره الألوسي أيضًا.

وأقوى الأقوال الأول والثاني. انظر في تفصيل ما مضى كتاب: (أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح للدبيخي ص**٢٦٢** وما بعدها).

س: ما وجه المناسبة من الآيتين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ **وقوله تعالى:** ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾ **للباب؟**

ج: أنه إذا كان قد حصل الإيمان بالجبت والطاغوت من أهل الكتاب فسيقع في هذه الأمة لأن النبي ﷺ أخبر أن ما وقع فيهم سيقع في هذه الأمة كما قال في حديث أبي سعيد الخدري: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**». اهـ من التمهيد.

س: ما وجه الاستدلال من هذه الآية: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ **للباب؟**

ج: دلت الآية على أن أهل الكتاب قد بنوا المساجد على القبور، وقد لعنهم النبي ﷺ من أجل ذلك لما أفضى بهم عملهم هذا إلى عبادة أصحابها، وقد ثبت أن هذه الأمة ستعمل ما عمله أهل الكتاب.

س: ما مناسبة حديث أبي سعيد ﵁: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» للباب؟

ج: دلّ الحديث على أن هذه الأمة ستعمل ما عمله أهل الكتاب، ومن عمل أهل الكتاب عبادة الأوثان.

س: ما مناسبة إيراد حديث ثوبان ﵁ في الباب:

ج: دلّ الحديث على أن هذه الأمة سيقع فيها الشرك باللَّه وذلك من ثلاثة أوجه:

١- قوله ﷺ: «**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**».

فالأئمة المضلون من الأمراء والعلماء وقضاة السوء والعباد الجهلة وغيرهم يملكون زمام الناس في الطاعة والإتباع فيضلونهم بالبدع والشركيات، وقد كثروا في هذه الأمة كما خافه النبي ﷺ على أمته.

٢- قوله ﷺ: «**حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين**».

وهو يشمل اللحوق البدني والحكمي، فإما أن يرتدوا ويذهبوا إلى بلاد الكفر، وهو البدني، وأما أن يرتدوا ويبقوا في بلاد المسلمين.

٣- قوله ﷺ: «**وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**».

وقد وقع ما أخبر به ﷺ، فعبد جهال هذه الأمة قبور الصالحين وغيرهم بأنواع من العبادة؛ كالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة والطواف وغير ذلك، وسموا ذلك توسلًا وتقربًا إلى الصالحين وهذا باطل، فمن عبد غير اللَّه فقد اتخذه وثنا، ووقع في الشرك الأكبر.

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قَالَ عُمَرُ: الْجِبْتُ: السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ.

وَقَالَ جَابِرٌ: الطَّوَاغِيتُ: كُهَّانٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ؛ فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّه إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يومَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ الْمُؤمِنَاتِ».

وَعَنْ جُنْدُبٍ مَرْفُوعًا: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَربَةٌ بِالسَّيف» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ.

وَفِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبْدَةَ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ. قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ.

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رضي الله عنها: (أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا، فَقُتِلَتْ).

وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدُبٍ. قَالَ أَحْمَدُ: صَحَّ عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.

س : عرف السحر لغة واصطلاحًا ، مع شرح التعريف الاصطلاحي ؟

السحر لغة : ما خفي ولطف سببه ، ومنه سمي آخر الليل سحَرًا لأن الناس يختفون فيه .

واصطلاحًا : عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيُمْرِض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه .

الشرح :

(**العزائم**) : نوع من أنواع الرقى الشركية تكتب في الوراق .

(**رقى**) : وهي الرقى الشركية ولا يلزم أن تكون مكتوبة .

(**العقد**) : هي التي يعقدها الساحر في الخيط وغيره .

(**يؤثر في القلوب والأبدان فيُمْرِض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه**) : وكل هذا بإذن اللَّه ﷻ قال تعالى : ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ . وأهل السنة يثبتون أن السحر حقيقي ومنه ما هو تخييلي خلافًا للمعتزلة الذين لا يثبتون إلا التخييلي . وسحر لبيد بن الأعصم للنبي ﷺ دليل على إثبات النوعين .

س : لماذا عقد المؤلف بابًا مستقلًّا للسحر في كتاب التوحيد؟

لأن السحر لا يحصل إلا عن طريق الشرك والكفر باللَّه ﷻ من ادعاء علم الغيب ، والذبح لغير اللَّه والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة بغير اللَّه وسب الدين والنبي ﷺ وإهانة المصحف وغير ذلك وهذا كله مناف للتوحيد ، وليحذر منه وما يوصل إليه .

س : اختلف العلماء في كفر الساحر على قولين . اذكرهما مع نسبة كل قول لقائله وذكر الأدلة والراجح في المسألة وسبب الترجيح؟

القول الأول : يكفر كفرًا مطلقًا . وبه قال أبو حنيفة وأحمد في رواية وطائفة من السلف .

من أدلتهم :

قوله تعالى : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ ، ولأن السحر لا يقع إلا بعد كفر بالله .

القول الثاني : الاستفصال من الساحر : فإذا تعلم السحر يقال له : صف لنا سحرك ، فإن وصف ما يستوجب الكفر مثل سحر أهل بابل ، من التقرب للكواكب ، وأنها تفعل ما يطلب منها ، فهو كافر ، وإن كان لا يصل إلى حد الكفر واعتقد إباحته ، فهو كافر لاستحلاله المحرم ، وإلا فلا .

وبه قال الشافعي ومالك في رواية وداود الظاهري .

ودليلهم : أن الأصل عدم الكفر إلا بدليل واضح بين .

القول الراجح : الكفر وما ذكره القائلون بالاستفصال مرجعه للقول الأول لأنه إن لم يكن عملًا سحريًا فهو شعوذة .

س : ما حكم تعلم السحر ، اذكر الخلاف في المسألة بالتفصيل وذكر الراجح وسبب الترجيح؟

اختلف أهل العلم في المسألة على قولين :

١- قول الجمهور : يحرم تعلمه ؛ لأنه كفر بالله قوله تعالى : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ ، فلا يتعلمه إلا بالاستعانة

بالشياطين والجن، وللآية: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾.

٢- قول أبي حنيفة: أنه جائز إذا كان المقصد حسنًا، كحل السحر عن المسحور بسحر مثله.

ومنهم من أوجب تعلمه، كالرازي في تفسيره آية البقرة.

القول الراجح: القول الأول وهو قول الجمهور.

سبب الترجيح: أنه لايمكن حصوله إلا بعد الكفر باللَّه.

س: اختلف العلماء في قتل الساحر على قولين. اذكرهما بالتفصيل مع ذكر الراجح؟

القول الأول: حكمه القتل.

وبه قال أبو حنيفة ومالك وروي عن عمر وعثمان وابن عمر وجندب بن عبداللَّه وجندب بن كعب وقيس بن عمرو وعمر بن عبدالعزيز.

من أدلتهم:

أثر جندب وبجالة حفصة أم المؤمنين زوج النبي ﷺ التي أوردها المصنف في الباب.

- من حكم بقتلهم اختلفوا هل يقتلون حدًّا أم ردة أم تعزيرًا.

القول الثاني: لايقتل بمجرد السحر. وبه قال الشافعي وأحمد في رواية وهو قول ابن المنذر.

من أدلتهم:

أ- أن عائشة رضي الله عنها باعت مدبرة سحرتها ولم تقتلها.

وأجيب أن هذا اجتهاد معارض للنصوص الصريحة في قتلهم.

ب- عموم حديث: «**لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إيمان أوزنى بعد إحصان أو قتل نفس بغير حق**» ولم يصدر منه أحد الثلاثة.

وأجيب بأن هذا الحديث لا يفيد الحصر بدليل أن الشرع أمر بقتل بعض الأصناف تعزيرًا ولم يرد هذا في الحديث السابق.

ث- قصة لبيد بن الأعصم الذي سحر النبيﷺ ولم يقتله.

وأجيب بأن ترك النبي ﷺ قتله من باب السياسة الشرعية، بدليل قتله للزاني اليهودي الذي أخفى آية الرجم كما في الصحيح.

الراجح: أنّ حكمهم القتل.

قال الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في المجموع الثمين **(٢/ ١٣٣)**:

«السحرة يجب قتلهم، سواء قلنا بكفرهم أم لا، لعظم ضررهم وفضاعة أمرهم، فالقول بقتل السحرة موافق للقواعد؛ لأنهم يسعون في الأرض فسادًا وفسادهم من أعظم الفساد» اهـ.

س: هل يستتاب الساحر؟ اذكر الخلاف بالتفصيل مع ذكر الراجح وسبب الترجيح؟

القول الأول: لا يستتاب.

وهو قول الجمهور ومنهم أبو حنيفة ومالك وأحمد في المشهور ورجحه ابن باز وابن عثيمين.

لأن الصحابة لم يستتيبوا الساحر فيقتل وتوبته بينه وبين اللَّه.

القول الثاني: يستتاب وتقبل توبته.

وهو قول الشافعي وأحمد في رواية.

لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك والمشرك يستتاب والإسلام يجب ما قبله.

الراجح: القول الأول.

وهم لا يؤمن منهم الكذب وسحرهم ربما تسبب في قتل المسحور فيقتلون ولو تابوا.

س: عدد شيئًا من العلامات التي يعرف بها الساحر؟

١- يسأل المريض عن اسمه واسم أمه.

٢- يأخذ من أثار المريض (منديل - طاقية - شماغ)

٣- يتمتم بكلام غير مفهوم ولا مسموع.

٤- يأمره بدفن أشياء معينة تحت التراب.

٥- يأمره بالاعتزال عن الناس.

٦- يصب الرصاص على رأس المريض.

٧- يأمره بعدم قراءة القرآن، واستهانته بوضعه في المرحاض وتلطيخه بالنجاسات ويأمره بسب اللَّه ورسولهﷺ وترك الصلاة.

٨- يأمر المريض بالتبخر في وقت مخصوص وشكل مخصوص.

٩- يخبره بموضع الألم.

١٠-التمويه بالحبوب الطبية عند حل السحر.

١١- يطلب من المريض أن يذبح حيوانًا بصفة معينة لا يذكر اسم اللَّه عليه.

١٢- يعطي المريض حجابًا ملفوف في جلد ونحوه مشتمل على استغاثات شركية.

١٣- يدّعي أنه يجمع بين المتفرقين ويؤلف بين المتخاصمين.

بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانَ بْنِ العَلَاءِ، حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ».

قَالَ عَوْفٌ: العِيَافَةُ: زَجرُ الطَيْرِ، وَالطَّرْقُ: الْخَطُّ يُخَطُّ بِالأَرْضِ.

وَالْجِبْتُ: قَالَ الْحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيْطَانِ. إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

وَلأَبِي دَاودَ وَالنَّسَائِيِّ وَابْنِ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ الْمُسْنَدُ مِنْهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعَبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا».

س: ما علاقة هذا الباب بالذي قبله؟

ج: هي أنه لما ذكر المؤلف حكم السحر ذكر شيئًا من أنواعه إما في الحكم كالعقد عند السحر وكالتنجيم أو فيه شبه بالسحر من جهة الخفاء

والتأثير دون الكفر.

س: عن النبي ﷺ قال: «إن العيافة والطرقة والطيرة من الجبت» بين ﷺ في الحديث ثلاثة أمور، كلها داخلة في مسمى السحر فاذكرها وما العلاقة بينها وبين السحر؟

ج:

١- العيافة، وهي زجر الطير؛ أي: تهييجه والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وقد كانت العرب تفعل ذلك من باب التشاؤم والتفاؤل. إذا أرادوا فعل أمر كسفر أو تجارة أتوا إلى الغربان أو الحمام أو غيرهما فينفرونهما أو يزجرونهما فإذا طارت باتجاه اليمين تفاءلوا وأقدموا على هذا الأمر، وإذا اتجهت نحو الشمال تشاءموا وأحجموا عن هذا الأمر.

٢- الطرق، وهو ما يخطه الرمالون الكذابون ويدعون به علم الغيب، ويدخل في ذلك قراءة الكف والفنجان، وتحديد المستقبل من الأبراج ونحوها، وإن كان ذلك من باب التسلية، وعلى المسلم ألا يصدق هؤلاء الكذابين، فعلم الغيب مما اختص اللَّه سبحانه بعلمه، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾.

٣- الطيرة وهي التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم، كاعتقاد أن البومة إذا مرت على دار ونعقت فسيموت أحد من أهل هذه الدار، وكذلك التشاؤم ببعض أيام الشهر أو بعض شهور السنة، وقد حذر ﷺ منها فقال: «**الطيرة شرك**» [رواه الترمذي] لما فيها من تعلق القلب بغير اللَّه.

وبهذا يظهر أن العيافة والطرق والطيرة من السحر، وذلك أن السحر

اسم لما خفي ولطف سببه، والاعتماد في هذه الأمور الثلاثة على أمر خفي ولأن بعض هذه الأعمال قد تصل بصاحبها إلى الكفر الأكبر.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ».

س: ما وجه الدلالة من الحديث؟

ج: دلّ على تحريم تعلم علم النجوم لمن يدعي به معرفة علم الغيب وأن ذلك من السحر لأن المنجّم والساحر يشتركان في دعوى علم الغيب والتأثير على الناس بأمر خفي.

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ».

س: ما وجه الدلالة من الحديث؟

ج: أن من أنواع السحر ما يكون عن طريق العقد وبيان ذلك أن السحرة إذا أرادوا السحر عقدوا الخيوط ونفقوا فيها على كل عقدة حتى ينعقد ما يريدون من السحر، والنفث هو النفخ مع ريق وهو دون التفل.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ».

س: ما وجه ذكر النميمة في أنواع السحر؟

ج: وجه ذكرها في أنواع السحر أن النمام يقصد الأذى بكلامه وعمله على وجه المكر والحيلة فأشبهت السحر لمشاركتها له في التفريق بين الناس.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا».

س: ما البيان المقصود في الحديث؟ ولماذا شبه بالسحر؟

ج: البيان المقصود في الحديث هو البيان المذموم وهو: الذي يجعل الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق، يستميل صاحبه قلوب الجهال حى يقبلوا الباطل وينكروا الحق. وشبه بالسحر لشدة عمله في سامعه وسرعة قبول القلب له.

❋ ❋ ❋

بَابُ مَا جَاء فِي الكُهَّانِ وَنَحْوِهِم

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا».

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ.

وَلِلأَرْبَعَةِ وَالْحَاكِمِ وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا [عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ».

وَلأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَو تُطُيِّرَ لَهُ، أَو تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَو سَحَرَ أَو سُحِرَ لَهُ؛ وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» رَوَاهُ البَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الأَوْسَطِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ دُونَ قَوْلِهِ: «وَمَنْ أَتَى...» إِلَى آخره.

قَالَ البَغَوِيُّ: العَرَّافُ: الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: هُوَ الكَاهِنُ؛ وَالكَاهِنُ: هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقبَلِ.

وَقِيلَ: الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ بْنُ تَيْمِيَّةَ: العَرَّافُ: اسْمٌ لِلكَاهِنِ وَالْمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ «أَبَا جَاد» وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ: مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللَّه مِنْ خَلَاقٍ. [رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي المُصَنَّفِ].

س: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن الكهانة لا تخلو من الشرك المنافي للتوحيد، من جهة دعوى مشاركة اللَّه تعالى في علم الغيب الذي اختص به، ومن جهة التقرب إلى غير اللَّه كاستخدام الشياطين والاستعانة بهم.

س: ما هو الجمع بين قوله ﷺ: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا وبين قوله ﷺ: «فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»؟.

اختلف أهل العلم في الجمع بينهما على قولين:

القول الأول: أن الوعيد على عدم قبول الصلاة محمول على مجرد مجيء العراف وسؤاله لأن في بعض روايات الصحيح لم يذكر فيها لفظ: «فصدقه»، والوعيد بالكفر محمول على مجيئه وتصديقه.

وهو قول الشيخ سليمان بن عبداللَّه صاحب تيسير العزيز الحميد ورجحه ابن باز.

القول الثاني: لايكفر وهو قول عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن كما نقل عنه في الرسائل والمسائل النجدية ٣/ ١٥، ورجحه الشيخ صالح آل الشيخ في التمهيد.

لما روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ قال: «**من أتى عرافًا، فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**».

وزيادة فصدقه وإن لم تثبت في مسلم فإنها ثابته عند أحمد في المسند ٤/ ٦٨. فالكافر لا تقبل صلاته أصلًا مالم يسلم. وأما الكفر الوارد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول كفر بما أنزل على محمد ﷺ**». فإنه محمول على الكفر الأصغر جمعًا بين الحديثين.

أمَّا الإتيان للكاهن وتصديقهم في أمر غيبي مطلق، فإنه كفرٌ بالله؛ لأنه صدقه في دعوى علمه بالغيب، وتصديق البشر في دعوى علم الغيب تكذيب، لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾.

س: ما حكم الإتيان المجرد للسحرة دون تصديقهم؟

ج: حكمه التحريم. سدًا للذرائع. ولعموم حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله: وإن منا رجالًا يأتون الكهان قال ﷺ: «**فلا تأتهم**» رواه مسلم.

س: ما حكم الإتيان للسحرة لأجل امتحانهم وفضح أمرهم؟

ج: جائز بقيد وهو أن يكون من أهل العلم الأقوياء وقد امتحن النبي ﷺ ابن صياد وقال ﷺ له: «**إخسأ فلن تعدو قدرك**». وكشف زيفهم وباطلهم من أهل العلم من باب إنكار المنكر.

وقد أنكر السلف على من وقع في مخالفات لا تصل لمخالفات الكهان حماية للدين ونصحًا لعموم المسلمين.

وإليكم جملة من الآثار الواردة عن السلف في الحث على التصدي لأهل البدع ما داموا على باطلهم والكهّان من باب أولى:

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سياق كلامه عن من يزعم القول بخلق القرآن: «كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء فلما أظهروه لم نجد بدًّا من مخالفتهم والرد عليهم» اهـ. نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد ١/ ٥٣٨.

وقال ابن الجوزي عن الإمام أحمد: «وقد كان الإمام أحمد لشدة تمسكه بالسنة ونهيه عن البدعة يتكلم في جماعة من الأخيار إذا صدر منهم ما يخالف السنة وكلامه في ذلك محمول على النصيحة في الدين» اهـ. المدخل لابن بدران١/ ١٠١. وروى اللالكائي بسنده عن عاصم الأحول قال: قال قتادة: يا أحول إن الرجل إذا ابتدع بدعة ينبغي لها أن تذكر حتى تحذر» اهـ. اعتقاد أهل السنة١/ ١٣٦

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أترغبون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس» اهـ. فتاوى ابن تيمية ٢٨/ ٢١٨.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلابد من التحذير من تلك البدع وان اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق لكن قالوها ظانين أنها هدى وأنها خير وأنها دين ولم تكن كذلك لوجب بيان حالها» اهـ. فتاوى ابن تيمية٢٨/ ٢٣٣.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَو تُطُيِّرَ لَهُ، أَو تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَو سَحَرَ أَو سُحِرَ لَهُ؛ وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ».

س: ما معنى قوله في الحديث: أو تكهن أو تكهن له؟.

ج: قوله: «**أو تكهن**» أي: فعل الكهانة، وقوله: «**أو تكهن له**» أتى

الكاهن وسأله فصدقه.

س: اذكر الفرق بين العراف والكاهن والمنجم والرمال؟

ج: هذه الأسماء لمن ادعى معرفة شيء من علم الغيب لكن طرقهم مختلفة.

فالعراف: هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل هو الكاهن.

والكاهن: هو الذي يأخذ عن مسترق السمع ويخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل هو الذي يخبر عما في الضمير.

والمنجم: هو الذي يستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.

والرمال: هو الذي يدعي معرفة المغيبات بطريق الضرب بالحصى والخط في الرمل.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ «أَبَا جَاد» وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ: مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللَّه مِنْ خَلَاقٍ.

س: تعلم حروف (أبا جاد) وكتابتها تنقسم في حكمها إلى نوعين، اذكرهما.

ج:

الأول: مباح وذلك إذا كانت كتابتها وتعلمها للتهجي وحساب الجمل

كمن يدون تواريخ المواليد والوفيات وذلك باستعمال حروف (أبجد هوز . . .) التي وضعت في مقابل الأرقام الحسابية .

الثاني : محرم ، وذلك إذا كانت كتابتها وتعلمها على وجه ادعاء علم الغيب ، والنظر في النجوم لمعرفة الحوادث الأرضية من فقر ومرض وغلاء أسعار وغير ذلك .

وهذا النوع هو الذي قال فيه ابن عباس رضي الله عنهما أن من فعله ليس له نصيب عند اللَّه ؛ لأن ذلك داخل في حكم العرافين مدعي علم الغيب .

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ، فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيطَانِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَأَبُو دَاودَ وَقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا فَقَالَ: ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ.

وَفِي البُخَارِيِّ عَنْ قَتَادَةَ: قُلْتُ لابْنِ الْمُسَيَّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤْخَذُ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَو يُنَشَرُ؟ قَالَ: (لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الإِصْلَاحَ فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ).

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَحِلُّ السِّحْرَ إِلَا سَاحِرٌ.

قَالَ ابْنُ القَيِّم: النُّشْرَةُ حَلُّ السِّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ: حَلُّ السِّحْرِ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيطَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَولُ الْحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيطَانِ بِمَا يُحِبُّ؛ فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ الْمَسْحُورِ.

وَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالأَدْوِيَةِ وَالدَّعَوَاتِ الْمُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ.

س: اذكر مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن بعض أنواع النشرة من السحر الذي لا يحصل إلا بالشرك المنافي للتوحيد.

س: عرف النشرة لغة وشرعًا، ولماذا سميت بهذا الاسم؟ ثم اذكر نوعيها.

ج: النشرة لغة: الكشف والإزالة. وشرعًا: حل السحر عن المسحور وسميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء أي يكشف ويزال.

والنشرة على نوعين:

الأول: محرم، وهو: حل السحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان وعليه تحمل آثار الباب، فيتقرب الساحر والمسحور بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.

الثاني: جائز، وهو: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة.

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ، فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيطَانِ»

س: مناسبة الحديث للباب؟

ج: أنه دل على تحريم النشرة التي هي من عمل الشيطان، وهي نشرة الجاهلية.

سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا فَقَالَ: ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ.

س: مناسبة الأثر للباب؟

ج: أنه دل على أنَّ ابن مسعود رضي الله عنه يرى تحريم النشرة التي هي من عمل الشيطان، وهي نشرة الجاهلية.

عَنْ قَتَادَةَ: قُلْتُ لابْنِ الْمُسَيَّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤْخَذُ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ

عَنْهُ أَو يُنَشَرُ؟ قَالَ: (لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الإِصْلَاحَ فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ)..

س: مناسبة الأثر للباب؟

ج: أنه دل على أنَّ ابن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ عنه يرى تحريم النشرة التي هي من عمل الشيطان، وهي نشرة الجاهلية، ولكن سيأتي ما يدل على أنه يرى الجواز.

س: روى عن الحسن أنه قال: «لا يحل السحر إلا ساحر». ما مناسبة الأثر للباب؟

ج: أنه دل على أنَّ الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ عنه يرى تحريم النشرة التي هي من عمل الشيطان، وهي نشرة الجاهلية.

س: اختلف أهل العلم في حكم حل السحر بسحر مثله. اذكر أقوالهم وأدلة كل فريق والرد على المخالف وذكر الراجح في المسألة؟

ج: اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: لا يجوز حل السحر بسحرٍ مثله. وبه قال الحسن البصري وعليه فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم واللجنة الدائمة والشيخ ابن باز وابن عثيمين والفوزان.

واستدلوا بأدلة منها:

١- حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ سئل عن النشرة؟ فقال: «**هي من عمل الشيطان**» فنسبتها للشيطان تقبيح لها، فهذا دليل على المنع.

٢- حديث أم الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تعالى**

خلق الداء والدواء، فتداووا ولا تتداووا بحرام» والسحر من الحرام.

٣- أن حلها بالسحر يتضمن دعوة الجن والاستعانة بهم وهذا من الشرك الأكبر، قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾

٤- النصوص المتضافرة التي تقدمت في الأبواب السابقة الدالة على تحريم سؤال السحرة وتصديقهم والذهاب إليهم.

٥- الآثار المتقدمة الواردة في قتل الساحر، فلو كان في إبقائهم خير لرخص في بقاء بعضهم لفك السحر

القول الثاني: جواز حل السحر بسحر مثله. وهو قول سعيد بن المسيب والطبري وبعض فقهاء الحنابلة، وهو قول عطاء الخراساني إلا أنه قيد الجواز بالضرورة.

واستدلوا بأدلة منها:

١- قول الحسن البصري: «لا يحل السحر إلا ساحر فليس هناك طريق إلا طريق السحرة» فدل هذا على الجواز.

فالجواب: كلام الحسن يحتمل احتمالين:

أ - جواز حل السحر بمثله. ب - التحذير من هذا الأمر.

والصحيح أنه يقصد المنع من الذهاب إلى السحرة، ومما يدل على هذا، ما جاء في مصنف ابن أبي شيبة (**٨/ ٢٩**) عن الحكم بن عطية قال: سألت الحسن عن النشرة؟ فقال: من عمل الشيطان.

وكذلك لو ثبت أن الحسن يقصد جواز الذهاب إليهم فالعبرة بالدليل.

٢- أن التداوي بالمحرمات كالميتة والخنزير والخمر جائز عند الضرورة، فيقاس عليها حل السحر بمثله؛ بجامع الضرورة في كلٍ منهما.

والجواب: أن الحل له طرق بخلاف الأول (فليست هناك ضرورة بخلاف أكل الميتة، مع أن فيها خلاف)

٣- أن التكلم بالكفر حال الإكراه جائز، فيقاس عليه حل السحر بمثله؛ بجامع الضرورة في كلٍ.

والجواب: أن الكفر مستثنى حال الضرورة بدليل شرعي، والسحر لم يرد دليل يستثنيه.

٤- الاستدلال بحديث عائشة أنها قالت لرسول اللَّه ﷺ: «**فهلاَّ تنشرت**» رواه البخاري.

والنشرة: حل السحر بمثله.

والجواب: أن النشرة تحتمل عدة احتمالات، ومنها:

- حل السحر بمثله.
- حل السحر بالعقاقير والأدوية.
- حله بالأذكار الشرعية.
- حله بالجد في البحث عنه وإتلافه.

فلماذا يصار إلى المعنى الممنوع مع صراحة الأدلة المانعة.

الراجح: القول الأول؛ لصراحة الأدلة، وسدًّا للذرائع.

انظر فيما مضى كتاب: (رسالة في حكم حل السحر بالسحر للشيخ وليد بن راشد السعيدان).

س: ما العلاج الشرعي للسحر قبل وبعد وقوعه؟

علاج السحر ينقسم إلى قسمين:

الأول: اتقاؤه قبل وقوعه: ويكون بالتحصن بالأوراد الشرعية والأدعية النبوية، ومنها:

- قراءة المعوذتين ثلاث مرات في الصباح والمساء وعند النوم.

- قراءة آية الكرسي في الصباح والمساء.

- قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة، لقوله ﷺ: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**» أي: كفتاه من كل شر رواه البخاري.

- قول: «**باسم اللَّه الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم**» ثلاث مرات في الصباح والمساء [رواه أبو داود].

- قول: «**أعوذ بكلمات اللَّه التامات من شر ما خلق**» ثلاث مرات في الصباح والمساء [رواه أبو داود].

- **ومن سبل الوقاية من السحر**: أكل سبع تمرات من تمر العجوة على الريق صباحا. لقوله ﷺ: «**من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر**» رواه البخاري ومسلم. قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقًا على هذا الحديث: وفي رواية: «**مما بين لابتيها**» يعني من جميع تمر المدينة، العجوة وغير العجوة كما رواه مسلم في الصحيح، ويرجى أن ينفع اللَّه بذلك التمر كله، لكن نص على المدينة لفضل ثمرها والخصوصية فيه، ويرجى أن اللَّه ينفع ببقية التمر إذا تصبح بسبع تمرات.

الثاني: علاجه بعد الوقوع ويكون بأمور منها:

- التوكل على اللَّه.

- اللجوء إليه بكثرة الدعاء

- الرقية الشرعية، وقد يتحدث الجني فيخبر عن مكان السحر لكن لا ينبغي الركون إلى كلامه فإن المفسد لا يؤمن منه الكذب.

- الجد والاجتهاد في البحث عن مكانه.

- حله بالاستفراغ والحجامة.

- حله بالأدوية التي ثبت نفعها بالتجربة. يدل عليه ما رواه ابن أبي حاتم مما فيه قراءة آيات السحر على المسحور وما نقله ابن بطال عن وهب بن منبه أنه يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه... الخ.

اختلف العلماء في حكمه على قولين:

الأول: أنه لا يشرع؛ لأن الرقية عبادة والعبادة متوقفة على النص، فلا يجوز الرقية إلا بالنص، وكذلك لا يقال: أن هذه الأدوية ثبت نفعها بالتجربة، فهذا لا يسلم به، فهذا ينفع وهذا لا ينفع، وهذا عليه فتوى الشيخ الألباني.

الثاني: لا بأس به؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾

وكذلك حديث «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا**» وبه قال ابن باز.

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

وَقَوْلِهِ: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ الآيَةُ [يس: ١٩].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ» أَخْرَجَاهُ.

زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ».

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ».

وَلأَبِي دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنْ عُقبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسْنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ. وَمَا مِنَّا إِلَّا ... وَلَكِنَّ اللَّه يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ وَالتِّرمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَجَعَلَ آخِرَه مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

وَلأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ

إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ».

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الفَضْلِ بْنِ العَبَّاسِ رضي الله عنه: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ». [رَوَاهُ أَحْمَدُ].

س: ما مناسبة الباب لكتاب التوحيد؟

ج: لما كانت الطيرة بابًا من الشرك، منافيًا للتوحيد أو لكماله، ولأنها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ذكره المصنف في كتاب التوحيد تحذيرًا منها وإرشادًا إلى كمال التوحيد بالتوكل على اللَّه عز وجل.

س: عرف التطير، وما الفرق بينه وبين الطيرة؟ وما حكمه؟

ج: التطير: هو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم.

(بمرئي): كالتشاؤم بالأرقام، والطيور والألوان.

(أو مسموع): كالتشاؤم من المسافر بما يسمع من كلام سيء

(أو معلوم): كالتشاؤم بالأيام والشهور.

الفرق بين الطيرة والتطير:

التطير: هو الظن السيئ الذي في القلب (فهو أمر قلبي)

الطيرة: الفعل المترتب على الظن السيئ.

وحكم التطير:

- شرك أكبر إذا اعتقد أن المتشاءم به يضر وينفع بذاته.

- شرك أصغر إذا اعتقد أن المتشاءم به سبب في جلب الخير أو الشر أو دفعهما.

س : انقسم الناس في الطيرة إلى ثلاثة أقسام. اذكرها مع بيان حكم كل قسم؟

أقسام الناس في الطيرة :

١- من يتطير ويستجيب لداعي التطير.

فحكمه : [محرم].

٢- من لا يستجيب لداعي التطير ولكنه يمضي في قلق ويخشى من تأثير الطيرة.

فحكمه : [لا يصل لمرتبة التحريم فهو أخف مما سبق ولكنه ينبغي عليه أن يقوي اعتماده على اللَّه تعالى].

٣- من لا يتطير ولا يستجيب لداعي التطير.

فهذا : [أفضل الأقسام وهم من حققوا التوحيد]

- ويدل عليه حديث عمران بن الحصين ﵁ في أوصاف محققي التوحيد وفيه : «**لايسترقون ولايتطيرون ولايكتوون وعلى ربهم يتوكلون**» رواه البخاري ومسلم.

قال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ، **وقال سبحانه :** ﴿قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾.

س : ما مناسبة الآيتين للباب؟

ج : أنهما دلتا على أن التطير من أعمال الكفار وقد ذمهم اللَّه به ومقتهم عليه.

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ

وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ» .

س : ما مناسبة الحديث للباب؟

ج : دل الحديث على إبطال التطير .

س : اذكر شيئًا من فوائد الحديث .

من فوائد الحديث :

١- أن الأمراض لا تعدي بنفسها ، وإنما بقضاء اللَّه وقدره .

٢- إبطال التطير وتأثيره .

٣- إبطال زعم الجاهلية في طير الهامة .

٤- إبطال التشاؤم في شهر صفر .

٥- إبطال ما زعمه أهل الجاهلية في الأنواء والغيلان .

٦- وجوب التوكل على اللَّه والاعتماد عليه .

٧- أن من تحقيق التوحيد الحذر من الوسائل المفضية إلى الشرك .

عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ» قَالُوا : وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ : «الكَلِمَةُ الطَيِّبَةُ» .

س : ما مناسبة الحديث للباب؟

ج : دل الحديث على إبطال التطير وتأثيره .

س : ما الفرق بين الطيرة والفأل؟

ج : من الفروق بينهما :

١- الطيرة منهي عنها ، والفأل مندوب إليه .

٢- الطيرة فيها سوء ظن باللَّه تعالى، والفأل فيه حسن ظن باللَّه تعالى.

٣- الطيرة تكون فيما يضر، والفأل يكون فيما يسر.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحْدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

ما مناسبة الحديث للباب؟

س: **دل الحديث على إبطال الطيرة لأنها تعليق للقلب بغير اللَّه.**
اذكر شيئًا من فوائد الحديث.

من فوائد الحديث:

١- استحباب التفاؤل.

٢- إبطال الطيرة وأحسنها الفأل.

٣- نفي تعلق القلب بغير اللَّه في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد.

٤- الاستعانة باللَّه على فعل التوكل وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سببًا لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها.

٥- التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول اللَّه وقوته ومشيئته.

٦- مشروعية هذا الدعاء لمن وقع في قلبه شيء من التطير.

٧- أن الخير والشر مقدر من اللَّه.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ. وَمَا مِنَّا إِلَّا...

وَلَكِنَّ اللَّه يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» .

س : ما مناسبة الحديث للباب؟

فيه بيان أنّ الطيرة شرك إمّا أكبر إذا اعتقد أن المتشاءم به يضر وينفع بذاته، أو شرك أصغر إذا اعتقد أن المتشاءم به سبب في جلب الخير أو الشر أو دفعهما .

عَنِ ابْنِ عَمْرٍو : «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» قَالُوا : فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ : «أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» .

س : ما مناسبة الحديث للباب؟

ج : دل الحديث على شرك من ردته الطيرة عن المضي في حاجته .

عن الفضل بن عباس رضي الله عنه قال : «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك» .

س : ما مناسبة الأثر للباب؟

ج : دل الأثر على تحريم الطيرة إذا منعت صاحبها أو دفعته .

س : عدد ثمانية من صور التطير؟

ج : التطير بالغراب والصرد والثور مكسور القرن وبعض الأسماء وفتح الآي وأحوال المسلمين والتطير برؤية الأعور ويوم الأربعاء وشوال .

س : ما العلاج الشرعي لداء الطيرة؟

ج : دواء الطيرة يكون بأمور منها :

١- تمام التوكل على اللَّه .

٢- الاتيان بالذكر الوارد ولزوم الدعاء .

٣- الاستخارة .

٤- الإيمان بالقدر .

٥- حسن الظن باللَّه .

٦- استحضار الأدلة الناهية عن التطير .

س : اختلف العلماء في التوفيق بين أحاديث اجتناب المرضى والأحاديث التي فيها نفي العدوى على آراء . اذكرها بأدلتها مع ذكر القول الراجح ؟

ج : للعلماء في ذلك مسالك :

الأول : مسلك الجمع . فحديث «**لا عدوى**» معناه : لا عدوى إلا بإذن اللَّه وابتعدوا عن أسبابها .

الثاني : مسلك النسخ . فحديث «**لا عدوى**» ناسخ لحديث : «**فر من المجذوم**» فإذًا للصحيح أن يخالط المرضى ولا يضر .

الثالث : مسلك الترجيح . فأحاديث العدوى شاذة لا يصار إليها .

القول الراجح : أن نبتعد عن الأسباب فلا نخالط المرضى إلا في حق من قوي توكله على اللَّه .

س : اختلف العلماء في الجمع بين أحاديث نفي الطيرة وحديث : «الشؤم في ثلاث : في المرأة والدار والدابة» اذكر مسالك العلماء في هذه المسألة مع ذكر الراجح ؟

ج : للعلماء في ذلك مسالك :

الأول: مسلك الجمع. قالوا: حديث الشؤم في ثلاث مستثنى من عموم النهي عن الطيرة.

وقيل: بل لا يدل الحديث على التشاؤم لهذه الأمور، فشؤم المرأة: سوء خلقها، وشؤم الدار: ضيقها وكذلك جار السوء، وشؤم الدابة: عدم نفعها.

الثاني: مسلك النسخ. قالوا: حديث الشؤم في ثلاث منسوخ بأحاديث النهي عن الطيرة.

الثالث: مسلك الترجيح.

قالوا: حديث الشؤم في ثلاث شاذ؛ لمخالفته الأحاديث الكثيرة الواردة في المنع من الطيرة. وقيل: حديث الشؤم في ثلاث فسرته رواية أخرى وهي قوله ﷺ: «**إن كان الشؤم في شيء ففي المرأة**» فدل ذلك على عدم الشؤم.

وهذا هو الذي مال إليه الشيخ الألباني.

القول الراجح: إن اعتقد أن هذه الأشياء الثلاثة سبب للبلاء، فهذا محرم، وإن كان يقصد كراهتها والضيق منها وعدم الطمأنينة فله أن يفارقها.

❊ ❊ ❊

بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

قَالَ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» : قَالَ قَتَادَةُ : خَلَقَ اللَّه هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ : زِينَةً لِلسَّمَاءِ ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِيْنِ ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا . فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخطأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ ، وَتكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ . انْتَهَى .

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ القَمَرِ ، وَلَمْ يُرَخِّصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ .

ذَكَرَهُ حَربٌ عَنْهُمَا .

وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّم الْمَنَازِلِ : أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» ..

س : ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج : هي أن بعض أنواع التنجيم من الشرك المنافي للتوحيد وهو ما يسمى بعلم التأثير وهو : الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية وهذا النوع محرم لأنه من الشرك المنافي للتوحيد لما فيه من ادعاء علم الغيب وتعلق القلب بغير اللَّه تعالى .

س : ما مناسبة أثر قتادة للباب؟

ج : أفاد الأثر رأي قتادة أنه لا يجوز الاعتقاد بالنجوم أكثر من الأمور الثلاثة المذكورة .

س: اذكر بعض ما يستفاد من الأثر:

من الفوائد:

١- ذم علم التنجيم الممنوع.

٢- أن علم الغيب لا يعلمه إلا اللَّه، والا ستدلال بالنجوم على الحوادث الأرضية هذا من دعوى علم الغيب التي أبطلها اللَّه سبحانه بقوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

٣- بيان الحكمة من خلق النجوم.

٤- أنه يجب الرجوع إلى كتاب اللَّه لبيان الحق من الباطل.

س: ما مناسبة حديث «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر» للباب؟

ج: حيث دل الحديث على تحريم التصديق بجميع أنواع السحر، ومنها التنجيم.

س: ينقسم علم النجوم إلى قسمين ممنوع ومشروع اذكرهما:

ج:

القسم الأول: ممنوع وهو علم التأثير.

وهذا النوع ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

١- أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة، بمعنى: أنها هي التي تخلق الحوادث، فهذا شرك مخرج عن الملّة؛ لأنه جعل المخلوق خالقًا، فادعى أن مع اللَّه خالقًا آخر.

٢- أن يستدل بحركاتها وتنقلاتها على ما يحدث في المستقبل، مثل:

أن يعتقد أن فلانًا ستكون حياته شقاء؛ لأنه وُلِدَ في النجم الفلاني ونحو ذلك، فهذا قد ادعى علم الغيب، ودعوى علم الغيب كفر مخرج عن الملة.

٣- أن يعتقد أنها سبب لحدوث الخير والشر، أي أن إذا وقع شيء نسبه إلى النجوم، ولا ينسب إلى النجوم شيئًا إلا بعد وقوعه، فهذا شرك أصغر؛ لأنه أضاف الحوادث إلى ما ليس سببًا لها شرعًا ولا حسًّا.

النوع الثاني: مشروع وهو علم التيسير، بأن يستدل بسيرها على شيء ما.

وهذا النوع ينقسم إلى نوعين:

١- أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية، فهذا مطلوب، وإذا كان على مصالح دينية واجبة كان ذلك واجبًا كما لو أراد أن يستدل بالنجوم على جهة القبلة، فالنجم الفلاني يكون ثلث الليل قبلة، والنجم الفلاني يكون ربع الليل قبلة، فهذا منه فائدة عظيمة.

٢- أن يستدل بها على المصالح الدنيوية، وهذا لا بأس به، كأن يستدل بها على الجهات، كمعرفة أن القطب يقع شمالًا، والجدي وهو قريب منه يدور حوله شمالًا، وهكذا، فهذا جائز، قال تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾. [انظر: المجموع الثمين لابن عثيمين ٢/ ١٤٣، ١٤٥]

س: متى انتشر التنجيم بين المسلمين؟ ومن قال بمشروعيته من الفرق؟ وما شبهتهم في ذلك؟ وكيف ترد عليه باختصار؟

ج: انتشر التنجيم بين المسلمين لمّا فتح بعض الخلفاء العباسيين باب ترجمة كتب الفلاسفة الذين أخذوا هذا العلم عن الصابئة عبدة الكواكب.

والرافضة تزعم مشروعية التنجيم . ومما احتجوا به قالوا : هذا صنيع إبراهيم عليه السلام .

قال اللَّه تعالى في سياق قصته مع قومه : (فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم) . قال ابن القيم : «النظرة من المعاريض وليست على ظاهرها كما قال عن سارة : أختي ، والرسل جاءت لمحاربة الشرك» . اهـ .

س : اذكر أهم وسائل انتشار التنجيم في العصر الحاضر ؟

ج : من أهم وسائل انتشار التنجيم ما يلي :

١- وسائل الإعلام بأنواعها . وينشر فيها ما يسمى بـ :

- الأبراج .
- الحظ .
- حظك .

٢- الكتب المؤلفة في هذا الفنّ ومن أشهرها :

- شمس المعارف .
- مفاتيح الحظ . لأحمد الصباحي .
- حظك معك . لأحمد الصباحي .

٣- وجود معاهد تقوم بتعليم التنجيم ومنح المتعلمين شهادة على ذلك . ومنها :

- كلية الدراسات التنجيمية في بريطانيا .
- معهد الفتوح الفلكي العام لمصر والأقطار الشرقية .

٤- إنشاء إتحاد المنجمين . ومنه :

- الاتحاد العالمي للفلكيين الروحانيين في فرنسا .

٥- الجهود الشخصية عن طريق استخدام دليل الهاتف .

٦- استخدام وسائل الاتصال الاجتماعي بأنواعها .

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، وَالطَعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ».

وَقَالَ: «النَائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوتِهَا؛ تُقَامُ يَومَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ صَلَاةَ الصُبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّه وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤمِنٌ بِالكَوْكَبِ».

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ. وَفِيهِ: قَالَ بَعْضُهُم: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّه هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٢].

س : ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج : هي أن نسبة مجيء المطر إلى الأنواء واعتقاد أن لها تاثيرًا في إنزال المطر شرك ينافي التوحيد.

قال تعالى : ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾

س : ما مناسبة الآية للباب؟

ج : دلت الآية على أن اللَّه ﷻ أنكر نسبة المطر إلى غيره من النجوم والأنواء وسماه كذبًا.

س : اذكر شيئًا من فوائد الآية.

من فوائد الآية :

١- دلت الآية على كفر من نسب النعمة إلى غير اللَّه، ومنها نسبة المطر إلى الأنواء.

٢- أن الخير والشر مقدر من اللَّه.

٣- أن المطر من الرزق.

٤- نسبة النعمة إلى غير اللَّه كفر بها.

٥- وجوب شكر اللَّه على النعم.

٦- التحذير من التشبه بالمشركين.

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ : الفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، وَالطَعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ».

س : ما مناسبة الحديث للباب؟

ج : دل الحديث على تحريم الاستسقاء بالأنواء .

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ﷺ قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ صَلَاةَ الصُبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا : اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : «قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّه وَرَحْمَتِهِ ، فَذَلِكَ مُؤمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤمِنٌ بِالكَوْكَبِ» .

س : ما مناسبة الحديث للباب؟

ج : دل الحديث على أن نسبة المطر إلى الأنواء كفر .

س : نسبة المطر للنوء تنقسم إلى قسمين اذكرهما مع بيان حكم كل قسم؟

الاستسقاء بالأنواء ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : شرك أكبر وله صورتان :

١- أن يدعو الأنواء بالسقيا ، كأن يقول : يا نوء كذا أسقنا أو أغثنا ، وما أشبه ذلك ، فهذا شرك أكبر .

٢- أن ينسب حصول هذه الأمطار إلى هذه الأنواء ولو لم يدعها بنفسها دون اللَّه ، بأن يعتقد بأنها هي التي تنزل المطر من دون اللَّه ، فهذا شرك أكبر في الربوبية .

القسم الثاني: شرك أصغر:

وهو أن يجعل هذه الأنواء سببًا واللَّه هو الخالق الفاعل، وإنما كان شركًا أصغر لأن كل من جعل سببًا لم يجعله اللَّه سببًا لا بوحيه ولا بقدره، فهو مشرك شركًا أصغر». اهـ. المجموع الثمين لابن عثيمين **(٢/ ١٣٩)**.

* * *

بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّه وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّه مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيمان حَتَّى...» إِلَى آخِرِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَنْ أَحبَّ فِي الله، وَأَبْغَضَ فِي الله، وَوَالَى فِي الله، وَعَادَى فِي الله، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللَّه بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيْمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيئًا. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

قَالَ: الْمَوَدَّةُ.

س: اذكرمناسبة الآية لكتاب التوحيد. ج: المناسبة هي أن من أحب أحدًا كما يحب اللَّه فقد أشرك الشرك الأكبر المنافي للتوحيد.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾

س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: أن من أحب أحدًا كما يحب اللَّه فقد أشرك الشرك الأكبر المنافي للتوحيد.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾.

س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: دلت الآية على أن كل من اتخذ ندا لله، يحبه كحبه للَّه؛ فقد وقع في الشرك الأكبر.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾

س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: في الآية وعيد شديد لمن أحب الأصناف الثمانية؛ فآثرها أو

بعضها على حب اللَّه ورسوله، والقيام بما أوجب اللَّه عليه من الأعمال كالهجرة والجهاد ونحو ذلك فلينتظر العقوبة، وهذه الآية دليل على وجوب محبة اللَّه ورسوله ﷺ وعلى تقديمها على محبة كل شيء.

س: ما مناسبة أحاديث الباب للباب؟

ج: دلّت الأحاديث على وجوب تقديم محبة اللَّه ورسوله على محبة من سواهما.

س: اذكر أقسام المحبة باختصار؟ ثم عدد خمس ثمار للمحبة في اللَّه؟ وخمس علامات للمحبة في اللَّه؟ ومعوقين من معوقات المحبة في اللَّه؟

أقسام المحبة:

١- محبة عبادة، وهي: ما كانت للَّه تعالى.

٢- محبة في اللَّه، وهي: محبة المؤمن لأخيه المؤمن.

٣- محبة إشفاق ورحمة، كالمحبة بين الزوجين.

٤- محبة أُنسٍ وأُلف، كمحبة الشريك لشريكه.

٥- محبة طبيعية، كمحبة الوالد لولده.

٦- محبة محرمة، كمحبة الفسقة محبة مطلقة، وكمحبة الكفرة.

ثمار المحبة في الله:

١- أن المحبة للَّه سبب لمحبة اللَّه للعبد، قال عليه السلام: «**قال اللَّه تعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ والمتجالسين فيَّ**». رواه مالك.

٢- أن اللَّه سبحانه وتعالى يظل المتحابين في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**سبعة يظلهم اللَّه بظله يوم لا ظل إلا ظله: . . . وذكر منهم: ورجلان تحابا في اللَّه اجتمعا عليه وتفرقا عليه**». متفق عليه.

٣- أن الحب في اللَّه والبغض في اللَّه دليل على كمال إيمان العبد.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من أحب في اللَّه وأبغض في اللَّه وأعطى للَّه ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**». رواه أبو داود.

٤- أن الحب في اللَّه سبب لحلاوة الإيمان وطعمه.

كما في حديث الباب، وقال أيضًا ﷺ: «**من أحب أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله**». رواه أحمد.

٥- أن المرء بمحبته لأهل الخير لصلاحهم يلتحق بهم ويصل إلى مراتبهم وإن لم يكن عمله بالغًا مبلغهم.

ففي الصحيحين عن ابن مسعود قال: (جاء رجل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، كيف تقول في رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم؟ قال: «**المرء مع من أحب**»). متفق عليه.

٦- أن اللَّه يكرم من أحب عبدًا في اللَّه.

فعن أبي أمامة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما أحب عبدٌ عبدًا للَّه إلا أكرمه الله**». رواه ابن أبي الدنيا.

٧- أن المتحابين في اللَّه لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء.

عن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**قال اللَّه تعالى: المتحابون**

في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء». رواه الترمذي وصححه.

علامات المحبة في الله:

١- لا ينقص بالجفاء ولا يزيد في البر.

٢- الموافقة لأخيه وعدم المعارضة فيما لم يرد فيه محرم.

٣- أنه لا يحسد أخاه.

٤- أنه يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

٥- أن يكون معيار المحبة الطاعة.

معوقات المحبة في الله:

١- الابتلاء بمرض الإعجاب والعشق.

٢- التعلق بالأشخاص تعلقًا يفضي إلى التحزب لهم.

س: اذكر بعض الأسباب التي ينال بها العبد محبة خالقه ومولاه؟

ج: منها ما يلي:

١- قراءة القرآن بالتدبر، والعمل بما فيه.

٢- الإكثار من ذكره سبحانه.

٣- التقرب إليه بالنوافل بعد الفرائض.

٤- انكسار القلب بكليته بين يدي اللَّه تعالى.

٥- الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته.

٦- تجنب ما يصرف القلب عن اللَّه من المحرمات المسموعة والمرئية وغيرها.

٧- مجالسة أهل الخير والصلاح .

س : ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أن الذي يحرك القلوب إلى المحبة أمران فما هما ؟

ج :

الأول: كثرة ذكر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ؛ لأن كثرة الذكر تعلق القلوب بالله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ .

الثاني: مطالعة آلائه ونعمائه قال تعالى : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ .

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ : «والذنوب تنقص من محبة اللَّه بقدر ذلك ولكن لا تزيل المحبة للَّه ورسوله إذا كانت ثابتة في القلب ولم تكن الذنوب عن نفاق» .

* * *

بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ الآيــة [التوبة: ١٨].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله، وَأَنْ تَحْمِدَهُمْ عَلَى رِزْقِ الله، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ الله، إِنَّ رِزْقَ اللَّه لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ».

وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّه بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّه سَخِطَ اللَّه عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ».

س: عرف الخوف.

ج: الخوف هو الفزع والوجل وتوقع العقوبة.

س: بين مناسبة آية الباب لكتاب التوحيد.

ج: أنها دلت على وجوب إفراد اللَّه بالخوف لأنه عبادة فصرفه لغير اللَّه شرك ينافي التوحيد.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

ج: دلت الآية على وجوب إخلاص خشية التعظيم لله، لذا تكون هذه الخشية نوعًا من العبادة، وصرف العبادة لغير اللَّه شرك.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾.

س: ما مناسبة الآية للباب؟

ج: دلت الآية على وجوب تقديم خوف اللَّه على من سواه، لذا يكون الخوف عبادة، وصرف العبادة لغير اللَّه شرك.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله، وَأَنْ تَحْمِدَهُمْ عَلَى رِزْقِ الله، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ الله، إِنَّ رِزْقَ اللَّه لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ».

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: في الحديث أن الخوف نوعٌ من العبادة، وصرف العبادة لغير اللَّه شرك.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّه بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ

اللَّه سَخِطَ اللَّه عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ» .

س : ما مناسبة الحديث للباب؟

ج : في الحديث جزاء من أفرد اللَّه تعالى بعبادة الخوف، ووعيد من صرف هذه العبادة لغير اللَّه .

س : اذكر أقسام الخوف؟

ج : أقسام الخوف :

١- الخوف الشركي .

وهو أن يخاف من غير اللَّه أن يصيبه بما شاء من مرضٍ أو فقرٍ أو قتلٍ، ونحو ذلك بقدرته ومشيئته سواءً ادعى أن في ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة، أو على سبيل الاستقلال .

فهذا لا يجوز تعلقه بغير اللَّه أصلًا ؛ لأن هذا من لوازم الإلهية فمن اتخذ مع اللَّه ندًا يخافه فهو مشرك وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم، ولهذا يخوفون بها أولياء الرحمن كما خوفوا إبراهيم الخليل ﷺ فقال لهم : ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وقال تعالى : ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ .

٢- الخوف المحرم .

كأن يترك الإنسان ما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، وترك صلاة الجماعة بغير عذر إلا الخوف من الناس

٣- الخوف الطبيعي.

كالخوف من عدو وسبع وغرق ونحو ذلك، فهذا لا يذم، وهو الذي ذكره اللَّه عن موسى في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾.

٤- الخوف الواجب.

وهو خوف وعيد اللَّه الذي توعد به العصاة، وهو الذي قال تعالى فيه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾.

وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، ولهذا يقول شيخ الإسلام: «الخوف ما حجزك عن المعاصي».

س: اذكر أهم الأسباب التي تورث الخوف من اللَّه؟

من الأسباب التي تورث الخوف من الله:

١- طلب العلم الشرعي على أهله وفق الطرق الصحيحة.

٢- عيادة المرضى وزيارة المقابر.

٣- تذكر الموت والقبر وما فيه، وأهوال يوم القيامة.

٤- تذكر الخاتمة.

٥- المحافظة على الفرائض وإتباعها بالنوافل.

٦- مجالسة الصالحين.

٧- تدبر القرآن الكريم.

٨- احتقار العمل الصالح.

س: ما الفرق بين المداراة والمداهنة مع ذكر ما يوضح ذلك بالمثال؟

المداراة: تتعلق باللين وهي مطلوبة.

مثل استخدام الأساليب الحسنة مع المخالف.

كما فعل النبي ﷺ عندما كتب إلى هرقل: «**من محمد رسول اللَّه إلى هرقل عظيم الروم**» رواه البخاري من حديث أنس رضي الله عنه.

والمداهنة: تتعلق بالدين، وهي محرمة.

مثل الجلوس مع أهل الباطل وموافقتهم على صنيعهم أو السكوت عنهم بحثًا عن إرضائهم أو الحصول على مطلب دنيوي. قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّه بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّه سَخِطَ اللَّه عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ**» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالتِّرْمِذِيُّ.

* * *

بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وَعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ **قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِيْنَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِيْنَ قَالُوا لَهُ:** ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. **رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ.**

س: عرف التوكل ؟وما حقيقته وما ضده؟

ج: التوكل هو الاعتماد على اللَّه مع الأخذ بالأسباب.

وحقيقته:

- قال الإمام ابن رجب: «وحقيقة التوكل هو: صدق اعتماد القلب على اللَّه عز وجل في استجلاب المنافع ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه» اهـ.

- وقال الشيخ السعدي رحمه الله: «وحقيقة التوكل على الله: أن يعلم أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حول

ولا قوة إلا بالله» اهـ.

وضده: التواكل، وهو الاعتماد على اللَّه مع عدم بذل السبب.

قال ابن القيم: «وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد» اهـ.

س: ما حكم التوكل على اللَّه؟ ثم اذكر بعض أدلة التوكل المشروع من فعل النبيﷺ؟

حكمه الوجوب لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

ومن الأدلة الفعلية على مشروعية التوكل على اللَّه تعالى ما يلي:

١- أن النبي ﷺ وهو سيد المتوكلين يطوف على القبائل ويقول: «**من يعصمني حتى أبلغ رسالة ربي**».

٢- ولما هاجر إلى المدينة استأجر دليلًا مشركًا على دين قومه ليدله على الطريق.

٣- وكان إذا سافر في جهادٍ أو حجٍ أو عمرةٍ حمل الزاد والمزاد.

٤- وظاهر ﷺ بين درعين يوم أحد، وحفر الخندق يوم الأحزاب.

س: اذكر ثمانية أمور دالة على فضل التوكل على اللَّه وجزاء المتوكلين؟

١- أهل التوكل هم أهل محبة اللَّه ﷻ.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾.

٢- التوكل من شيم أنبياء اللَّه ورسله وأوليائه ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾.

قال تعالى في نوح: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾.

وقال تعالى عن هود: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾.

٣- أهل التوكل هم أهل الإيمان.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

٤- أهل التوكل هم أهل الجنة يدخلونها بغير حساب ولا عذاب.

صح عنه ﷺ: «**أنه يدخل الجنة من أمته سبعون ألفًا بغير حساب ولا عذاب**»، فلما سئل عن صفة هؤلاء قال: «**هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**».

٥- التوكل على اللَّه مجلبة للرزق.

عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لو أنكم تتوكلون على اللَّه حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**». رواه الترمذي.

٦- المتوكلون ليس عليهم للشيطان سبيل.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾.

٧- المتوكلون اللَّه حسبهم وكافيهم.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

٨- أهل التوكل على اللَّه هم أهل العزة والاستعلاء.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

س: ما مناسبة الآية: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ لكتاب التوحيد؟.

ج: أن التوكل على اللَّه عبادة يجب إخلاصه للَّه فصرفه لغيره شرك ينافي التوحيد.

س: ما مناسبة الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ **للباب؟.**

ج: أنها تدل على أن التوكل على اللَّه وحده من صفات المؤمنين.

س: ما مناسبة الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ **للباب؟.**

ج: دلت الآية على أن التوكل نوعٌ من العبادة، وصرف العبادة لغير اللَّه شرك، وفيها كفاية اللَّه تعالى للمتوكلين.

س: ما مناسبة الآية: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ **للباب؟.**

ج: دلت على وجوب التوكل على اللَّه؛ لأن اللَّه بالتوكل يحفظ عبده ويحميه.

س: ما مناسبة أثر ابن عباس رضي الله عنهما: قال: حسبنا اللَّه ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال له: «إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا، وقالوا: حسبنا اللَّه ونعم الوكيل» للباب؟.

ج: دل الأثر على فضل كلمة «حسبنا اللَّه ونعم الوكيل» وأنها تقال عند الشدائد والكروب ومثلها لا يقال بالرأي.

س: ينقسم التوكل على غير اللَّه تعالى إلى قسمين اذكرهما.

ج:

القسم الأول: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا اللَّه، كمن يتوكل على الأموات، أو الغائبين في جلب المنافع ودفع المضار، كشفاء المريض وطلب النصر، فهذا شرك أكبر.

القسم الثاني: التوكل على المخلوق فيما أقدره اللَّه عليه من رزق، أو دفع أذى ونحو ذلك من الاعتماد على الأسباب فهذا شرك أصغر.

ومن أمثلة هذا النوع: الاعتماد على الطبيب الماهر في حصول الشفاء، والاعتماد على كثرة الجيش وقوته لحصول النصر، واعتماد الطالب على المذاكرة في النجاح، وغير ذلك من الأمثلة التي يكون فيها تعلق القلب على الأسباب تعلقًا تامًا، مع الغفلة عن المسبب وهو اللَّه ﷻ.

س: من خالف في التوكل؟ اذكر أقوالهم في هذا الباب؟

١- الصوفية أعرضوا عن الأسباب بالكلية.

٢- الجبرية نفت تأثير الأسباب بالكلية.

٣- العقلانيون الماديون يرون الإلتفات إلى الأسباب بالكلية.

س: ما حكم قول: «توكلت على اللَّه ثم عليك»

ج: يحرم قول: توكلت على اللَّه ثم عليك. (وبه قال الشيخ صالح الفوازان) لأن المخلوق ليس له نصيب من التوكل؛ فإن التوكل تفويض

الأمر والالتجاء بالقلب، والمخلوق لا يستحق شيئًا من ذلك. وذهب الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى التفصيل:

فإن قصد القائل صرف التوكل للَّه وأراد: وكلتك في هذا الأمر فلا بأس وإلا فيمنع منها.

س: عدد أربعة عوائق لعبادة التوكل على اللَّه؟

١- الجهل بمقام اللَّه من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات.

٢- الغرور والإعجاب بالنفس. كما حصل من قارون.

٣- الركون للخلق والاعتماد عليهم في قضاء الحاجات.

٤- حب الدنيا والاغترار بها مما يجعل المرء عبدًا لها.

* * *

بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى :

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ فَقَالَ: «الشِّرْكُ بِالله، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ الله، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّه». رَوَاهُ الْبَزَّارُ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِالله، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّه وَالقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ الله. رَوَاهُ عَبْد الرَّزَاق.

س: ما مناسبة الآية لكتاب التوحيد؟

ج: هي: أن الأمن من مكر اللَّه من أعظم الذنوب وأنه ينافي كمال التوحيد.

س: اذكر مقصود المؤلف بهذا الباب؟

ج: مقصوده التنبيه على وجوب الجمع بين الخوف والرجاء.

س: ما مناسبة الآية: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ للباب؟.

ج: دلت الآية الكريمة على تحريم القنوط من رحمة اللَّه وأنه من صفات أهل الضلال.

س: ما مناسبة حديث ابن عباس وأثر ابن مسعود للباب؟.

ج: أنهما يدلان على أن الأمن من مكر اللَّه، واليأس من رحمته، من كبائر الذنوب.

س: اذكر بعض فوائد حديث ابن عباس وأثر ابن مسعود.

ج: يستفاد من الحديث والأثر:

١- تحريم كلٌ من الشرك باللَّه والأمن من مكر اللَّه واليأس من روح اللَّه، وأنها من الكبائر.

٢- أن الشرك أعظم الذنوب.

٣- وجوب الجمع بين الخوف والرجاء.

٤- وجوب إحسان الظن باللَّه، ولذلك قال النبي ﷺ: «**لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن باللَّه تعالى**». رواه مسلم.

س: اليأس من روح اللَّه والأمن من مكر اللَّه إلى أي شيء تؤول بالعبد؟

ج: اليأس من روح اللَّه يؤول بالعبد إلى سوء الظن باللَّه فيحصل للعبد ضيق النفس.

والأمن من مكر اللَّه يؤول بالعبد إلى الاتكال على رحمة اللَّه وترك العمل.

س: ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في الإيمان الأوسط وغيره عشرة مكفرات للذنوب اذكرها إجمالًا؟

١- التوبة.

٢- الاستغفار.

٣- اجتناب الكبائر .

٤- ما يعرض للمسلم من هم وغم وبلاء إذا صبر واحتسب .

٥- العمل الصالح .

٦- دعاء المسلمين للمرء بظهر الغيب .

٧- ما يجده المسلم من أهوال القبر وضمته .

٨- ما يعرض للمسلم من أهوال يوم القيامة .

٩- شفاعة النبي ﷺ .

١٠- عفو اللَّه ورحمته .

* * *

بَابُ مِنَ الإِيْمَانِ بِاللَّه الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّه

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

قَالَ عَلْقَمَةُ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّه فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «اثْنَتَان فِي النَّاسِ هَمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ».

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّه بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» حَسَّنَهُ التِّرمِذِيُّ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ، وَإِنَّ اللَّه تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» حَسَّنَهُ التِّرمِذِيُّ.

س: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن عدم الصبر على أقدار اللَّه ينافي الإيمان بالقدر ويخل بتوحيد الربوبية.

س: لم ساق المؤلف الآية: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ﴾ **في الباب؟.**

ج : لينبه على أهمية الصبر حال المصيبة وأن ثمرة ذلك هداية القلب للصبر ، ومفهوم المخالفة يدل على أن عدم الصبر سبب لعدم هداية القلب .

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : «اثْنَتَان فِي النَّاسِ هَمَا بِهِمْ كُفْرٌ : الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ» .

س : ما مناسبة الحديث للباب ؟

ج : دل الحديث على تحريم النياحة المنافية للصبر الذي هو من علامات الإيمان .

س : مالمراد بالكفر الوارد في الحديث ؟

قال شيخ الإسلام : «أي هاتان الخصلتان هما كفر قائم في الناس ، فنفس الخصلتن كفر ، حيث كانتا في أعمال الكفار ، وهما قائمتان بالناس ، لكن ليس من قام بشعبة من شعب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق ، حتى تقوم حقيقة الكفر ، كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنًا حتى يقوم به أصل الإيمان» .

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا : «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» .

س : ما مناسبة الحديث للباب ؟

ج : دل الحديث على تحريم ضرب الخدود ، وشق الجيوب والأمران يدلان على الاعتراض على القدر .

عن النبي ﷺ : أنه قال : «إِذَا أَرَادَ اللَّه بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» .

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: دل الحديث على أن من اتصف بالإيمان صبر على ما قدر اللَّه له من المصائب لأنها خير له، وتسلية للإنسان المصاب لئلا يجزع، فإن ذلك قد يكون خيرًا.

قال ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ، وَإِنَّ اللَّه تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ».

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: دل الحديث على تحريم الجزع من أقدار اللَّه، وهذا يدل على أن الصبر على أقدار اللَّه واجب.

س: الناس مع المصيبة على مراتب أربع، اذكرها مع بيان حكم كل مرتبة.

ج: **الأولى**: التسخط، وهو محرم. وهو إما أن يكون بالقلب، كأن يسخط على ربه ويغضب على ما قدر اللَّه له، وقد يكون باللسان، كالدعاء بالويل والثبور.

الثانية: الصبر، وهو واجب

الثالثة: الرضا، وهو أعلى من الصبر، وهو أن يكون الأمران عنده سواء.

وهذا مستحب لا واجب على القول الصحيح.

الرابعة: الشكر، وهو أعلى المراتب، وهو أن يشكر اللَّه على ما أصابه من مصيبة.

س : هل كل ما يصيب العبد يعد بسبب ذنب أصابه؟ بين المسألة بالتفصيل؟

ج : ما يصيب العبد قد يكون بسبب ذنب أصابه العبد ، كما دلّ عليه قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ وحديث : «**ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة**» . وقد يصاب ابتلاء من اللَّه هل يصبر ويحتسب أم لا؟ والنبي ﷺ حصل له ما حصل من أذى المشركين ابتلاء من اللَّه القائل : ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةً﴾ .

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ **الآيَةَ** [الكهف: ١١٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ مَرْفُوعًا: «قَالَ اللَّه تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعَي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ» رَوَاهُ أَحْمَدُ.

س: عرف الرياء وما الفرق بينه وبين السمعة؟

الرياء: هو إرادة غير اللَّه من دون اللَّه، أو إرادة غير اللَّه مع اللَّه.

- وهذا التعريف يشمل نوعي الرياء.

- فقولهم: «إرادة غير اللَّه من دون الله» يراد به الرياء الأكبر.

- وقولهم: «أو إرادة غير اللَّه مع الله» يراد به الرياء الأصغر.

والفرق بين الرياء والسمعة:

- أن الرياء لما يرى من العمل، كالصلاة والصدقة.

- والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر ويدخل في ذلك التحدث به.

س: ما علاقة هذا الباب بكتاب التوحيد؟

ج : أن الرياء شرك أصغر مناف لكمال التوحيد، وقد يكون أكبر فناسب أن يعقد له المؤلف هذا الباب ليحذر منه .

س : ما مناسبة الآية : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ **للباب ؟** .

ج : دلت الآية الكريمة على أن السعادة والخير والفلاح في لقاء اللَّه تبارك وتعالى وأن لقاء اللَّه يحصل بالعمل الصالح الخالص من الرياء والسمعة .

عن أبي هريرة مرفوعًا : قال اللَّه تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيره تركته وشركه .

س : ما مناسبة الحديث للباب ؟

ج : دل الحديث على بطلان العمل الذي وقع فيه شرك، ومن الشرك الرياء .

عن أبي سعيد مرفوعا : «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟» قالوا : بلى يا رسول اللَّه قال : «الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل» .

س : ما مناسبة الحديث للباب ؟

ج : دل الحديث على دل الحديث على أن النبي ﷺ أخوف ما يخاف علينا الشرك الخفي وهو الرياء .

س : اذكر حكم العبادة إذا خالطها الرياء بالتفصيل ؟

حكم العبادة إذا خالطها الرياء: في المسألة قولان:

١- أنها باطلة. وهو قول: (النووي وابن عبدالسلام والقرافي)

٢- التفصيل: العمل إذا خالطه الرياء لا يخلو من إحدى حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون الباعث للعمل هو الرياء والسمعة، فهذا باطل من أصله.

والحالة الثانية: أن يكون العمل للَّه ثم يطرأ عليه الرياء. ففيه تفصيل:

أ - إن كانت العبادة لا ينبني آخرها على أولها فإنه يقبل الخالص ويرد ما فيه رياء، مثل: التصدق بمائة ريال خمسون للَّه وخمسون رياء. فيقبل الخالص ويرد ما خالطه رياء.

ب - وإن كانت العبادة ينبني آخرها على أولها كالصلاة فهذه على قسمين:

١- إذا دافع الرياء. صحت العبادة

٢- إذا لم يدافعه ففيه خلاف على قولين:

أ - أن الصلاة باطلة. لعموم حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» وفي رواية: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**».

ب - أنها صحيحة مع الإثم. لما في مسند الإمام أحمد وغيره من حديث عَمَّارَ بن يَاسِرٍ قال سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**إن الْعَبْدَ لَيُصَلِّى الصَّلاَةَ ما يُكْتَبُ له منها الا عُشْرُهَا تُسْعُهَا ثُمُنُهَا سُبُعُهَا سُدُسُهَا خُمُسُهَا رُبُعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا**» فالعبد يكتب له ما عقل من صلاته.

س: الرياء في الدين ينقسم إلى خمسة أقسام. اذكرها، مع التمثيل لكل قسم بمثال واحد؟

١- الرياء بالبدن، مثاله: إظهار النحول والصفار.

٢- الرياء بالهيئة والزي، مثاله: لبس زي الصالحين.

٣- الرياء بالقول، مثاله: كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاستغفار أمام الناس.

٤- الرياء بالعمل، مثاله: تحسين الصلاة.

٥- المراءاة بالأصحاب والزائرين، مثاله: دعوة المشايخ لزيارته حتى يراه الناس.

س: هناك مظاهر متعددة للرياء عدد ستة منها؟

١- الجرأة على الفتوى؛ لإظهار علمه.

٢- الاشتغال بفروض الكفايات على فروض العين.

٣- حب المناظرة والجدل وكثرة الخوض فيما لا فائدة فيه.

٤- الولع بغرائب المسائل والبحث عن المهجور من الأقوال.

٥- الشغب على المخالف وحب الشهرة.

٦- التقدم بين يدي العلماء ومن هو أعلم منه.

س: فرح الإنسان بطاعته هل يعد من الرياء، بين الحكم بدليله؟

لا يعد من الرياء، وإنما يدل على الإيمان. لقوله ﷺ: «**من سرَّته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن**» رواه النسائي والترمذي وأحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

س : ما دواء من ابتلي بالرياء؟

ج : هو الملجأ والمهرب إلى اللَّه ﷻ بالدعاء والالتجاء إليه .

فقد ورد في الحديث الصحيح عنه ﷺ : «**اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه**» [رواه أحمد]، ويكون بالتوبة والاستغفارر وتذكر سوء العاقبة والمآل .

❊ ❊ ❊

بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ: إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ **الآيَتَين** [هود: ١٥].

فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ: إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ؛ تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله، أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ».

س: ما مناسبة الآية: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ **للباب؟**

ج: بينت الآية أن من عمل عملًا صالحًا لأجل الدنيا؛ فإن ذلك شرك أصغر ينافي كمال التوحيد الواجب، ويحبط الأعمال، وهو أعظم من الرياء لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل، ولا يسترسل معه.

س: ما الفرق بين إرادة الإنسان بعمله الدنيا وبين الرياء؟

ج: الفرق بين إرادة الإنسان بعمله الدنيا وبين الرياء في أمرين:

الأمر الأول: أن إرادة الإنسان بعمله الدنيا لم يقصد صاحبه التذلل

والخضوع والتعظيم لأحد، بل أراد حظ نفسه من الحظوظ العاجلة في الدنيا: كالمنصب، أو الرئاسة، أو الجاه، أو المال.

أما المرائي فهو يقصد ثناء الناس ومدحهم وسماعهم بأعماله طمعًا في أن ينال مكانة في أعينهم. تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبداللَّه ص**٢٧٣**.

الأمر الثاني: أن إرادة الإنسان بعمله الدنيا أعم من الرياء، فالرياء حالة واحدة من أحوال إرادة الإنسان الدنيا، فهو يصلي أو يزيد في صلاته أو يزينها؛ لأجل الرؤية ولأجل المدح والذكر، لكن هناك أحوال أخر لإرادة الناس بأعمالهم الدنيا، هي في أحوال كثيرة أعمّ من حال الرياء بخاصة. التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ص **٤٠٤**.

س: اذكر أقسام إرادة الإنسان بعمله الدنيا مع ذكر حكم كل قسم.

القسم الأول: من عمل أعمالًا مما يبتغى بها وجه اللَّه وحده: كالصلاة والصيام وطلب العلم الشرعي، وكان غرضه من أعماله الدنيا فقط، وهو مقر بالإسلام دينًا إلا أنه لضعف في نفسه أراد بأعماله الدنيا كأن يصل إلى رئاسة، أو يحصل على مال أو شهادة ونحو ذلك، ولولا هذا المقصد لم يعمل. ولم يرد بأعماله مراءاة الناس أو ثناءهم، وكمن يتعلم العلم لأجل تصدر قومه أو رئاستهم، أو يقرأ القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقعٌ كثيرًا، فهؤلاء عملوا لمصلحة يحصلونها، لا لأجل المدح والجلالة في أعين الناس فلا يحصل لهم طائل، ولا تحصل لهم منفعة. وأصحاب هذا القسم ليس لهم في الآخرة نصيب فيما عملوا، بل هم آثمون محاسبون على ما فعلوا،

يدل عليه حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه اللَّه، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**» يعني: ريحها.

القسم الثاني: من عمل الأعمال الصالحة ابتغاء وجه اللَّه من صدقة أو صلاة أو إحسان إلى الناس أوترك الظلم أو كلام في عِرْض ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه ليس من أجل الناس وليس من أجل منصب أو جاه، ولا يريد بها الآخرة؛ ولكن ليجازى بها في الدنيا بحفظ ماله وتنميته أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليه ونحو ذلك، ولا همة له في طلب الجنة ولا الهرب من النار. فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب.

على أن الأعمال الصالحة التي يريد بها -أصحابُ هذا القسم- الدنيا نوعان:

الأول: أن يكون العمل الذي عمله، وأراد به الدنيا فقط، ولم يرد ثواب الآخرة، لم يرد الشرع فيه بذكر ثواب الدنيا. مثل: الصلاة والصيام، ونحو ذلك من الأعمال والطاعات، فهذا لا يجوز له أن يريد به الدنيا، ولو أراد به الدنيا، فإنه واقع في الشرك، ومحاسب عليه يوم القيامة.

الثاني: أن يكون العمل المراد بالدنيا قد رتب عليه الشارع ثوابًا في الدنيا وفي الآخرة معًا. مثل صلة الرحم، وبر الوالدين، ونحو ذلك، فهذه يُجازى عليها في الدنيا، وليس له في الآخرة أجرٌ ولا ثوابٌ على هذه الأعمال الصالحة لأنها كانت للدنيا. ولا يلزم من ذلك- فيما يتعلق بأهل

هذا القسم- أن يأثم فاعله- في الآخرة- على إرادته بعمله الصالح الدنيا أو يُعذَّبَ عليه في الآخرة، بل يفقد ثواب الآخرة فقط .

القسم الثالث: من خلط نية الآخرة بالدنيا . كمن جاهد لإعلاء كلمة اللَّه، وللمغنم، وحج لأداء الفرض وللتجارة ونحو ذلك . فإنه إذا كان أصل المقصد إعلاء كلمة اللَّه تعالى لم يضر ما حصل من غيره ضمنًا .

القسم الرابع: إرادة الدنيا بعمل الدنيا جائزة بلا خلاف . فمن عمل للدنيا في الأمور المعتادة كالأكل والشرب والملبس ونحوها، فهذا مباح، ولا يدخل فيه شرك الأغراض، إلا إذا نوى بأكله تشبهًا بأهل الشرك، كمن يأكل ما صنعه الكفار في يوم عيدهم معظمًا لعيدهم . ولو لم يرد المسلم بعمله الدنيا في الأمور المعتادة لما جاز . انظر فيما مضى بحثًا منشورًا في الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب بعنوان: شرك الأغراض د . سعيد معلوي .

س: ما مناسبة حديث الباب للباب؟

ج: دل الحديث على أن من كانت الدنيا غاية أمره ومنتهى قصده فقد عبدها واتخذها شريكًا مع اللَّه .

س: اذكر بعض فوائد الحديث:

يستفاد من الحديث:

١- ذم الحرص على الدنيا .

٢- أن من كانت الدنيا أكبر همه أصبح عبدًا لها، يحب من أجلها، ويسخط من أجلها .

٣- أن الذي ليس له هم إلا الدنيا قد تتقلب عليه الأمور ولا يستطيع الخلاص من أدنى أذية، وهي الشوكة.

٤- استحباب الاستعداد للجهاد.

٥- فضل الحراسة في سبيل اللَّه.

٦- أن دنو مرتبة الإنسان عند الناس لا يستلزم دنو مرتبته عند اللَّه.

٧- فيه ترك حب الرياسة والشهرة، وفضل الخمول والتواضع.

٨- الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

٩- أن عبد اللَّه هو الذي يرضيه ما يرضي اللَّه، ويسخطه ما يسخط اللَّه، ويحب اللَّه ورسوله.

* * *

بَابُ مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ وَالأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّه أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ اللَّه فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ، يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاللَّه تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآيَةُ [التوبة: ٣١]. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّه، فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّه، فَتُحِلُّونَهُ؟» فَقُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

س: ما مناسبة إيراد هذا الباب في كتاب التوحيد؟

ج: ليبين أن حق التحليل والتحريم للَّه وأنه لايطاع أحد من الخلق في معصية اللَّه.

س: ينقسم الناس في اتباع العلماء والأمراء في التحريم والتحليل

إلى ثلاثة أقسام اذكرها.

ج:

القسم الأول: أن يتابعهم في ذلك؛ تعظيما لهم، مع علمه بأنهم بدلوا دين الرسول ﷺ. فهذا كافر.

القسم الثاني: أن يتابعهم في ذلك؛ لهوى في نفسه بالتقرب إليهم طلبا لجاه أو مال أو مودة، مع علمه بأن حكم اللَّه أفضل للبلاد والعباد. فهذا فاسق.

القسم الثالث: أن يتابعهم جاهلا، فيظن أن ذلك حكم اللَّه، ولهذا حالتان:

- ألا يمكنه البحث واستفتاء أهل العلم، لأجل جهله، فهذا معذور.

- أما من يتمكن من البحث واستفتاء أهل العلم، ولكنه يفرط، فهذا آثم لأن اللَّه أمر بسؤال أهل العلم: قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

س: ما مناسبة أثر ابن عباس للباب؟

ج: دل الأثر على أن رأي ابن عباس تحريم تقديم رأي المخلوقين على سنة رسول اللَّه ﷺ، وإنما حرم ذلك ابن عباس لأنه شرك مع اللَّه في الطاعة.

س: ما مناسبة أثر الإمام أحمد للباب؟

ج: دل الأثر على أن الإمام أحمد يرى أن العدول عن سنة رسول اللَّه ﷺ إلى غيرها شرك في الطاعة، مستدلًا على ذلك بالآية التي أوردها.

س: ما مناسبة حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه للباب؟

ج: دل الحديث على شرك من أطاع العلماء في تحريم ما أحل اللَّه وتحليل ما حرم اللَّه.

س: اذكر حقوق ولاة الأمر على الرعية باختصار.

١- وجوب الوفاء بعقد البيعة للإمام المسلم. لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من خلع يدًا من طاعة لقي اللَّه يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**» رواه مسلم.

٢- أمر اللَّه تبارك وتعالى بطاعة ولاة الأمر من العلماء والأمراء إذا أمروا بطاعة اللَّه. فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]. فيصلى ويجاهد معهم ويسمع لهم إذا أمروا بما تتطلبه المصلحة كالتقيد بأنظمة المرور، حفاظا على الأرواح. أما إذا أمروا بمعصية فلا تجوز طاعتهم لقوله ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الله**» [رواه أحمد].

٣- الدعاء لهم، وإكرامهم، والنهي عن سبّهم ولعنهم ونشر عيوبهم. وقد كان السلف يرون الدعاء للسلطان من علامات أهل السنة. قال البربهاري: «وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان، فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله» [شرح السنة ص ١١٧].

وعن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمِ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ**» رواه مسلم.

ومَنْ أَجَلَّ وأكرم السلطان أكرمه اللَّه يوم القيامة ومن لم يجله أهانه اللَّه يوم القيامة فعَنْ زِيَادِ بْنِ كُسَيْبٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ كُنْتُ مَعَ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ تَحْتَ مِنْبَرِ ابْنِ عَامِرٍ وَهُوَ يَخْطُبُ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ رِقَاقٌ فَقَالَ أَبُو بِلَالٍ: «انْظُرُوا إِلَى أَمِيرِنَا يَلْبَسُ ثِيَابَ الْفُسَّاقِ». فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ اسْكُتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ**» حديث حسن: أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤٢) والترمذي في السنن (٤/ ٤٣٥رقم٢٢٢٤) من حديث أبي بكرة ﷺ. والحديث حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٤٨٥رقم٢٢٢٤).

وقال الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه اللَّه تعالى-: «اللَّه، اللَّه في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان وأن لا يتخذ من أخطاء السلطان سبيلًا لإثارة الناس وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمور فهذا عين المفسدة وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس كما أن ملء القلوب على ولاة الأمر يحدث الشر والفتنة والفوضى وكذا ملء القلوب على العلماء يحدث التقليل من شأن العلماء وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها فإذا حاول أحد يقلل من هيبة العلماء وهيبة ولاة الأمر ضاع الشرع والأمن؛ لأن الناس إن تكلم العلماء لم يثقوا بكلامهم وإن تكلم الأمراء تمردوا على كلامهم وحصل الشر والفساد» [المعاملة ص٣٢].

٤- نصيحة ولاة الأمر تتضمن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: معرفة النصوص الموجبة للنصيحة لولاة الأمر، ومن ذلك حديث تميم الداري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**»، قلنا لمن يا رسول اللَّه؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين**

وعامتهم».

الأمر الثاني: معرفة كيفية نصيحة الحاكم وذلك بمعرفة ثلاثة أمور:

أ - لزوم السرية التامة.

ب - براءة الذمة بمجرد النصيحة.

ودليل هذين الأمرين: قوله ﷺ: «**من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يبدها علانية، وليأخذ بيده ويخلو به فإن قبِلَها: قَبِلها، وإن ردها كان قد أدى الذي عليه**» رواه أحمد وابن أبي عاصم في السنة، وحسنه العلامة الألباني.

ج - إذا لم تستطع الوصول إليه فعليك أن تكتب إلى من يصل إليه.

الأمر الثالث: معرفة الشبهات في الإنكار على السلطان، ومن أبرزها ما يلي:

أ - استدلالهم بحديث: «**أفضل الجهاد، كلمة حق عند سلطان جائر**».

فيقال: أنه قوله: (عند) يدل على أنه بحضرته وليس في الأماكن العامة وفي غيابهم.

ب - احتجاجهم بإنكار أبي سعيد الخدري رضي الله عنه على أمير المدينة، مروان بن الحكم عندما قدم خطبة العيد على الصلاة.

فيقال: أنكر سرًا وصلى معه، ويحتمل أنه أنكر بحضرته ولا إشكال والحالة هذه، وإن قيل أنكر في غيبته فالسنة قاطعة لقول كل أحد وقد دلت على لزوم السرية في النصيحة.

ج - قالوا: المنكر العلن ينكر علنًا.

فيقال: هذا القول ليس على إطلاقه فالسنة استثنت ولي الأمر فإنه يناصح سرًّا.

د - قول بعضهم: إن النصوص الواردة في السمع والطاعة في حق من بايع الحاكم وأنا لم أبايعه.

فيقال: إن الذي يكلف بالبيعة هم أهل الحل والعقد.

س: اذكر أهم شبهات الطاعنين على العلماء مع الرد المفصّل عليها؟

ج: إليك بيان هذه الشبهات والرد عليها بشيء من الاختصار والتصرف اليسير من كتاب: «المدارج في كشف شبهات الخوارج» للشيخ: أحمد بن عمر بازمول.

قال حفظه اللَّه:

الطعن الأول: أن العلماءكفار؛ لأنهم يظاهرون المشركين ويوالونهم:

ومعنى هذا الطعن: أن العلماء الذين أصدروا فتاوى تبين حرمة وبطلان ما يفعله أهل البدع من التفجير والاعتداء على الأبرياء قد كفروا؛ لأنهم يناصرون ويدافعون عن الكفار.

وهذا الطعن باطل من وجوه:

الوجه الأول: أن الفتاوى التي صدرت من العلماء مبنية على الدليل من الكتاب السنة وفهم سلف الأمة وليست على الهوى.

والوجه الثاني: أنهم في فتاواهم المبنية على الاجتهاد إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطؤا فلهم أجر واحد كما صح بذلك الخبر.

والوجه الثالث: أننا - بحمد اللَّه تعالى - لم نقف لهم على فتوى فيها مظاهرة الكفار فضلًا عن موالاتهم. ومن ادعى أنهم فعلوا ذلك فليأتنا بفتوى واحدة فقط تصدق زعمه.

والوجه الرابع: أن هذا القول صادرٌ من أناس غير معروفين بالعلم ولا بسلامة المنهج والمعتقد، فتكفير العلماء إنما يصدر من الخوارج وأمثالهم من التكفيريين.

سئل الشيخ صالح الفوزان -حفظه اللَّه تعالى-: هناك من يقول: إن ولاة الأمر والعلماء في هذه البلاد قد عطلوا الجهاد وهذا الأمر كفر بالله!! فما هو رأيكم في كلامه؟

فأجاب -حفظه اللَّه تعالى-: هذا كلام جاهل يدل على أنه ما عنده بصيرة ولا علم وأنه يكفر الناس، وهذا رأي الخوارج، هم يدورون على رأي الخوارج والمعتزلة - نسأل اللَّه العافية - لكن ما نسئ الظن بهم نقول هؤلاء جهال، يجب عليهم أن يتعلموا قبل أن يتكلموا، أما إن كان عندهم علم ويقولون بهذا القول، فهذا رأي الخوارج وأهل الضلال. (شرح العقيدة السفارنية) والفتاوى الشرعية للحصين. ص١١٠.

الطعن الثاني: أن العلماء مضغوط عليهم من الحكام:

ومعنى هذا الطعن: أنَّ العلماء يفتون في بعض المسائل بخلاف ما دل عليه الدليل تعمدًا، والسبب في ذلك - عندهم - أنَّ ولي الأمر يضغط عليهم في إصدار هذه الفتاوى.

وهذا الطعن باطل من وجوه:

الوجه الأول: أنه يلزم من هذا القول أن العلماء يَتَقَوَّلُون على اللَّه ﷻ وعلى رسوله ﷺ حين يقولون: الحكم كذا وكذا لقوله تعالى كذا ولقوله ﷺ كذا.

فهل يقول عاقل: إنَّ هؤلاء العلماء الربانيين يفعلون هذا؟ هذا لا يُظَنُّ بمسلم من عامة الناس فكيف بأهل العلم ورثة الأنبياء. وإن كنا لا ندعي العصمة لهم ولكن اتهام العلماء الأبرياء بلا حجة وبرهان لا يقره الشرع المطهر.

والوجه الثاني: أنَّ هذه الدولة السعودية تحكم بكتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ، في جميع شئونها، وهذا من فضل اللَّه عليهم وعلينا، فكيف تضغط على العلماء في إصدار الفتاوى، بل هذا يخالف الواقع؛ إذ أن المعروف والمشاهد أن العلماء يصدرون الفتاوى على حسب ما يدل عليه الدليل من القرآن والسنة دون تقيد بمذهب معين.

ونطالب كل من يدعي أن العلماء مضغوط عليهم من ولاة الأمر أن يذكروا مثالًا واحدًا أفتى فيه أهل العلم بسبب الضغط عليهم، ولكن هيهات، هيهات.

وقد قال الشيخ الفوزان-حفظه اللَّه تعالى-: أما قوله: أنهم يفتون بسبب ضغوطات فهو قول باطل وعلماء هذه البلاد - ولله الحمد - هم أبعد الناس عن المجاملات فهم يفتون بما يظهر لهم أنه هو الحق. وهذه فتاواهم موجودة - ولله الحمد - ومدونة وأشرطتهم موجودة، فليأتنا هذا المتكلم بفتوى واحدة تعمدوا فيها الخطأ بموجب ضغط وأنهم أجبروا

على هذا الشيء. أما الكلام والدعاوى واتهام الناس فهذا لا يعجز عنه أحد كل يقوله لكن الكلام في الحقائق. محاضرات في العقيدة والدعوة ٣/ ٣٢٦.

الوجه الثالث: أن أهل العلم أنفسهم ردوا على هذا الافتراء حين سئلوا عن ذلك فها هو الشيخ صالح الفوزان -حفظه اللَّه تعالى - يقول: «لا شك أن الولاة كغيرهم من البشر ليسوا معصومين من الخطأ ومناصحتهم واجبة ولكن تناولهم في المجالس وعلى المنابر يعتبر من الغيبة المحرمة وهو منكر أشد من المنكر الذي يحصل من الولاة؛ لأنه غيبة ولما يلزم عليه من زرع الفتنة وتفريق الكلمة والتأثير على سير الدعوة، فالواجب إيصال النصيحة لهم بالطرق المأمونة لا بالتشهير والإشاعة، وأما الوقيعة في علماء هذه البلاد وأنهم لا يناصحون أو أنهم مغلوبون على أمرهم فهذه طريقة يقصد بها الفصل بين العلماء وبين الشباب والمجتمع حتى يتسنى للمفسد زرع شروره؛ لأنه إذا أسيء الظن بالعلماء فقدت الثقة بهم وسنحت الفرصة للمغرضين في بث سمومهم. وأعتقد أن هذه الفكرة دسيسة دخيلة على هذه البلاد وأهلها من عناصر أجنبية فيجب على المسلمين الحذر منها» اهـ. الأجوبة المفيدة، ص١١٢.

الوجه الرابع: أن هذا الطعن يؤدي إلى رد فتاوى العلماء وعدم قبولها إذا عارضت أهواء الناس، فكل ما يقوله العلماء ردوه بمثل هذا القول الباطل ولو كان مبنيًّا على الدليل الصريح الواضح.

سئل الشيخ الفوزان -حفظه اللَّه تعالى-: هل من الاجتماع: الاستخفاف بهيئة كبار العلماء ورميهم بالمداهنة والعمالة؟

فأجاب -حفظه اللَّه تعالى- : «وما من أحد استخف بالعلماء إلا وقد عرض نفسه للعقوبة والتاريخ خير شاهد على ذلك قديمًا وحديثًا ولاسيما إذا كان هؤلاء العلماء ممن وكل إليهم النظر في قضايا المسلمين كالقضاة وهيئة كبار العلماء» اهـ. الأجوبة المفيدة ص**١٤٠**.

الطعن الثالث أن العلماء يداهنون الحكام ويجاملونهم :

ومعنى هذا الطعن : أنَّ العلماء حين يتعاملون مع الحكام بالمعروف ويسمعون ويطيعون لهم - في غير معصية اللَّه - أنهم يفعلون ذلك من أجل الدنيا والمناصب، وخوفًا على مراتب الوظيفة.

وهذا الطعن باطل من وجوه :

الوجه الأول : أن طاعة واحترام العلماء لولاة الأمر هو ما جاءت به السنة النبوية، وما عليه عمل سلف الأمة من الصحابة - رضي اللَّه عنهم أجمعين - ومن تبعهم بإحسان من التابعين فمن بعدهم.

قال ابن قيم الجوزية : «عوتب ابن عقيل في تقبيل يد السلطان حين صافحه**!**، فقال : أرأيتم لو كان والدي فعل ذلك فقبلت يده أكان خطأً أم واقعًا موقعه؟ قالوا : بلى، قال : فالأب يربي ولده تربية خاصة، والسلطان يربي العالم تربية عامة فهو بالإكرام أولى» اهـ. بدائع الفوائد **٣/ ١٧٦**.

فكيف يصف عاقل : عمل العلماء بالسنة النبوية وما عليه السلف الصالح بأنه مداهنة وتزلف للحكام بالباطل**!!!**؟؟ هذا لا يقوله من يفهم ويعي ما يقول.

والوجه الثاني : أنه لا يجوز للمسلم أن يذل ويحتقر ولي الأمر كما تقدم بيان ذلك.

والوجه الثالث: أن عدم احترام الأمراء والاشتغال بالطعن فيهم هو من فعل أهل البدع والأهواء.

قال ابن قيم الجوزية: «لزوم جماعتهم مما يطهر القلب من الغل والغش؛ فإن صاحبه - للزومه جماعة المسلمين - يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، ويسوؤه ما يسوؤهم، ويسره ما يسرهم. وهذا بخلاف من انحاز عنهم واشتغل بالطعن عليهم والعيب والذم، كفعل الرافضة والخوارج والمعتزلة وغيرهم؛ فإن قلوبهم ممتلئة غلًّا وغشًّا، ولهذا تجد الرافضة أبعد الناس من الإخلاص، وأغشهم للأئمة والأمة، وأشدهم بعدًا عن جماعة المسلمين». مفتاح دار السعادة **١/ ٢٧٧-٢٧٨**.

والوجه الرابع: أن الطعن على العلماء بالمداهنة يجعل الناس لا يثقون بكلامهم ولا يأخذون بفتواهم.

الطعن الرابع: أن العلماء لا ينكرون على الحكام علانية ولا يناصحونهم:

ومعنى هذا الطعن: أن العلماء لا يبينون الأحكام لولاة الأمر ولا ينكرون عليهم علانية أمام الناس، فهم مقصرون في ذلك، وكاتمون للعلم خوفًا على مناصبهم ووظائفهم.

وهذا الطعن باطل من وجوه:

الوجه الأول: أن النصيحة للسلطان لا بدّ أن تكون سريّة، وقد تقدم بيان ذلك.

والوجه الثاني: أن العلماء لا يذكرون ما يفعلونه مع الولاة للناس خوفًا من المفسدة. قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه اللَّه تعالى-: «بيان ما

نفعله مع الولاة فيه مفسدتان: المفسدة الأولى: أن الإنسان يخشى على نفسه من الرياء فيبطل عمله.

المفسدة الثانية: أن الولاة لو لم يطيعوا صار حجة على الولاة عند العامة فثاروا وحصل مفسدة أكبر» اهـ. شريط أسئلة حول لجنة الحقوق الشرعية.

والوجه الثالث: أنَّ ذكر أخطاء الولاة في المجالس والمواعظ والخطب محرم لا يجوز لما يلي: لأنها من باب إشاعة الفاحشة، ولأنها غيبة ولأن هذه الصورة تدخل في القالة بين الناس مما يترتب عليها الفتنة والبلبلة ولأنها تؤدي إلى سفك الدماء وإلى القتل.

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه اللَّه تعالى-: «بعض الناس ديدنه في كل مجلس يجلسه الكلام في ولاة الأمور والوقوع في أعراضهم ونشر مساوئهم وأخطائهم معرضًا بذلك عمّا لهم من محاسن أو صواب، ولا ريب أن سلوك هذا الطريق والوقوع في أعراض الولاة لا يزيد في الأمر إلا شدة فإنه لا يحل مشكلًا ولا يرفع مظلمة إنما يزيد البلاء بلاءً ويوجب بغض الولاة وكراهيتهم وعدم تنفيذ أوامرهم التي يجب طاعتهم فيها». وجوب طاعة السلطان للعريني ص**٢٣-٢٤**.

والوجه الرابع: أن إشاعة هذه الأمور هو من باب الخروج على ولي الأمر.

الطعن الخامس: **أن العلماء عملاء للدولة وأنهم مباحث**:

ومعنى هذا الطعن: أن العلماء يعملون لصالح الدولة، وأنهم ينقلون الأخبار لولاة الأمر. **وهذا الطعن باطل من وجوه**:

الوجه الأول: إن كان المراد بأنهم يعملون للدولة أي أنهم يفتونهم بغير الحق مداهنة أو مضغوطًا عليهم؛ فعلماؤنا - بحمد اللَّه - أهل دين وورع وتقوى، فلا يجوز أن تساء بهم الظنون.

وإن كان المراد بأنهم يعملون في هذه الدولة فهل هذه الدولة كافرة!!؟؟

ثم ما الفرق بينهم وبين كل من يعمل في هذه الدولة، وهذه مغالطة تدل على خبث الطوية وسوء النية. نسأل اللَّه العافية من الهوى والضلال.

والوجه الثاني: أن قولهم فلان مباحث؛ هذا يدل على أن عندهم أمرًا لا يريدون أن يطلع عليه أحد، وإلا فالحق واضح، والشرع والحكم بما أنزل اللَّه قائم - بحمد اللَّه تعالى -، ومن عنده أمر مريب خاف من كل قريب.

والوجه الثالث: هل جهة المباحث جهة سيئة؟ هذه مغالطة، فرجال هذه الجهة يراقبون الأوضاع الداخلية، ويأخذون بيد كل مفسد يريد أن ينشر الفساد في الأرض، كل من تسول له نفسه قتل الأبرياء أوالاعتداء على الضعفاء، أما من كان بعيدًا عن الفساد في الأرض فرجال هذه الجهة لا علاقة لهم به، فمن ديدنه دائمًا فلان مباحث، هذا رجل عنده أمر سيئ؛ فساد وريبة يخاف أن يطلع عليه أحد.

والوجه الرابع: أن الواجب على كل مسلم مستطيع، اطلع على من تسول له نفسه الفساد في الأرض أن يبلغ ولاة الأمر ليكفوا شره، ويأخذوا بيده، وينتشر الأمن ويعم الأمان. ومن كتم وسكت عن أمثال هؤلاء أهل الفساد والشر فقد خان الأمانة، ولم ينصح لولي الأمر.

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه اللَّه تعالى- : «فلا يجوز التستر على من يبيت شرًا للمسلمين، بل يجب على من علم بحاله أن يخبر عنه، حتى يسلم المسلمون من شره، فإذا كان هناك خلية فيها خطر على المسلمين، وفيها شر على المسلمين فيجب إبلاغ ولاة الأمور عنهم ليأخذوا على أيديهم ويكفو شرهم عن المسلمين» اهـ. فتاوى العلماء في الأحداث الراهنة/ تفجيرات الرياض، والفتاوى الشرعية للحصين (٩٦-٩٧).

وسئل الشيخ صالح الفوزان -حفظه اللَّه تعالى- عن فتوى تقول بجواز قتل رجال المباحث؛ لأنهم مرتدون؟

فأجاب -حفظه اللَّه تعالى-: هذا مذهب الخوارج، فالخوارج قتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ألا يقتل رجال الأمن؟؟ هذا هو مذهب الخوارج، والذي أفتاهم يكون مثلهم ومنهم نسأل اللَّه العافية» الفتاوى الشرعية للحصين (٩٦-٩٧).

الطعن السادس: أن العلماء لا يفقهون الواقع:

ومعنى هذا الطعن: أن فتوى العلماء ضعيفة غير معتبرة؛ لأنهم لا يعلمون ما يدار من حولهم ولا يعلمون بمخططات الأعداء لجهلهم بها.

وهذا الطعن باطل من وجوه:

الوجه الأول: أن هذا القول صادرٌ ممن لم يفقه في دين اللَّه شيئًا.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه اللَّه تعالى- : «الواجب على المسلم أن يحفظ لسانه عما لا ينبغي وأن لا يتكلم إلا عن بصيرة فالقول بأن فلانًا لم يفقه الواقع هذا يحتاج إلى علم ولا يقولها إلا من عنده علم حتى يستطيع الحكم بأن فلانًا لم يفقه الواقع. أما أن يقول هذا جزافًا

ويحكم برأيه على غير دليل؛ فهذا منكر عظيم لا يجوز والعلم بأن صاحب الفتوى لم يفقه الواقع يحتاج إلى دليل ولا يتسنى ذلك إلا للعلماء» اهـ. وجوب طاعة السلطان للعريني ص: (٤٩- ٥١).

والوجه الثاني: أن تعلم فقه الشرع هو المهم والضروري؛ لأنه الأصل وغيره مبني عليه.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه اللَّه تعالى-: «والذي أرى أنه ينبغي أن يكون عند الإنسان اجتهاد بالغ ويصرف أكبر همه في الفقه في دين اللَّه ﷻ حتى يكون ممن أراد اللَّه بهم خيرًا وألا ينسى نفسه من فقه الواقع وأن يعرف ما حوله من الأمور التي يعملها أعداء الإسلام للإسلام، ومع ذلك أكرر: أنه لا ينبغي للإنسان أن يصرف جل همه ووقته للبحث عن الواقع بل أهم شيء أن يفقه في دين اللَّه ﷻ وأن يفقه من الواقع ما يحتاج إلى معرفته فقط وكما أشرت سابقًا في أول الجواب: أن من فقهاء الواقع من أخطئوا في ظنهم وتقديراتهم وصار المستقبل على خلاف ما ظنوا تمامًا، لكن هم يقدرون ثم يبنون الأحكام على ما يقدرونه فيحصل بذلك الخطأ وأنا أكرر أنه لا بد أن يكون الفقيه بدين اللَّه عنده شيء من فقه أحوال الناس وواقعهم حتى يمكن أن يطبق الأحكام الشرعية على مقتضى ما فهم من أحوال الناس ولهذا ذكر العلماء في باب القضاء: أن من صفات القاضي أن يكون عارفًا بأحوال الناس ومصطلحاتهم في كلامهم وأفعالهم». كتاب العلم جمع الشايع ص: (٢٢٤-٢٢٦).

والوجه الثالث: أن علماءنا يدركون واقع المسائل التي يفتون بها، ويدركون ما يحتاج إليه من واقع الناس، وفتاواهم شاهدة على ذلك.

الطعن السابع: أن العلماء لا يفقهون واقع الشباب وأنهم تركوا الشباب ولم يهتموا بأمرهم وأهملوهم حتى تولدت لديهم الأفكار المنحرفة فكفروا الناس وقاموا بعمليات التفجير:

ومعنى هذا الطعن: أن العلماء قصروا في تربية الشباب ولم يلقوا لهم بالًا وأن ما حصل للشباب سببه بُعْدُ العلماء عنهم.

وهذا الطعن باطل من وجوه:

الوجه الأول: أن دروس العلماء قائمة، ومحاضراتهم مستمرة، وبيوتهم ومكاتبهم مفتوحة لمن أراد الاتصال بهم والتلقي منهم.

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه اللَّه تعالى-: «العلم له أبواب، وله حملة، وله معلمون، فلا بد من انضمامكم لحلق التدريس، سواء كانت في المساجد أو في المدارس أو في المعاهد أو في الكليات المهم أن نأخذ العلم عن العلماء، ما داموا موجودين وما دامت الفرصة ممكنة». محاضرات في العقيدة والدعوة (٣/ ٤٣٣).

والوجه الثاني: هل تريدون من العالم أن يأتي إلى الشباب والجهلة ويبحث عنهم ويحاورهم؟

هذا سفه؛ فالأصل في العلم أنه يؤتى إليه ولا يأتي.

والوجه الثالث: أن دعاة الباطل هم الذين حالوا بين العلماء والشباب بتربيتهم على المناهج الفاسدة، التي تخالف ما عليه السلف الصالح ومن تبعهم من أئمة الدعوة السلفية. ولما بين العلماء الحق وردوا المناهج الفاسدة وكشفوا حال أصحابها، انبرى دعاة السوء لهم بالتهم والألقاب الشنيعة، ومنها هذه التهمة الباطلة

والوجه الرابع: أن الذين خرجوا على عثمان بن عفان رضي الله عنه وصارت الفتنة التي حدثت، هل الصحابة لم يقوموا بالبيان لهم، عثمان لم ينصح لهم؟! واللَّه لقد نصحوهم غاية النصيحة لكن هؤلاء نفوسهم منحرفة من الأصل نسأل اللَّه العافية والسلامة.

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه اللَّه تعالى-: «بعض المخدوعين أو المغرضين يقول هؤلاء علماء الحيض والنفاس!!؛ للتهوين من شأنهم، وهذا ما يريد الأعداء من المسلمين يرون أن يفصلوا العامة عن العلماء ويريدون أن يفصلوا شباب الأمة عن العلماء بحيث لا يتعلمون العلم من العلماء، وعند ذلك تسنح لهم الفرصة؛ لتقطيع جسم الأمة والسطو عليه؛ لأنه لا يقف في وجوههم إلا العلماء فإذا حالوا بين العلماء وبين الشباب وبين عامة الناس وعزلوا بعضهم عن بعض حينئذٍ سنحت الفرصة لأعداء اللَّه ورسوله للانقضاض على أمة المسلمين وما كان يقف في وجوه الظلمة وما كان يقف في وجوه الكفار والزنادقة والمنافقين إلا أهل العلم يبطلون شبهاتهم ويدمغون أقوالهم بالكتاب والسنة يوقفونهم عند حدهم ويردون عليهم الشبهات» اهـ. محاضرات في العقيدة والدعوة (٣/ ١٢٥).

والوجه الخامس: أن الذي أوقع الشباب في هذا الانحراف الخطير - بعد إبعادهم عن العلماء - تربيتهم على الكتب الفكرية المليئة بالبدع والضلال.

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه اللَّه تعالى-: يوم أن كان أهل هذه البلاد مرتبطين بعلمائهم، شبابًا وشيبًا، كانت الحالة حسنة ومستقيمة، وكانت لا تأتي إليهم أفكار من الخارج وكان هذا هو السبب في الوحدة

والتآلف، وكانوا يثقون بعلمائهم وقادتهم وعقلائهم وكانوا جماعة واحدة، وعلى حالة طيبة، حتى جاءت الأفكار من الخارج على سبيل الأشخاص القادمين أو عن سبيل بعض الكتب أو بعض المجلات أو بعض الإذاعات وتلقاها الشباب وحصلت الفرقة؛ لأن هؤلاء الشباب الذين شذوا عن المنهج السلفي في الدعوة، إنما تأثروا بهذه الأفكار الوافدة من الخارج. أما الدعاة والشباب الذين بقوا على صلة بعلمائهم، ولم يتأثروا بهذه الأفكار الواردة فهؤلاء - الحمد للَّه - على استقامة كسلفهم الصالح، فالسبب في هذه الفرقة يرجع إلى الأفكار والمناهج الدعوية من غير علماء هذه البلاد، من أناس مشبوهين أو أناس مضللين؛ يريدون زوال هذه النعمة التي نعيشها في هذه البلاد من أمن، واستقرار، وتحكيم للشريعة، وخيرات كثيرة في هذه البلاد، لا توجد في البلاد الأخرى، ويريدون أن يفرقوا بيننا، وأن ينتزعوا شبابنا، وأن ينزعوا الثقة من علمائنا، وحينئذٍ يحصل - والعياذ باللَّه - ما لا تحمد عقباه، فعلينا علماء ودعاة وشبابًا وعامة بأن لا نتقبل الأفكار الوافدة، ولا المبادئ المشبوهة حتى وإن تلبست بلباس الحق والخير - لباس السنة - فنحن لسنا على شك من وضعنا - ولله الحمد - نحن على منهج سليم وعلى عقيدة سليمة وعندنا كل خير - ولله الحمد - فلماذا نتلقى الأفكار الواردة من الخارج، ونروجها بيننا وبين شبابنا؟؟ فلا حل لهذه الفرقة إلا بترك هذه الأفكار الوافدة، والإقبال على تنمية ما عندنا من الخير والعمل به والدعوة إليه، نعم عندنا نقص، وبإمكاننا أن نصلح أخطاءنا، من غير أن نستورد الأفكار المخالفة للكتاب والسنة وفهم السلف من الخارج أو من ناس مشبوهين - وإن كانوا في هذه البلاد - أو مضللين، الوقت الآن وقت

فتن، فكلما تأخر الزمان تشتد الفتن، عليكم أن تدركوا هذا ولا تصغوا للشبهات، ولا لأقوال المشبوهين والمضللين الذين يريدون سلب هذه النعمة التي نعيشها، ونكون مثل البلاد الأخرى في سلب ونهب وقتل وضياع حقوق وفساد عقائد، وعداوات، وحزبيات» اهـ الأجوبة المفيدة (٤٩-٥١)

س: عدد خمسة من موانع قبول الحق اختصارًا؟

ج:

١- الجهل.

٢- التقليد الأعمى.

٣- التفريط في البحث عن الحق.

٤- الوقوع في المعصية.

٥- ضعف الإدراك وقلة الفهم.

س: من المعلوم أن عامة أهل البدع قد خالفوا في باب السمع والطاعة، فما حكم قراءة كتبهم والتتلمذ عليهم؟ وما معنى قاعدة: (المعذرة والتعاون)؟ وما رأيك فيها؟ وما العلاج المناسب لجمع كلمة المسلمين واتحاد صفهم؟

ج: حكم قراءة كتب المبتدعة والتتلمذ عليهم:

لا ينبغي أن يقرأ المبتدئ كتب المبتدعة ولا يسمع أشرطتهم لأنهم يدسون السم في العسل كما يقال، ومن لايكون عنده أهلية كاملة، فانه ربما سمع الشيء لا يعرفه فيقع في شراك الباطل والمهم أنه لا يقرأ في

كتب أهل البدع إلا من يريد الاستدلال منها عليهم من المشايخ المتمكنين في العلم، هذا هو منهج السلف.

قال ابن قُدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومِن السُنة هجران أهل البدع ومباينتهم وترك الجدال والخصومات في الدين وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم وكل محدثة في الدين بدعة).

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته محذرًا من كتب المبتدعة:

يا من يظن بأننا حِفنا عليـ ـهم كُتْبهم تنبيك عن ذا الشانِ

فانظر ترى لكن نرى لك تركها حذرًا عليك مصائد الشيطانِ

وإذا أردتَ التتلمذ على أحدٍ فتأكد من منهجه، وارجع في ذلك إلى علماء الجرح والتعديل من أصحاب المنهج السليم، فإن حذَّروك منه ففر من المجذوم فرارك من الأسد.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «إياكم أن تكتبوا عن أحد من أصحاب الأهواء قليلًا ولا كثيرًا، عليكم بأصحاب الآثار والسنن» اهـ.

معنى القاعدة: «نجتمع فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»

الاجتماع مع أهل الباطل في مظلة واحدة والتعاون معهم في الخير المتفق عليه والسكوت عن ما عندهم من باطل

الرأي فيها: أنها قاعدة باطلة، مشتملة على المداهنة في دين اللَّه تعالى. ولو طبقنا هذه القاعدة لاجتمعنا مع الرافضة واليهود وغيرهم من أهل المناهج المنحرفة. وهذا مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة في باب الولاء والبراء.

سُئل فضيلة الشيخ العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ ما نصّه:

«من المعلوم أن الشيعة والمرجئة هؤلاء كلهم يختلفون مع أهل السنة والجماعة اختلافًا عظيمًا وهناك قاعدة بعض العلماء يسميها القاعدة الذهبية يُعين بعضنا بعضًا فيما اتفقنا ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا. فكيف نعذر الشيعة هؤلاء؟»

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه القاعدة الذهبية ليست قاعدة ذهبية، ولا يستحق أن تكون قاعدة فما اتفقنا فيه فهو من نعمة اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، والاتفاق خير من الاختلاف، وما اختلفنا فيه فقد يُعذر فيه المخالف، وقد لا يُعذر؛ فإذا كان الاختلاف في أمر يسوغ فيه الاختلاف؛ فهذا لا بأس به، وما زال الأئمة يختلفون؛ فالإمام أحمد والشافعي ومالك وأبو حنيفة كلهم يختلفون.

وأما إذا كان الاختلاف لا يُعذر فيه كالاختلاف في العقائد؛ فإنه لا يعذر بعضنا بعضًا، بل الواجب الرجوع إلى مادلّ عليه الكتاب والسنّة، فعلى المرجئة وعلى الشيعة وعلى كل مبتدع أن يرجع إلى الكتاب والسنّة، ولا يُعذَر؛ فهذه القاعدة ما هي قاعدة ذهبية، ولعلّك تسميها قاعدة خشبية» اهـ. المصدر: لقاء الباب المفتوح - شريط رقم (٧٥) الوجه الأوّل الدقيقة ٢٢، الثانية ٤٤ وما بعدها.

العلاج المناسب لجمع الكلمة:

لا سبيل لجمع الكلمة إلا بأمرين:

١- العودة الصادقة إلى مذهب السلف.

٢- نبذ الانتماءات والجماعات الحزبية بشتى صورها.

بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] **الآيات**.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وَقَوْلِهِ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «لَا يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» قَالَ النَّوَوي: حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رُوِّينَاهُ فِي كِتَابِ الْحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِيْنَ وَرَجُلٍ مِنَ اليَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: نَتحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ -لأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ- وَقَالَ الْمُنَافِقُ: نَتْحَاكَمُ إِلَى اليَهُودِ. لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ. فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَينَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآيَةُ [النساء: ٦٠].

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا فَقَالَ أَحْدُهُمَا: نَتْرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ. ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحْدُهُمَا القِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللَّه ﷺ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَضَرَبَهُ

بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ.

س: ما مناسبة الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ **لكتاب التوحيد؟**

ج: هذا الباب يقصد به الرد على من يدعي الإيمان بما أنزل على رسوله محمد ﷺ وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ من الطواغيت.

س: ما مناسبة الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ **للباب؟**

ج: في الآية بيان أن التحاكم إلى غير كتاب اللَّه وسنة رسوله من أعمال المنافقين، ومن الإفساد في الأرض ومن الحكم بالطاغوت.

س: ما مناسبة الآية: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ **للباب؟**

ج: في الآية بيان أن التحاكم إلى غير كتاب اللَّه وسنة رسوله من أعظم ما يفسد في الأرض وأنه لا صلاح لها إلا بتحكيم الكتاب والسنة وهو سبيل المؤمنين.

س: ما مناسبة الآية: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ **للباب؟**

ج: في الآية دلالة على وجوب تحكيم شرع اللَّه، وأن ما خالفه من

الأحكام فهو من حكم الجاهلية .

س : ما مناسبة الحديث : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» للباب ؟

ج : أنه أبان الفرق بين أهل الإيمان وأهل النفاق والمعاصي في أقوالهم وأفعالهم وإرادتهم .

س : التوحيد متضمن لتحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع . اذكر ثلاثة نصوص تقرر هذا الأمر ؟

١- قال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ .

٢- قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ .

٣- قال تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ .

س : عدد أربعة أسباب أدَّت لظهور التكفير ؟

١- الجهل بالكتاب والسنة .

٢- اتباع الهوى .

٣- التأويل الفاسد للنصوص .

٤- تلبيس الشيطان على هؤلاء .

س : متى يكون الحكم بغير ما أنزل اللَّه كفرًا أكبر ومتى يكون كفرًا أصغر ؟

يكون كفرًا أكبر في ثلاثة أحوال :

أ - إذا اعتقد أن الحكم بغير ما أنزل اللَّه أفضل من الحكم بما أنزل اللَّه .

ب - إذا اعتقد أن الحكم بغير ما أنزل اللَّه جائز .

ج - إذا اعتقد أن الحكم بغير ما أنزل اللَّه مساوٍ للحكم بما أنزل اللَّه .

ويكون كفرًا أصغر : إذا اعتقد وجوب الحكم بما أنزل اللَّه ولم يحكِّم الشريعة ؛ لجهل أو شبهة أو تأويل ونحو ذلك .

س : عدد شروط تكفير المعين ؟ ومن له حق النظر والحكم في التكفير ؟

شروط تكفير المعيَّن :

١- أن يكون بالغًا عاقلًا .

٢- أن يصدر القول والمخالفة على وجه القصد والاختيار .

٣- ألا يكون الشخص المعين متأولًا .

٤- قيام الحجة وإزالة الشبهة وفهمها .

الذي له حق النظر والحكم في التكفير : هم العلماء .

س : هل التكفير المطلق يستلزم تكفير المعين ، وضح ذلك بالمثال ؟

ج : لا يستلزم ذلك ، مثاله : من وقع في مكفر يقال وقع في الكفر ولا يقال كافر حتى تتوافر الشروط المتقدمة لأنه قد يقع في مكفر لجهل أو شبهة أو تأويل ونحو ذلك .

وتدل عليه قصة سجود معاذ بن جبل رضي الله عنه للنبي ﷺ مع أن السجود لغير اللَّه كفر ولكنه فعله تعظيما له ولما رأى من صنيع فارس بأساقفتهم فخطأه النبي ﷺ ولم يحكم عليه بكفر لتأوله.

س: اذكر أهم شبهات الطاعنين على الأمراء مع الرد المفصّل عليها؟

إليك بيان هذه الشبهات والرد عليها بشيء من الاختصار والتصرف اليسير من كتاب: «المدارج في كشف شبهات الخوارج» للشيخ: أحمد بن عمر بازمول.

قال حفظه الله:

الطعن الأول: أن ولاة الأمر لا يحكمون بشرع اللَّه في حكمهم:

ومعنى هذا الطعن:

أن الدولة السعودية لا تحكم بالكتاب والسنة، وإنما تحكم بالقوانين الوضعية!؟

وهذا الطعن باطل من وجوه:

الوجه الأول: أن ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية يصرحون ويعلنون في كل مناسبة أنهم يحكمون بشرع اللَّه، بالكتاب والسنة ولا يرضون بغيرهما بديلًا مهما كان الأمر.

والوجه الثاني: أن لسان الحال أبلغ من لسان المقال؛ فالواقع الملموس المشاهد يدل دلالة صريحة أن المملكة تحكم بشرع اللَّه في كل مرافق الحياة.

والوجه الثالث: أن العلماء أثنوا على هذه الدولة المباركة، وبينوا فضلها ومكانتها وخدمتها للإسلام والمسلمين وإقامتها للتوحيد والسنة ومحاربتها للشرك والبدع جزاها اللَّه عن الإسلام والمسلمين كل خير.

قال الشيخ عبد العزيز ابن باز -رحمه اللَّه تعالى-: «هذه الدولة السعودية دولة مباركة نصر اللَّه بها الحق ونصر بها الدين وجمع بها الكلمة وقضى بها على أسباب الفساد وأمن اللَّه بها البلاد وحصل بها من النعم العظيمة ما لا يحصيه إلا اللَّه وليست معصومة وليست كاملة كل فيه نقص فالواجب التعاون معها على إكمال النقص وعلى إزالة النقص وعلى سد الخلل بالتناصح والتواصي بالحق والمكاتبة الصالحة والزيارة الصالحة لا بنشر الشر والكذب ولا بنقل ما يقال من الباطل بل يجب على من أراد الحق أن يبين الحق ويدعو إليه وأن يسعى إلى إزالة النقص بالطرق السليمة وبالطرق الطيبة وبالتناصح والتواصي بالحق هكذا كان طريق المؤمنين وهكذا حكم الإسلام وهكذا طريق من يريد الخير لهذه الأمة.

أما ما يقوم به - الآن - محمد المسعري وسعد الفقيه وأشباههما من ناشري الدعوات الفاسدة الضالة فهذا بلا شك شر عظيم وهم دعاة شر عظيم وفساد كبير والواجب الحذر من نشراتهم والقضاء عليها وإتلافها وعدم التعاون معهم في أي شيء يدعو إلى الفساد والشر والباطل والفتن،

هذه النشرات التي تصدر من الفقيه أو من المسعري أو من غيرهما من دعاة الباطل ودعاة الشر والفرقة يجب القضاء عليها وإتلافها وعدم الالتفات إليها ويجب نصيحتهم وإرشادهم للحق وتحذيرهم من هذا الباطل ويتركوه ونصيحتي للمسعري والفقيه وابن لادن وجميع من يسلك

سبيلهم أن يدعوا هذا الطريق الوخيم وأن يتقوا اللَّه ويحذروا نقمته وغضبه وأن يعودوا إلى رشدهم وأن يتوبوا إلى اللَّه مما سلف منهم». مجموع الفتاوى والمقالات (٩/ ٩٧-١٠٠).

الطعن الثاني: أنهم يحاربون الدعاة ويضيقون عليهم:

ومعنى هذا الطعن:

أن الدولة تؤذي كل من يدعو إلى اللَّه، وتضيق عليه في دعوته للناس.

وهذا القول باطل مردود من وجوه:

الوجه الأول: أن الواقع المشاهد الملموس يكذب هذه الفرية المزعومة فالمملكة العربية السعودية تحث على العلم ونشره وتحارب الجهل.

والوجه الثاني: أن كل مسلم في هذه البلاد يعلم ما تقوم به وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد من إرسال الدعاة في داخل البلاد وإلى خارجها وإقامة الدروس والندوات والكلمات. وكما يعلم كل مسلم دور رجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه البلاد. وهاتان الجهتان على سبيل المثال.

والوجه الثالث: أن أهل العلم بينوا أن هذه الدولة تحترم العلماء ولا تحاربهم.

فقد سئل الشيخ صالح الفوزان -حفظه اللَّه تعالى-: ما نصيحتكم لمن يقول إن هذه الدولة تحارب الدين وتضيق على الدعاة؟

فأجاب -حفظه اللَّه تعالى-: الدولة السعودية منذ نشأت وهي تناصر

الدين وأهله وما قامت إلا على هذا الأساس وما تبذله الآن من مناصرة المسلمين في كل مكان بالمساعدات المالية وبناء المراكز الإسلامية والمساجد وإرسال الدعاة وطبع الكتب وعلى رأسها القرآن الكريم وفتح المعاهد العلمية والكليات الشرعية وتحكيمها للشريعة الإسلامية وجعل جهة مستقلة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل بلد كل ذلك دليل واضح على مناصرتها للإسلام وأهله وشجى في حلوق أهل النفاق وأهل الشر والشقاق واللَّه ناصر دينه ولو كره المشركون والمغرضون.
ولا نقول: إن هذه الدولة كاملة من كل وجه وليس لها أخطاء فالأخطاء حاصلة من كل أحد ونسأل اللَّه أن يعينها على إصلاح الأخطاء. ولو نظر هذا القائل في نفسه لوجد عنده من الأخطاء ما يقصر لسانه عن الكلام في غيره ويخجله من النظر إلى الناس». الأجوبة المفيدة ص: ١١٧.

الطعن الثالث: أنهم كفار؛ لأنهم يوالون الكفار:

ومعنى هذا الطعن:

أن الدولة تحب الكفار وتناصرهم وتواليهم وهذا كفر وردة عن الإسلام.

وقد سئل الشيخ صالح الفوزان -حفظه اللَّه تعالى-: إنه بسبب الأحداث التي وقعت أصبح بعض المسلمين يوالي الكفار، وكذلك لفتوى سمعها من أحد طلاب العلم، فما حكم ذلك؟

فأجاب -حفظه اللَّه تعالى-: «ما أظن مسلمًا يوالي الكفار لكن أنتم تفسرون الموالاة بغير معناها، فإن كان يواليهم جاهل أو ماهو بمسلم، من المنافقين.

أما المسلم فإنه لا يوالي الكفار لكن هناك أفعال - تحسبونها موالاة وهي ليست موالاة - مثل البيع والشراء مع الكفار، مثل الإهداء للكفار، هذا جائز ولا هو من الموالاة، هذا من المعاملات الدنيوية، تبادل المصالح، مثل استئجار الكافر لعمل، هذا ما هو من الموالاة هذا من تبادل المصالح، ويجوز أن المسلم يؤجر نفسه للكافر إذا احتاج؛ لأن هذا من باب تبادل المنافع، ما هو من باب المحبة والمودة حتى الوالد الكافر يجب على ولده أن يبر به وليس هذا من باب المحبة.

فهناك أشياء من التعاملات مع الكفار وكذلك الهدنة والعهد والأمان مع الكفار، هذا يجري، وليس هو من الموالاة، فهناك أشياء يظنها بعض الجهال أنها موالاة، وهي ليست موالاة، هناك المداراة إذا كان على المسلمين خطر ودارؤا الكفار؛لدفع الخطر هذا ليس من الموالاة، وليس هو من المداهنة، هذا مداراة وفرق بين المداراة وبين المداهنة، المداهنة لا تجوز لكن المداراة إذا كان على المسلمين أو على المسلم خطر ودفعه ودارأ الكفار لتوقي هذا الخطر فهذا ليس من المداهنة وليس من الموالاة، هذه الأمور تحتاج إلى فقه، تحتاج إلى معرفة، أما أن كل شيء مع الكفار يفسر بأنه موالاة، هذا من الجهل ومن الغلط أو من التلبيس على الناس.

الحاصل: أنه لا يدخل في هذه الأمور إلا الفقهاء وأهل العلم لا يدخل فيها طلبة العلم وأنصاف المتعلمين ويخوضون فيها، ويحللون ويحرمون ويتهمون الناس ويقولون هذه موالاة، وهم ما يدرون ولا يعرفون الحكم الشرعي هذا خطر، خطر على القائل؛ لأنه قال على اللَّه بغير علم» اهـ. فتاوى في التكفير والموالاة.

وليس التبرع للكفار بالأموال ولو كثرت من الموالاة.

فقد سئل الشيخ صالح الفوزان -حفظه اللَّه تعالى-: ما حكم التبرع للكفار بالأموال الطائلة؟

فأجاب: إذا كان لمصلحة المسلمين ما في مانع، ندفع شرهم حتى الزكاة يعطى فيها المؤلفة قلوبهم ممن يرجى كفُّ شره، الكافر الذي يرجى كف شره عن المسلمين يعطى من المال من الزكاة التي هي فرض، فكيف لا يعطى من المال الذي ما هو بزكاة؛ لأجل دفع ضررهم عن المسلمين، وهذا أيضًا من التي يظنها بعض الجهال من الموالاة، هذه مداراة لخطرهم وشرهم عن المسلمين» اهـ. فتاوى في التكفير والموالاة.

الطعن الرابع: أنهم كفار؛ لأن المنكرات والمعاصي منتشرة في المجتمع:

ومعنى هذا الطعن:

أن الوقوع وارتكاب وفعل المنكرات والمعاصي كفر يخرج من الملة، وهذه الدولة واقعة في ذلك فهي كافرة عندهم.

وهذا القول باطل من وجوه:

الوجه الأول: أن هذه الدولة - بحمد اللَّه - تقيم التوحيد وتدعو إليه وتحارب الشرك وتحذر منه، كما أنها تحي السنة وتنشرها بين الناس، وتخمد البدعة وأهلها.

نعم هناك ذنوب ومعاصي وهذا تقصير لا يستوجب الكفر، ومن يكفر بها فقد وقع في مذهب الخوارج الذين يكفرون بالمعاصي.

قال العلامة عبد العزيز ابن باز -رحمه اللَّه تعالى-: «هذه الدولة بحمد اللَّه لم يصدر منها ما يوجب الخروج عليها وإنما الذي يستبيح الخروج على الدولة بالمعاصي هم الخوارج الذين يكفرون المسلمين بالذنوب ويقاتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان» اهـ. مجموع الفتاوى والمقالات (٤/ ٨٩-٩٧).

وسئل الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه اللَّه تعالى-: ما هو ردكم على من يقول: أكثر الشر في بلد التوحيد مصدره الحكومة وأن الولاة ليسوا بأئمة سلفيين؟

فأجاب -رحمه اللَّه تعالى-: ردنا على هذا كالذين قالوا للنبي ﷺ إنه مجنون وشاعر، وكما يقال: لا يضر السحاب نبح الكلاب، لا يوجد - الحمد للَّه - مثل بلادنا اليوم في التوحيد وتحكيم الشريعة، وهي لا تخلو من الشر كسائر بلاد العالم، بل حتى المدينة النبوية في عهد النبي ﷺ وجد من بعض الناس شر، لقد حصلت السرقة، وحصل الزنا» اهـ. الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية (٥٨) للحصين.

ثم أين أصحاب الأهواء الذين يدندنون كثيرًا حول قاعدة الموازنات وذكر الحسنات والسيئات عن بعض ما تقوم به الدولة من حسنات عظيمة انتفع بها المسلمون عامة وأهل بلاد الحرمين الشريفين خاصّة ومنها:

أولًا: رعاية وتوسعة الحرمين الشريفين.

ثانيًا: بناء المساجد في داخل المملكة وخارجها.

ثالثًا: الاهتمام بأمر الحج وتسهيل سبله للحجاج.

رابعًا: طباعة المصحف الشريف وتوزيعه داخل المملكة وخارجها.

خامسًا: إرسال الدعاة وإقامة الدروس العلمية داخل المملكة وخارجها.

سادسًا: توزيع الكتب الشرعية على طلاب العلم داخل المملكة وخارجها.

سابعًا: بناء المستشفيات داخل وخارج المملكة.

ثامنًا: توزيع الأطعمة والأشربة وما يحتاج إليه المساكين.

تاسعًا: إعانة المسنين والمعاقين.

عاشرًا: كفالة الأيتام والأرامل داخل المملكة وخارجها.

إذن هذه عشر حسنات أقلّ منها واللَّه ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

أفلا تذهب الحسنات السيئات، واللَّه ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾.

- ومن شبه التكفيريين التي يقذفونها في قلوب من لا علم له ولا بصيرة في دين الله:

أن ظهور المعاصي وكثرة الوقوع فيها دليل على الاستحلال والاستحلال كفر.

وهذا الكلام الباطل لا يتمشى مع أصول أهل السنة والجماعة، وإنما يتمشى مع أصول الخوارج المارقين من الدين مروق السهم من الرمية.

وقد سئل الشيخ صالح اللحيدان: هناك بعض الشباب يحكمون بكفر

الحاكم ويحتجون بوجود منكرات ظاهرة وباستمرارها ويزعمون أن هذا يدل على استحلالها فهل هؤلاء على صواب؟

فأجاب حفظه الله: الاستحلال من أعمال القلوب وليس كل مرتكب معصية مستحلًا لها فإن الزنا وجد في عهد النبي ﷺ، السرقة وجدت في عهده، شرب الخمر وجد في عهده، وشارب الخمر قال عنه النبي ﷺ: «**إنه يحب اللَّه ورسوله ﷺ**».

وكثرت ارتكاب الذنب لا يدل على استحلال فلا يحل لإنسان أن يدعي أنه يعلم ما في القلوب وهؤلاء إنما يؤتون من جهلهم وعدم بصيرتهم، ولعل الغيرة مع ضعف البصيرة جعلتهم يجنحون هذه الجنحات، وهذا ظلم لأنفسهم وظلم لمن يكفرونه، مذهب أهل السنة والجماعة أن لا يكفر إنسان بذنب إلا إذا كان الذنب لا يرتكبه إلا كافر ولا يرتكبه مسلم على الإطلاق.

فإن من يشرب ويشرب ويشرب لم يكفره الصحابة ولم يكفره الرسول ﷺ ولما جاء ذكر الشراب المتكرر ما قال النبي ﷺ: إنه كفر الكفر المخرج من الملة.

ولكن هكذا كلما أحسن الإنسان الظن في نفسه وبدا له أنه صار رجل الدنيا وواحدها يغتر بنفسه ويعطيها حكم المفتي والقاضي والحاكم والموجه والذي يصدر الناس عن أمره وهذا من جهله بنفسه». اهـ. العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

* * *

بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الآيَة [الرعد: ٣٠].

وَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» قَالَ عَليٌّ: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ؛ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّه وَرَسُولُهُ.

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طَاوسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا انْتَفَض لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ اسْتِنْكَارًا لِذَلِك، فَقَالَ: مَا فَرَقُ هَؤلَاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ». انتَهَى.

وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِك فَأَنْزَل اللَّه فِيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠]..

س: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي بيان أن من جحد شيئًا من أسماء اللَّه وصفاته فقد أتى بما يناقض التوحيد وينافيه وذلك من شعب الكفر.

س: ما حكم إنكار شيء من أسماء اللَّه وصفاته؟

ج: الإنكار نوعان:

النوع الأول: إنكار تكذيب، وهو كفر بالإجماع.

النوع الثاني: إنكار تأويل مع عدم جحدها. فهذا على قسمين:

١- أن يكون لهذا التأويل مسوغ في اللغة العربية، فهذا لا يوجب

الكفر. مثاله: تأويل الأشاعرة لصفة الاستواء والنزول والمجيء وغيره.

٢- أن لا يكون لهذا التأويل مسوغ في اللغة العربية، فهذا يوجب الكفر لأنه تكذيب. مثاله: من ينكر صفة اليد بالكلية كالجهمية الضّلال.

س: ما مناسبة الآية: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ **للباب؟**

ج: أن اللَّه سمى جحود اسم من أسمائه كفرًا، فدلّ ذلك على أن من جحد شيئًا من أسماء اللَّه وصفاته كفر.

س: ما مناسبة أثر علي رضي الله عنه للباب ثم اذكر بعض فوائده؟

ج: دلّ الأثر على منع تحديث الناس بما لا تدركه عقولهم، ومن ذلك التفاصيل والتوسع في أسماء اللَّه وصفاته؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى إنكارها وهو كفرٌ بها، وذلك ينافي توحيد الأسماء والصفات.

ما يستفاد من الأثر:

١- فيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة.

٢- فيه دليل على أنه إذا خشي ضرر من تحديث الناس ببعض ما لا يعرفون، فلا ينبغي تحديثهم به.

٣- أهمية الحكمة في الدعوة إلى اللَّه، وأنه يجب على الداعية أن ينظر في عقول المدعوين، وينزل كل إنسان منزلته.

٤- فيه تنبيه على ما يفعله القصّاص المعصرون الذين لم يسلكوا الوعظ المنضبط في الدعوة إلى اللَّه.

س: هناك مخالفات يقع فيها من ينتسب إلى الوعظ غير المنضبط.

عدِّد عشرة منها باختصار؟

١- عدم العناية بدعوة الناس إلى التوحيد، وهذا مخالف لمنهج الأنبياء في الدعوة إلى اللَّه.

٢- عدم الأهلية العلمية، مما يؤدي إلى الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ونحو ذلك من القصص التي لا تثبت.

٣- الكذب لمصلحة الدعوة بزعمهم.

٤- عدم الجمع بين الترغيب والترهيب.

٥- كثرة الضحك التي تذهب المروءة والهيبة.

٦- تحديد أماكن المنكرات.

٧- إخبار العصاة ببعض المنكرات وتفاصيل فعلها.

٨- تنفيرهم من العلم والعلماء.

٩- الإطالة في الوعظ.

١٠- الكلام على ولاة الأمر، والدعوة إلى ما ليس من صلاحياتهم كالمقاطعة ونحوها.

س: لم ساق المؤلف أثر ابن عباس رضي الله عنهما في الباب؟

ج: يشير ابن عباس رضي الله عنهما إلى قوم ممن يحضر مجلسه من عامة الناس فإذا سمعوا شيئًا من محكم القرآن ومعناه حصل معهم الخوف وإذا سمعوا شيئًا من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين لها فلم يحصل منهم الإيمان الواجب الذي أوجبه اللَّه على عباده المؤمنين.

* * *

بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].

قَالَ مُجَاهِدٌ -مَا مَعْنَاهُ-: هُو قَولُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي.

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّه: يَقُولُونَ: لَولَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا.

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ -بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ: «أَنَّ اللَّه تَعَالَى قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عَبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...» الْحَدِيثُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَيُشْرِكُ بِهِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةٍ كَثِير.

س: ما مناسبة الآية: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لكتاب التوحيد؟

ج: أن إضافة نعم اللَّه إلى غيره بالقلب واللسان كفر ينافي التوحيد، وأما إضافتها إلى غير اللَّه باللسان مع اعتقاد أنها من عند اللَّه فهو ينافي كمال التوحيد لأن الواجب أن تضاف النعم إلى مسديها وهو اللَّه وحده وبذلك يتم التوحيد.

س: إضافة النعم لغير اللَّه على ثلاثة أقسام. اذكرها مفصلة؟

١- إذا اعتقد أن المنعم أنعم استقلالًا دون اللَّه -جل وعلا-، فهذا شرك أكبر.

٢- إذا أضاف النعمة لغير المنعم وجعله سببًا وليس كذلك، فهذا شرك أصغر.

٣- إذا أضاف النعمة لشخص ثبت كونه منعمًا وسببًا حقيقيًّا، فهذا جائز.

لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ فأضيفت النعمة للرسول ﷺ. ومنع من هذا القسم الشيخ سليمان بن عبداللَّه في التيسير واستدل بحديث زيد بن خالد: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر...**».

والصواب أنّ النوء ليس سببًا حقيقيًّا أصلًا، والبحث في الأسباب الحقيقية.

س: دلل على أن السبب وحده قد لا يؤثر وأنه لابد من الالتفات إلى المسبب؟

ج: قوله ﷺ «ليس السنة ألا تمطروا، وإنما السنة أن تمطروا ثم لا تنبت الأرض» رواه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه.

* * *

بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:

﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ: «الأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَودَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللَّه وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ وَحَيَاتِي، وَتَقُولُ: لَوْلَا كُلَيْبَةُ هَذَا لأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا البَطُّ فِي الدَّارِ لأَتَى اللُّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّه وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّه وَفُلَانٌ؛ لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا، هَذَا كُلُّه بِهِ شِرْكٌ». رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّه فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «لأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّه كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا».

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّه وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّه ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ: أَعُوذُ بِاللَّه وَبِكَ، وَيَجُوزُ أَنَّ يَقُولَ: بِاللَّه ثُمَّ بِكَ. قَالَ: وَيَقُولُ لَوْلَا اللَّه ثُمَّ فُلَانٌ، وَلَا تَقُولُوا: لَوْلَا اللَّه وَفُلَانٌ.

س: ما مناسبة الآية: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لكتاب التوحيد؟ ثم اذكر بعض فوائد الآية.

ج : أن من تحقيق التوحيد الاحتراز من الشرك باللَّه في الألفاظ ، وإن لم يقصد بها المتكلم معنىً لا يجوز ، بل ربما تجري على لسانه من غير قصد ، كما يجري على لسانه أنواع من الشرك الأصغر لا يقصدها .

ما يستفاد من الآية :

١- بيان بعض نعم اللَّه على عباده .

٢- نفي الند عن اللَّه ﷻ .

قال تعالى : ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ .

٣- التحذير من الشرك .

٤- أن المشركين مقرين بتوحيد الربوبية .

٥- أن الشرك الأصغر خفيٌّ جدًّا وقلّ من يتنبه له .

٦- وجوب تجنب الألفاظ الشركية ولو لم يقصدها الإنسان بقلبه .

س : ما مناسبة حديث ابن عمر : «من حلف بغير اللَّه فقد كفر أو أشرك» للباب ؟ ثم اذكر بعض فوائده .

ج : دل الحديث على أن الإقسام بغير اللَّه شرك .

يستفاد من الحديث :

١- تحريم الحلف بغير اللَّه .

٢- أن التعظيم بالحلف حق للَّه ﷻ فلا يحلف إلا به .

٣- أن الحلف بغير اللَّه لا تجب به كفارة؛ لأنه لم يذكر فيه كفارة.

س: لماذا اختار ابن مسعود الحلف باللَّه كاذبًا على الحلف بغيره صادقًا مع أن الحلف باللَّه كاذبًا كبيرة من الكبائر؟ وأيهما أعظم الشرك الأصغر أم الكبائر؟

ج: اختار ذلك لأن الحلف ياللَّه في هذه الحالة فيه حسنة التوحيد، وسيئة الكذب، والحلف بغيره صادقًا فيه حسنة الصدق وسيئة الشرك، وحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك. والأقرب أن يقال: (الشرك الأصغر أعظم من الكبائر مما هو من جنسها، وجنس الشرك أعظم من جنس الكبائر).

مثاله: الحلف باللَّه كاذبًا، أهون من الحلف بغيره صادقًا، وفي الكبائر ما ورد فيه التغليظ ما لم تجده في بعض صور الشرك الأصغر.

جاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره- كراهة تحريم- أن يقول الرجل: (أعوذ باللَّه وبك).

س: فعلى أي شيء يدل الأثر؟

ج: يدل الأثر على تحريم عطف الاستعاذة بالمخلوق على الاستعاذة باللَّه بالواو؛ لأن الواو تقتضي التشريك بين المتعاطفين، وذلك يؤدي إلى الشرك.

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللَّه

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّه فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّه فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّه» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

س: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن عدم القناعة بالحلف باللَّه وعدم الرضاء به ينافي كمال التوحيد لأن ذلك استخفاف باللَّه وتنقص له.

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: دلّ الحديث على وجوب رضا من حُلف له بالله؛ لأن ذلك تعظيم لله، وذلك من كمال التوحيد.

س: اذكر بعض ما يستفاد من الحديث.

ج: يستفاد من الحديث:

١- تحريم الحلف بغير اللَّه.

٢- جواز الحلف باللَّه إذا كان صادقًا.

٣- تحريم الحلف باللَّه كاذبًا.

٤- فضيلة الصدق.

٥- وجوب الرضا على من حُلِف له باللَّه، وذلك ما لم يتحقق كذب الحالف.

٦- وجوب تعظيم شعائر اللَّه، قال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

س: ما حكم الحلف بغير اللَّه إذا أريد به التعظيم الذي لا يصل إلى مرتبة تعظيم اللَّه -جل وعلا-، اذكر الخلاف في المسألة مع ذكر الأدلة والراجح؟

ج: اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين:

١- مكروه، وهو المشهور عند المالكية وقول جمهور الشافعية وقول عند الحنفية.

واستدلوا بحديث طلحة بن عبيد اللَّه رضي الله عنه في صحيح مسلم «**أفلح وأبيه إن صدق**».

٢- محرم وهو الراجح، وهو المشهور عند الحنفية وقول الحنابلة والظاهرية وقول عند المالكية والشافعية، واستدلوا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**من حلف بغير اللَّه فقد كفر أو أشرك**».

س: وردت عدة نصوص في تحريم الحلف بغير اللَّه. فكيف توفق بينها وبين حديث طلحة بن عبيد اللَّه رضي الله عنه في صحيح مسلم: «أفلح وأبيه إن صدق» اذكر الخلاف الوارد في ذلك والراجح في المسألة؟

١- من العلماء من سلك مسلك الجمع بين النصوص:

فقيل: إنه أريد به الإضمار فيكون المعنى: (أفلح وربِّ أبيه إن صدق).

وقيل: إن المراد توكيد الكلام لا الحلف.

وقيل: إن هذا خاص بالنبي ﷺ.

وقيل: إن هذا اللفظ يراد به التعجب لا الحلف.

وقيل: إنه لفظ يجري على ألسنة الناس بلا قصد الحلف، مثل: تربت يمنك.

٢- ومن العلماء من قال: إن حديث «**أفلح وأبيه إن صدق**» منسوخ بحديث النهي الصريح عن الحلف بغير اللَّه. وهو قول ابن قدامة وابن عبد البر والطحاوي والقرطبي والشيخ: سليمان بن عبداللَّه (صاحب تيسير العزيز الحميد).

٣- ترجيح أحاديث النهي والحكم على رواية (أفلح وأبيه) بالشذوذ.

الراجح: التحريم لحديث ابن عمر ﵄، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم من حلف باللَّه فليصدق ومن حلف له باللَّه فليرض ومن لم يرض فليس من الله**» رواه ابن ماجه بإسناد حسن ولقوله ﷺ: «**لا تحلفوا بآبائكم**» وخص الآباء، هنا بالذكر؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يحلفون بآبائهم، وإلا كل من حلف بغير اللَّه فقد وقع في الشرك قال ﷺ: «**من حلف بغير اللَّه فقد كفر أو أشرك**» رواه أحمد وخرج أبو داود من حديث بريدة بن الحصيب ﵁، أن النبي ﷺ قال: «**من حلف بالأمانة فليس منا**».

* * *

بَابُ قَوْلِ: «مَا شَاءَ اللَّه وَشِئْتَ»

عَنْ قُتَيْلَةَ أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُون: مَا شَاءَ اللَّه وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالكَعْبَةِ. فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنَّ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «وَرَب الكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّه ثُمَّ شِئْتَ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ.

وَلَهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّه وَشِئْتَ. فَقَالَ: «أَجعلتَنِي للَّه نِدًّا؟! مَا شَاءَ اللَّه وَحْدَهُ».

وَلابْنِ مَاجَه، عَنِ الطُّفَيْلِ أَخِي عَائِشَةَ لأُمِّهَا قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ اليَهُودِ، فَقُلْتُ: إِنَّكَمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ، لولَا أَنَّكُمْ تقُولُونَ: عُزَيرٌ ابْنُ الله، قَالُوا: وَأَنْتُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّه وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقُلتُ: إِنْكُمْ لأَنتُمُ القَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ الله، قَالُوا: وَأَنْتُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّه وَشَاءَ مُحَمَّدٌ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخبَرتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «هَلْ أَخْبَرتَ بِهَا أَحَدًا؟» قُلتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَحَمِدَ الله، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّه وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّه وَحْدَهُ».

س: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن التشريك بين اللَّه وبين خلقه في المشيئة من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد.

س: ما مناسبة حديث «قتيلة» للباب؟

ج: دلَّ الحديث على أن قول: (ما شاء اللَّه وشئت) شرك، والشرك هنا أنه جعل المعطوف مساويًا للمعطوف عليه وهو اللَّه.

س: اذكر بعض ما يستفاد من الحديث.

من فوائده ما يلي:

١- في الحديث قبول الحق ممن جاء به من كان. (ولا يفهم منه تقرير منهج الموازنات)

٢- النهي عن الحلف بالكعبة مع أنها بيت اللَّه التي حجها وقصدها بالحج والعمرة فريضة.

وهذا يبين أن النهي عن الشرك باللَّه عام، لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، ولا للكعبة التي هي بيت اللَّه في أرضه.

٣- النهي عن قول: ما شاء اللَّه وشئت.

٤- معرفة اليهود بالشرك.

٥- أن معرفة الإيمان بالحق لا تستلزم الإيمان ولا العمل.

٦- إثبات صفة المشيئة للَّه سبحانه.

٧- إثبات صفة المشيئة للمخلوق لكنها تابعة لمشيئة اللَّه.

٨- جواز عطف مشيئة المخلوق على مشيئة اللَّه بِثمّ.

٩- مشروعية الرجوع إلى الحق.

١٠- أنه ينبغي أن يغير الشيء إلى شيء قريب منه .

س : ما مناسبة حديث «ابن عباس» للباب؟

ج : دلّ الحديث على أن قول : ما شاء اللَّه وشئت ، شرك أصغر ، وهو من اتخاذ الند .

س : اذكر بعض ما يستفاد من الحديث .

من فوائده ما يلي :

١- أن قول : (ما شاء اللَّه وشئت) شرك ، لوجود التسوية في العطف بالواو .

٢- وفيه بيان أن من سوّى العبد باللَّه ولو في الشرك الأصغر فقد جعله ندًا لله ، شاء أم أبى .

٣- أن الرسول ﷺ ليس له شيء من خصائص الربوبية .

٤- وجوب إنكار المنكر .

٥- أن من حسن الدعوة إلى اللَّه أن تذكر ما يباح إذا ذكرت ما يحرم .

س : ما مناسبة حديث «الطفيل» للباب؟

ج : دلّ الحديث على تحريم عطف مشيئة المخلوق على مشيئة اللَّه بالواو ؛ لأن الواو تقتضي التشريك بين المتعاطفين ، وذلك يؤدي إلى الشرك باللَّه .

س : اذكر بعض ما يستفاد من الحديث .

من فوائده ما يلي :

١- هذا الحديث والذي قبله أمرهم ﷺ أن يقولوا : ما شاء اللَّه وحده ،

ولا ريب أن هذا أكمل في الإخلاص، وأبعد عن الشرك من أن يقولوا: ثم شاء فلان؛ لأن فيه التصريح بالتوحيد المنافي للتنديد من كل وجه، بالبصير يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص.

٢- وفيه الخطبة للأمور المهمة ومشروعية حمد اللَّه والثناء عليه في الخطب.

قال ابن القيم «وكان ﷺ يفتتح خطبه كلها بالحمد لله».

٣- مشروعية التثبت وعدم التسرع في الأمور.

٤- الأمر بإفراد اللَّه في المشيئة.

٥- الرؤيا ليست من مدارك التشريع ما لم يأت إقرار نبوي لها.

س: الرؤيا تنقسم إلى ثلاثة أقسام، اذكرها.

ج: الأول: الرؤيا من اللَّه وهي الرؤيا الحق. وقد تكون بشارة، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٣، ٦٤] فسرت البشرى في الحياة الدنيا بالرؤيا الصالحة، يراها الرجل أو ترى له، وفسرت بمحبة الناس له، والثناء عليه، وقد تكون الرؤيا نذارة أو تحذيرًا له من أمر أو شخص.

الثاني: ما يكون من الشيطان من الأحلام المزعجة، وقد تكون بسبب أن النائم لم يذكر الأوراد الشرعية عند النوم. فإذا رأى النائم شيئًا من ذلك فليتحول عن جنبه الذي كان عليه إلى الجنب الآخر وينفث عن يساره ثلاث مرات، ويستعيذ باللَّه من الشيطان الرجيم.

الثالث: أضغاث أحلام وهي أفكار كان يفكر بها في اليقظة فتتوارد في

نومه . وعلى المسلم أن يحرص عند نومه على أذكار النوم، كقراءة آية الكرسي، وأن يجمع كفيه ثم ينفث فيهما، فيقرأ فيهما المعوذات ثلاثا ثم يمسح بهما مما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجه وما أقبل من جسده ثلاث مرات ثم يقرأ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ثم ينام على خاتمتها فإنها براءة من الشرك كما ورد في الصحيح عنه ﷺ .

س : عدد ثمانية ألفاظ من صور الشرك الأصغر على ضوء ما درست في الأبواب السابقة؟

١- الحلف بغير اللَّه .

٢- قول لولا فلان لحصل كذا .

٣- قول لولا اللَّه وفلان .

٤- قول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص .

٥- قول لولا البط في الدار لأتى اللصوص .

٦- قول ما شاء اللَّه وشئت .

٧- قول ما شاء اللَّه وشاء محمد .

٨- قول أعوذ باللَّه وبك .

* * *

بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّه

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ **الآيَةُ** [الجاثية: ٢٤].

فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّه تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّه هُوَ الدَّهْرُ...».

س: ما مناسبة الباب لكتاب التوحيد؟

ج: أنّ سب الدهر يتضمن الشرك، لما فيه من نسبة الإهلاك إلى الدهر وإنما الفاعل اللَّه تعالى.

س: ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال اللَّه تعالى: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار»، وفي رواية: «لا تسبوا الدهر فإن اللَّه هو الدهر» من خلال الحديث السابق أجب عما يأتي:

أ- : ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: هي: أن من أضاف إلى الدهر فعلًا من الأفعال أو أمرًا من الأمور فقد آذى اللَّه تعالى ولا يضر اللَّه شيئًا.

ب- : ما معنى سب الدهر؟

ج: أي سب الزمان وشتمه وذمه.

قال الشافعي وأبو عبيد وغيرهم من الأئمة: «كانت العرب في جاهليتهم إذا أصابتهم شدة أو بلاء، قالوا: يا خيبة الدهر فيسندون الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو اللَّه، فكأنهم سبوا اللَّه ﷻ؛ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة».

جـ: ما حكم سب الدهر ووصفه؟

ج:

١- إذا اعتقد المرء تصرف الدهر بذاته. كأن يعتقد بسبه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر، فهذا شرك أكبر.

٢- أن يسب الدهر لا لاعتقاد أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن اللَّه هو الفاعل، لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه، فهذا محرم ولا يصل إلى درجة الكفر.

٣- أن يقول الوصف على وجه الخير المحض دون اللوم والذم. مثل أن يقول: تعبنا من شدة حرّ هذا اليوم فهذا جائز.

د- هل الدهر من أسماء اللَّه؟ وكيف يُرَد على من ادَّعى أنه من أسماء اللَّه؟

ج: الدهر ليس من أسماء اللَّه لأمور منها:

١- أن سياق الحديث يدل على ذلك ويأباه غاية الإباء.

٢- أن أسماء اللَّه مشتقة، والدهر اسم جامد لا يحمل معنى إلا أنه اسم للأوقات.

٣- أنه لو كان ذلك حقًّا، لكان الذين قالوا: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾

صادقين، ولم يرد اللَّه عليهم بقوله: ﴿إن هم إلا يظنون﴾.

هـ- اذكر بعض فوائد الحديث.

ج:

١- النهي عن سب الدهر.

٢- أن سب الدهر يؤذي اللَّه.

٣- نفي الفاعلية عن الدهر.

* * *

بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي القُضَاةِ وَنَحْوِهِ

فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّه رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا الله». قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ: شَاهَان شَاه.

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّه يَوم القِيامَةِ وَأَخْبَثُهُ»

وَقَوْلِهِ: «أَخْنَعَ» يَعْنِي: أَوْضَعَ.

س: ما مناسبة الباب لكتاب التوحيد؟

ج: فيه بيان أن التسمي بملك الأملاك ونحوه؛ لأن ذلك شرك مع اللَّه في ربوبيته.

س: اذكر بعض فوائد حديث الباب.

يستفاد من الحديث:

١- تحريم التسمي بملك الأملاك.

لأن هذا اللفظ يصدق على اللَّه تعالى، فهو ملك الأملاك، لا ملك أعظم ولا أكبر منه، مالك الملك ذو الجلال والإكرام، وكل مُلك يؤتيه اللَّه من يشاء من عباده، فهو عارية يُسرع ردها إلى المعير، وهو اللَّه ينزع الملك من ملكه تارة، وينزع الملك منه تارة، فيصير لا حقيقة له سوى اسم زال مسماه، وأما رب العالمين فملكه دائم كامل لا انتهاء له، بيده القسط يخفضه ويرفعه.

٢- أن الذي تسمى بهذا الاسم: (ملك الأملاك) قد كذب وفجر وارتقى إلى ما ليس له بأهل، بل هو حقيق برب العالمين، فإنه الملك في الحقيقة، فلهذا كان أذل الناس عند اللَّه يوم القيامة.

٣- أن الملك والتدبير والخلق كله لله.

٤- تحريم التسمي بملك الأملاك، وكل ما دلّ على الغاية في العظمة، كقاضي القضاة ونحوه.

٥- قول سفيان الثوري: «مثل شاهان شاه» معناها عند العجم: ملك الأملاك.

وإنما مثل سفيان بشاهان شاه لأنه قد كثرت التسمية به في ذلك العصر، فنبه سفيان بأن الاسم الذي ورد الخبر بذمه لا ينحصر في ملك الأملاك، بل كل ما أدى معناه بأي لسان كان فهو مراد الذم. [ذكره الحافظ]

٦- التحذير من كل ما فيه تعاظم.

❊ ❊ ❊

بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللَّه تَعَالَى وَتَغْيِيرِ الاسْمِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّهُ كَانَ يُكنَّى أَبَا الْحَكَم، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّه هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ» فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الفَرِيقَيْنِ. فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟» قَالَ: شُرَيحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ الله. قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيحٌ. قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ وَغَيْرُهُ.

س: ما مناسبة حديث أبي شريح للباب؟

ج: هي أن التسمي بشيء من أسماء اللَّه والتكني بها مما ينافي كمال التوحيد لأن فيه مشابهة لأسماء اللَّه.

س: تنقسم أسماء اللَّه تعالى من حيث حكم التسمي بها إلى ثلاثة أقسام، اذكرها؟

ج:

الأول: أن يحلّى الاسم ب (أل)، كالتسمي بالعزيز والحكيم ونحو ذلك. ففي هذه الحالة لا يسمى به غير اللَّه ﷻ؛ لأن (أل) تدل على تدل على لمح الأصل، وهو المعنى الذي تضمنه هذا الاسم.

الثاني: إذا قصد بالاسم معنى الصفة وليس محلى ب (أل) فإنه لا يسمى به غير اللَّه. ومنه تغيير النبي ﷺ كنية أبي شريح رضي الله عنه من (أبي

الحكم) إلى الكنية بأكبر أولاده.

الثالث: إذا لم يقصد بالاسم معنى الصفة وليس محلى ب (أل) فإنه يسمى به غير اللَّه.

انظر: فتاوى العقيدة لابن عثيمين (ص٣٧).

س: تنتسب بعض القبائل إلى جدها فيقال: (العبد اللَّه، العبدالرحمن) فما حكم هذه النسبة مع التعليل؟

ج: أسماء اللَّه على قسمين:

١- أسماء خاصة به: مثل: (اللَّه - الرحمن)، فهذه لا يجوز النسبة إليها؛ لأنه قد يوهم أن العبد صفة لله، تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا.

٢- أسماء مشتركة يجوز إطلاقها عليه وغيره: مثل (اللطيف)، فهذه يجوز النسبة إليها. والأسلم تجنب مثل هذه الألفاظ واستبدالها بـ (آل عبداللَّه - آل عبدالرحمن - آل عبداللطيف ونحو ذلك).

* * *

بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيءٍ فِيْهِ ذِكْرُ اللَّه أَوِ القُرْآنِ أَو الرَّسُولِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَزَيدِ بْنِ أَسْلَمَ وَقَتَادَةَ -دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ- أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤلَاءِ، أَرْغَبُ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبُ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنُ عِنْدَ اللِّقَاءِ -يَعْنِي: رَسُولَ اللَّه ﷺ وَأَصْحَابَهُ القُرَّاءَ-، فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ. فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ ليُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ القُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُول اللَّه ﷺ وَقَدْ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ -فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ نَقْطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقَ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ، وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]، وَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ.

س: ما علاقة هذا الباب بكتاب التوحيد؟

ج: هي أن السخرية والتهكم والاستهزاء بالإسلام والمسلمين وشعار الدين كفر ينافي التوحيد.

س: ما مناسبة الآية والحديث للباب؟

ج: دلت الآية والحديث على كفر من استهزأ بالله وآياته أو برسوله.

س: اذكر بعض فوائد حديث الباب.

يستفاد من الحديث:

١- أن الاستهزاء بالدين وأهله كفر.

٢- أن الاستهزاء صفة من صفات الكافرين، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾ . . . .

٣- أن الاستهزاء صفة من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

٤- ذكر الله ﷻ أن الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين سبب في دخول نار جهنم وعدم الخروج منها، فعندما ينادي أهل النار قائلين: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ﴾، قال تعالى جوابًا عنهم: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

٥- أنه يجب على كل مسلم أن لا يجالس المستهزئين بدين الله لئلا يكون منهم، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ

ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ .

٦- بيان علم اللَّه بما يكون، لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ .

٧- أن أعظم الكفر الاستهزاء باللَّه وآياته ورسله .

٨- قوله: ﴿أَبِٱللَّهِ﴾ . . . ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ أي فليس لكم عذر؛ لأن هذا لا يدخله الخوض واللعب وإنما تحترم هذه الأشياء وتعظم ويخشع عندها إيمانًا باللَّه ورسوله وتعظيمًا لآياته وتصديقًا وتوقيرًا، والخائض واللاعب منتقض لها .

٩- أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها .

١٠- المبادرة بالإنكار والشدة على المنافقين .

١١- جواز وصف الرجل بالنفاق إذا قال أو فعل ما يدل عليه .

١٢- أن المنافقين أكذب الناس قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ .

١٣- عدم قبول عذر المبطلين .

١٤- وجوب التشدد في ردع المستهزئين بالدين .

س: عدد ستةً من بواعث الاستهزاء بالدين؟

١- الكره والحقد على دين الإسلام والحرص الشديد على تشويه صورته .

٢- النقمة على أهل الخير والصلاح .

٣- الفراغ وحب الضحك على الآخرين .

٤- الكبر واحتقار الآخرين والإعجاب بالنفس.

٥- التقليد الأعمى لأعداء الدين.

٦- حب الدنيا والمال والدرهم والدينار.

* * *

بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [فصلت: ٥٠] الآية.

قَالَ مُجَاهِدٌ: هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي.

وَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القَصَص: ٧٨].

قَالَ قَتَادَة: عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوجُوهِ الْمَكَاسِبِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّه أَنِّي لَهُ أَهْلٌ.

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلاثةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّه أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ. قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ -أَوْ: البَقَرُ؛ شَكَّ إِسْحَاقُ- فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، وَقَالَ: بَارَكَ اللَّه لَكَ فِيهَا.

قَالَ: وَأَتَى الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْك؟ قَالَ: شَعرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ. فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا. فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْك؟ قَالَ: البَقَرُ -أَوْ: الإِبِلُ- فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، قَالَ: بَارَكَ اللَّه لَكَ فِيهَا.

فَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّه إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللَّه إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ. فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا. فَأَنْتَجَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا، فَكَان لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّه ثُمَّ بِك. أَسْأَلُكَ - بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ- بَعِيْرًا أَتبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيْرَةٌ. فَقَالَ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيْرًا فَأَعْطَاكَ اللَّه ﷻ الْمَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّه إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيهِ هَذَا. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ. فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّه ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ - بِالذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ- شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّه إِلَيَّ بَصَرِي. فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ. فَوَاللَّه لَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ للَّه ﷻ؛ فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّه عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ» . [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومسلم].

س: ما مناسبة الآية لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن تقييد نعم اللَّه بشكره والثناء عليه بها من كمال التوحيد وأن

إنكار النعم وجحودها من الكفر الذي ينافي كمال التوحيد.

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: أن فيه وعيدًا لمن أنكر نعم اللَّه وأضافها إلى غيره.

س: اذكر بعض فوائد حديث الباب.

يستفاد من الحديث:

١- هذا الحديث عظيم وفيه معتبر:

فإن الأَوَلَين جحدا نعمة اللَّه، فما أقرا للَّه بنعمه ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها، ولا أديا حق اللَّه فيهما بنعمه فحل عليهما السخط.

وأما الأعمى فاعترف بنعم اللَّه ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدى حق اللَّه فيها، فاستحق الرضا من اللَّه بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها، وهي:

الإقرار بالنعمة، ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يجب.

٢- أن الرسول ﷺ يقص علينا أنباء بني إسرائيل لأجل الاعتبار والاتعاظ.

٣- إثبات معجزة النبي ﷺ.

٤- نسبة النعمة إلى غير اللَّه كفرٌ بها وسبب لزوالها.

٥- بيان قدرة اللَّه بإبراء الأبرص والأقرع والأعمى.

٦- أن الملائكة أجسام ولهم قدرة على التشكل بصورة البشر.

٧- فضل الصدقة والحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم.

٨- من أقبح الصفات البخل، فإنه حمل الشخصين على نسيان نعمة

اللَّه عليهما وجحدها .

٩- أن البخل والكذب موجبان لغضب اللَّه وسخطه .

١٠- الصدق والكرم من الصفات الحميدة .

١١- أن بركة اللَّه لا نهاية لها .

١٢- بيان أن شكر كل نعمة بحسبها .

١٣- أن الابتلاء قد يكون عامًا وظاهرًا .

١٤- فضيلة الورع والزهد .

١٥- ثبوت الإرث في الأمم السابقة .

١٦- إثبات صفة الرضا والسخط لله .

* * *

بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف: ١٩٠] **الآيَةُ.**

قَالَ ابْنُ حَزْم: اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيم كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللَّه، كَعَبْدِ عَمْرٍو وعَبْدِ الكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِك، حَاشَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ!.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ قَالَ: لَمَا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ، لَتُطِيعَانِنِي أَوْ لأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَي أُيَّلٍ؛ فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِك فَيَشُقُّهُ، وَلأَفْعَلَنَّ، وَلأَفْعَلَنَّ -يُخَوِّفُهُمَا- سَمِّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ؛ فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيْتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف: ١٩٠]. **رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.**

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: شُرَكَاء فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ.

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ **قَالَ: أَشْفَقَا أَلَّا يَكُونَ إِنْسَانًا.**

وَذَكر مَعْنَاهُ عَنِ الْحَسَنِ وَسَعِيدٍ وَغَيْرِهِمَا..

س: ما مقصود المؤلف من الترجمة؟

ج: قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مقصود الترجمة: أن من أنعم اللَّه عليهم بالأولاد، وكمّل اللَّه النعمة بهم، بأن جعلهم صالحين في أبدانهم،

وتمام ذلك أن يصلحوا في دينهم، فعليهم أن يشكروا اللَّه على إنعامه، وأن لا يعبدوا أولادهم لغير اللَّه، أو يضيفوا النعم لغير اللَّه، فإن ذلك كفران للنعم منافٍ للتوحيد».

س: ما حكم التسمي بعبد المطلب؟

ج: أجاز بعض العلماء التسمية بعبد المطلب استدلالًا بقوله ﷺ: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**» [رواه البخاري].

والصحيح تحريم التسمية بعبد المطلب. وأن قوله ﷺ: «**أنا ابن عبد المطلب**» هو من باب الإخبار بأن له جدا اسمه عبد المطلب، ولم يرد أنه ﷺ يسمى عبد المطلب أو أمر أحد صحابته بذلك، والمطلب جد النبي ﷺ كان اسمه (شيبة)، وإنما سمى عبد المطلب لأنه حينما قدم به عمه (المطلب) إلى مكة حسبه الناس عبدا له فسموه (عبد المطلب) فاشتهر بهذا الاسم.

س: قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ **اذكر أقوال المفسرين في المراد بالآية؟**

١- قيل: المراد أدم وحواء.

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا على ماقال السلف زلة منهما حيث أطاعا فيها الشيطان في عبدالحارث). والقصة ليست طعنًا فيهما فإن من أذنب ذنبًا ثم تاب لا يلام.

٢- وقيل: إن آدم وحواء لم يعلما بتحريم ما صنعا وقد خفي عليهم الحكم.

٣- وقيل: المراد بها بنو إسرائيل لكن السياق لايقتضي هذا الأمر.

٤- وقيل: معنى الآية: (أنه لما آتى آدم وحواء صالحًا، كفرا به- الصالح السوي- بعد ذلك كثير من ذريتهما، وأسند فعل الذرية إلى آدم وحواء؛ لأنهما أصل لذريتهما، فالمراد المشركون من بني آدم لا آدم وحواء وهذا القول ذكره الشنقيطي في أضواء البيان دون ترجيح ورجحه ابن كثير.

❋ ❋ ❋

بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]: **يُشْرِكُونَ.**

وَعَنْهُ: سَمَّوا اللَّاتَ مِنَ الإِلَهِ، وَالعُزَّى مِنَ العَزِيزِ.

وَعَنِ الأَعْمَشِ: يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا.

س: بين مقصود المؤلف بهذا الباب؟

ج: مقصوده الرد على من يتوسل بالأموات وأن المشروع هو التوسل بأسماء اللَّه وصفاته والأعمال الصالحة.

س: ما كيفية سؤال اللَّه بأسمائه الحسنى؟

ج: يسأل لكل مطلوب بالاسم المقتضى لذلك المطلوب المناسب لحصوله. فمن سأل اللَّه العلم سأله باسمه العليم، ومن سأله الرزق سأله باسم الرزاق، تقول يا عليم علمني، يا رزاق ارزقني، يا رحمن ارحمني، وهكذا بقية الأسماء الحسنى.

س: اذكر مراتب إحصاء أسماء اللَّه الحسنى وهل أسماء اللَّه تعالى محصورة بعدد يعلمه الخلق؟

ج: لإحصاء أسماء اللَّه الحسنى ثلاث مراتب:

١- إحصاء ألفاظها وعددها .

٢- فهم معانيها ومدلولها .

٣- دعاء اللَّه بها دعاء عبادة وثناء ودعاء مسألة وطلب .

وهي غير منحصرة في هذا العدد بدليل قوله ﷺ: «**أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**» . رواه الإمام أحمد وأبو حاتم وابن حبان في صحيحه . فجعل أسماءه ثلاثة أقسام : قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من خلقه ، وقسم أنزل به كتابه وتعرف به إلى عباده ، وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحدًا من خلقه .

س : ما الإلحاد؟ وما معنى الإلحاد في أسماء اللَّه ؟واذكر أنواعه مع التمثيل لها؟

ج : الإلحاد هو العدول عن القصد والميل والانحراف ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة . ومعنى الإلحاد في أسماء اللَّه العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت .

والإلحاد في أسماء اللَّه وصفاته على ثلاثة أنواع :

الأول : إلحاد المشركين الذين عدلوا بأسماء اللَّه تعالى عما هي عليه وسموا بها أوثانهم ، فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنان .

الثاني : إلحاد المشبهة الذين يكيفون صفات اللَّه تعالى ، ويشبهونها بصفات خلقه وهو مقابل لإلحاد المشركين ، فأولئك سوّوا المخلوق برب العالمين ، وهؤلاء جعلوه بمنزلة الأجسام المخلوقة وشبهوه بها

تعالى وتقدس.

الثالث: إلحاد النفاة المعطلة. وهم على ثلاثة أقسام:

ت- الفلاسفة المشّاؤون.

وهم ثلاثة أصناف:

- المكذبة النفاة، وعلى رأسهم ابن سينا: (يصفون اللَّه بالصفات السلبية على وجه التفصيل).

- المتجاهلة الواقفة، : (لا يثبتون الصفات ولا ينفونها).

- المتجاهلة اللا إرادية، ويحكى هذا القول عن الحلاج، يقولون: (لا نقول عن اللَّه ليس بموجود ولا معدوم).

ث- أهل وحدة الوجود. ومنهم ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض والعفيف التلمساني. يقولون: (وجود الخالق هو وجود المخلوق).

ج- أهل الكلام وهؤلاء خمسة أصناف وهم:

- الجهمية: (ينكرون أسماء اللَّه وصفاته).

- المعتزلة: (يثبتون الأسماء وينكرون الصفات).

الأشاعرة: (يثبتون الأسماء الحسنى)، و(يثبتون -سبع- صفات) وهي:

«السمع - البصر - الحياة - القدرة - الإرادة - العلم - الكلام».

- الماتريدية: (يثبتون ثمان صفات، وهي الصفات السبع عند الأشاعرة، وصفة التكوين).

- الكلابية، ويسمون الصفاتية: (يثبتون الصفات الذاتية فقط).

س: التوسل المشروع ينقسم إلى ثلاثة أقسام. اذكرها مع التدليل على كل قسم بدليل واحد؟

ج:

١- أن يتوسل بأسماء اللَّه وصفاته. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ وفي الحديث: «**أعوذ بعزة اللَّه وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**».

٢- التوسل إلى اللَّه بالعمل الصالح: كأن تتوسل بإيمانك وتوحيدك وطاعتك. قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾... وكتوسل أصحاب الغار بأعمالهم الصالحة.

٣- التوسل إلى اللَّه بدعاء الرجل الصالح. قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ﴾ وفعل عمر مع العباس لمّا طلب منه أن يدعو لهم بالغيث.

* * *

بَابُ لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللَّه

فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّه مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَى الله، فَإِنَّ اللَّه هُوَ السَّلَامُ».

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: هي أن اسم السلام لا يصلح إلا للَّه فمن سمى به غير اللَّه فقد أتى بما يناقض التوحيد وينافيه.

س: اذكر بعض فوائد حديث الباب.

يستفاد من الحديث:

١- تحريم قول: السلام على اللَّه، وأن ذلك ينافي كمال التوحيد الواجب لسببين:

السبب الأول: لأنه يوهم نقص اللَّه؛ لأن فيه عيبًا.

السبب الثاني: لأنه خلاف الحقيقة، فاللَّه يدعى ولا يدعى له، فلا يدعى له بالسلام لأنه هو السلام.

٢- أنكر النبي ﷺ التسليم على اللَّه، وأخبر أن كل سلام ورحمة له ومنه فهو مالكها ومعطيها، وهو السلام.

٣- إذا منع الإسلام عن شيء أرشد إلى ما يغني عنه، ولذلك قال لهم: (قولوا: التحيات لله...).

٤- أن السلام من أسماء اللَّه .

٥- أن أسماء اللَّه كلها حسنى بالغة الحسن .

٦- أن الرب ﷻ يتصف بصفات الكمال .

٧- جواز السلام على الملائكة ؛ لأن النبي ﷺ لم ينه عنه .

٨- بيان سمو الشريعة الإسلامية ، وأن أوامرها ونواهيها مقرونة بالحكم .

* * *

بَابُ قَوْلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللَّه لَا مُكْرِهَ لَهُ».

وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّه لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: لما كان العبد لا غنى له عن رحمة اللَّه ومغفرته طرفة عين، بل فقير بالذات إلى الغني بالذات، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾، نُهِيَ عن قول ذلك لما فيه من إيهام الاستغناء عن مغفرة اللَّه ورحمته، وذلك مضاد للتوحيد.

س: ما العلة في النهي عن الاستثناء في الدعاء؟

ج:

الأول: أنه يشعر بأن اللَّه له مكره على الشيء، وأن وراءه من يستطيع أن يمنعه.

الثاني: أن قول القائل: إن شئت، كأنه يرى أن هذا أمرٌ عظيمٌ على اللَّه، فقد لا يشاؤه.

الثالث: أنه يشعر أن الطالب مستغنٍ عن اللَّه.

س: اذكر بعض فوائد حديث الباب.

يستفاد من الحديث :

١- تحريم تعليق الدعاء بالمشيئة ؛ لأن ذلك يُشعِر بضعف الافتقار إلى اللَّه وذلك منافٍ للتوحيد .

٢- أن تعليق الدعاء بالمشيئة عام ، في الأمور الدينية أو الدنيوية ، فلا يجوز أن تقول : اللهم نجحني إن شئت .

٣- أنه في باب الخبر المحض الذي يقصد به التصديق أو التكذيب المبني على سؤال ، فهذا يجوز تعليقه بالمشيئة ، بل أحيانًا يجب ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ .

ومثل حديث المقابر وفيه : « . . . **وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون**» .

* * *

بَابُ لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ. وَلْيَقُلْ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ. وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي».

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: هي أن إطلاق هاتين الكلمتين على غير اللَّه مما ينافي كمال التوحيد لما فيهما من التشريك في اللفظ بين الخالق والمخلوق.

س: قول: (عبدي- أمتي) له حالتان اذكرهما مع التدليل لما تقول.

ج:

الحالة الأولى: أن يضيفه إلى غيره. فهذا جائز

دليله: قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾.

وحديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة**» رواه البخاري ومسلم.

الحالة الثانية: أن يضيفه إلى نفسه كأن يقول: (أطعمت عبد يا عبدي).

ففيه تفصيل:

- إن كان على سبيل الدعاء (منهي عنه)
- إن كان على سبيل الخبر ففيه خلاف على قولين:

الأول: المنع لظاهر حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «**لا يقل أحدكم أطعم ربك، وضئ ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل: عبدي وأمتي، وليقل فتاي وفتاتي**».

الثاني: الجواز. (وهو قول الشيخ ابن عثيمين).

س: قول: (ربي - ربك - رب الغلام-) لها حالات أربع اذكرها.

ج:

الحالة الأولى: أن تكون الإضافة إلى ضمير المخاطب كقول: (أطعم ربك) فهذا منهي عنه. لظاهر حديث أبي هريرة المتقدم.

الحالة الثانية: أن تكون الإضافة إلى ضمير الغائب كقول: (إذا ولدت الأمة ربها) رواه البخاري ومسلم في الصحيحين. فهذا جائز.

الحالة الثالثة: أن تكون الإضافة إلى ضمير المتكلم كقول: (فلان ربي). فهذه منهي عنها لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: (ولا يقل أحدكم ربي) رواه البخاري ومسلم.

الحالة الرابعة: أن تكون الإضافة إلى الاسم الظاهر كأن يقال: (رب الغلام). فإن كان بحضرة الغلام فمنهي عنها قياسًا على الاضافة لضمير المخاطب.

* * *

بَابُ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللَّه

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﭬ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّه فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُم قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

س: ما مناسبة الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن رد من سأل باللَّه مما ينافي كمال التوحيد لأن رده دليل على عدم إعظام اللَّه تعالى.

س: اذكر بعض فوائد حديث الباب.

ج: يستفاد من الحديث:

١- أنه لا يرد من سأل باللَّه إجلالًا للَّه وتعظيمًا.

٢- أن من استعاذ باللَّه وجبت إعاذته ودفع الشر عنه.

٣- مشروعية إجابة دعوة المسلم لوليمة أو غيرها.

٤- مشروعية مكافأة المحسن عند القدرة.

٥- مشروعية الدعاء للمحسن عند العجز عن مكافأته.

س: اذكر أحوال من سأل باللَّه على سبيل التفصيل؟

ج:

١- يحرم رد السائل: إذا توجه السائل لشخص معين ولم يسأل غيره

وكان المسئول قادرًا .

٢- يكره رد السائل إذا سأل أناسًا كثيرين باللَّه .

٣- يباح رده وذلك إذا علم عنه الكذب .

٤- تحريم إجابته . كأن يسال باللَّه في الإعانة على فعل معصية .

س : هل لفظة : «وجه اللَّه عليك» المستعملة عند بعض العوام من الحلف؟

ج : ذكر الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على كتاب التوحيد أنّ هذه اللفظة ليست حلفًا ، وإنما المقصود بها التوكيد على أمر معين ، وينبغي تركه .

* * *

بَابُ لَا يُسْأَلُ بِوجهِ اللَّه إِلَّا الجَنَّةُ

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجهِ اللَّه إِلَّا الْجَنَّةُ» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ.

س: ما مناسبة الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن السؤال بوجه اللَّه غير الجنة معصية ينافي كمال التوحيد حيث نهى عنه ولعن فاعله.

س: ما معنى قوله ﷺ: «لا يُسأل بوجه اللَّه إلا الجنة)؟

ج: اختلف في المراد بذلك على قولين:

القول الأول: أنك إذا سألت اللَّه، فإذا سألت الجنة وما يستلزم دخولها، فلا حرج أن تسأل بوجه اللَّه، وإن سألت شيئًا من أمور الدنيا فلا تسأل بوجه اللَّه، فإن وجه اللَّه أعظم من أن يسأل به لشيء من أمور الدنيا، كأن تقول: اللهم إني أسألك بوجهك الكريم أن تدخلني الجنة.

القول الثاني: قيل المراد: لا تسألوا من الناس شيئًا بوجه اللَّه.

كأن تقول: أعطني شيئًا بوجه اللَّه، فإن اللَّه أعظم من أن يسأل به شيء من الحطام.

قال الشيخ سلمان بن عبد اللَّه بن محمد بن عبد الوهاب: «والظاهر أن كلا المعنيين صحيح».

س: هل يسأل بوجه اللَّه غير الجنة؟

ج: قال الحافظ العراقي: «وذكر الجنة إنما هو للتنبيه به على الأمور العظام لا للتخصيص، فلا يسأل بوجهه في الأمور الدنيئة بخلاف الأمور العظيمة تحصيلًا أو دفعًا». ومما يدل على ذلك: حديث جابر قال: «لما نزلت قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول اللَّه ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بوجهك أو من تحت أرجلكم قال: أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال: هذ أيسر هذا أيسر**» رواه البخاري.

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي اللَّو

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى : ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وَقَوْلِهِ : ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَاقُتِلُواْ﴾ . [آل عمران: ١٦٨].

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّه وَلَا تَعْجَزَنَّ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللَّه وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» .

س : ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ؟

ج : هي أن من قال : «لو» معارضًا بها أقدار الرب تعالى كالبلايا والمصائب إذا جرى بها القدر فإن هذا مما ينافي كمال التوحيد .

س : كيف يوفق بين النصوص التي فيها النهي عن استخدام كلمة : (لو) مثل حديث : «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي» ونحوه ، وبين ما ورد من إطلاقها في الشرع ؟

ج : رجح شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى **٨/ ٣٤٧-٣٤٨** أنها بحسب الباعث والحامل عليها ، فإن كان الحامل عليها والدافع لها الضجر والحزن أو قالها معترضًا عليها أو قالها متمنيًا للشر ، فهذا محرم ، وإن كان الحامل عليها بيان محبة الخير والرغبة والإرشاد والتعليم ، فهذا جائز .

س: ما مناسبة الآيتين للباب واذكر بعض فوائدهما؟

ج: دلت الآيتان على تحريم الاعتراض على القدر، وأنه من كلام المنافقين.

يستفاد منهما:

١- أن الاعتراض على القدر من صفات المنافقين.

٢- وجوب الاستسلام للقضاء والقدر.

٣- أن الحذر لا ينجي من القدر.

٤- أن من كتب عليه الموت في محل فلا بد أن يذهب إليه، ولو حاول الامتناع عنه

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: دلّ الحديث على تحريم الاعتراض على قدر اللَّه.

❊ ❊ ❊

بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ» صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ.

س: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن الريح في تدبير مدبر وهو اللَّه تعالى فسبها اعتراض عليه فهو قادح في التوحيد.

س: ما مناسبة الحديث للباب واذكر شيئًا من فوائده:

ج: دلّ الحديث على النهي عن سبّ الريح؛ لأن سبها لمدبرها وذلك ينافي التوحيد.

ويستفاد من الحديث:

١- النهي عن سب الريح؛ لأنها خلق مدبر فيرجع السب إلى خالقها ومدبرها.

٢- الرجوع إلى اللَّه والاستعاذة به من شر ما خلق.

٣- أن الريح تكون مأمورة بالخير وتكون مأمورة بالشر.

٤- الإرشاد على الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره للسلامة من شره.

بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] **الآية**.

وَقَوْلِهِ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦].

قَالَ ابْنُ القَيِّم فِي الآيَةِ الأُولَى: فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ [الَّذِي يَلِيقُ بِاللَّهِ] بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللَّه وَحِكْمَتِهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الْحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ القَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يَتِمَّ أَمْرُ رَسُولِه، وَأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ الَّذِي ظَنَّهُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ الفَتْحِ. وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوْءِ لأَنَّهُ ظَنَّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَوَعْدِهِ الصَّادِقِ، فَمَنْ ظَنَّ أَنَّه يُدِيلُ البَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الْحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَّرَهُ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيهَا الْحَمْدَ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِك لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ، فَذَلِك ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللَّه ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِك إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللَّه وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَمُوجِبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ.

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللَّه وَلْيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَتُّبًا عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ، هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنْ ذَلِكَ؟!

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ ... وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيَا

س: ما الذي أراد المؤلف بهذا الباب؟

ج: أراد التنبيه على وجوب حسن الظن باللَّه تعالى لأن ذلك من واجبات التوحيد وذلك أنه لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد حتى يعتقد جميع ما أخبر اللَّه به من أسمائه وصفاته وكماله، وتصديقه بكل ما أخبر به وأنه يفعله وما وعد به من نصر الدين وإحقاق الحق وإبطال الباطل فاعتقاد هذا من الإيمان، وكل ظن ينافي ذلك فإنه من ظنون الجاهلية المنافية للتوحيد لأنها من سوء الظن باللَّه تعالى.

س: ينقسم سوء الظن باللَّه إلى قسمين اذكرهما.

ج:

الأول: قد يكون سوء الظن باللَّه كفرًا ينافي التوحيد بالكلية. كظن الكفار والمنافقين في الآيتين الكريمتين فقد زعموا أن اللَّه لا ينصر رسول اللَّه ﷺ وأن أمره سيضمحل، وأن ما أصابهم لم يكن بقدر وحكمة وهذا ظن سوء باللَّه مكذب لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣] وقد أظهر اللَّه دين الإسلام على جميع الأديان، ودخل الناس في دين اللَّه أفواجًا، وقد يديل اللَّه الباطل، أحيانًا على

الحق؛ تمحيصًا ورفعة لأهل الحق، وغرورا لأهل الباطل، ثم تكون العاقبة للمتقين.

الثاني: قد يكون سوء الظن باللَّه من المحرمات المنقصة لتوحيد العبد. كظن بعض عصاة الموحدين: إذا رأى رجلًا صالحًا مريضًا، قال: فلان ما يستاهل. أو إذا رأى فاسقًا غنيًّا، قال: هذا ما يستحق هذه الأموال. أو إذا أصابه بلاء في نفسه أو ماله ظن أنه غير مستحق له. فهذا كله من الاعتراض على اللَّه، إذ هو سبحانه أعلم بأحوال عباده، وله الحكمة البالغة فيما يقتضيه ويقدره على عباده، من صحة، ومرض وغنى وفقر وغير ذلك: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّه مَا قَبِلَهُ اللَّه مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ.

ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الإِيْمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيْمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّه القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَقَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». يَا بُنَيَّ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي».

وَفِي رِوَايَةٍ لأَحْمَدَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّه تَعَالَى القَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

وَفِي رِوَايَةٍ لابْنِ وَهْبٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللَّه بِالنَّارِ».

وَفِي «الْمُسْنَدِ» وَ«السُّنَنِ» عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي.

فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللَّه مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى

غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «صَحِيحِهِ».

س: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن توحيد الربوبية لا يتم إلا بإثبات القدر والإيمان به.

س: ما وجه الدلالة من حديث عبادة وابن الديلمي للباب؟

ج: دل على وجوب التسليم للقدر ودلت رواية ابن وهب وابن الديلمي على عقوبة من لم يؤمن بالقدر.

س: عرّف القدر؟

ج: القدر في الاصطلاح: ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه ﷻ قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها.

س: ماحكم الإيمان بالقدر؟

ج: الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان.

لحديث جبريل حين سؤاله النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**». رواه مسلم

س: اذكر مراتب الإيمان بالقدر مع الاستلال لكل مرتية بدليل؟

ج : مراتب الإيمان بالقدر أربع :

أ- الإيمان بعلم اللَّه الشامل .

فعلم اللَّه محيط بكل شيء ، يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون . قال تعالى : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ .

ب- الإيمان بأن اللَّه كتب في اللوح المحفوظ كل شيء .

قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ﴾ .

ج- الإيمان بمشيئة اللَّه الشاملة وقدرته النافذة .

فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا حركة ولا سكون إلا بمشيئة اللَّه . قال تعالى : ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .

د- الإيمان بأن اللَّه خالق كل شيء .

قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ .

س : عدّد ثلاثًا من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر ؟ .

ج : من الثمرات ما يلي :

١- الطمأنينة للقلب لأن المؤمن بالقدر يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

٢- منع إعجاب المرء بعمله إذا عمل عملًا يشكر عليه ؛ لأن اللَّه هو الذي من عليه وقدره له وأعانه عليه .

٣- ثباته وصبره وعدم تسخطه على ما أصابه من الأقدار المؤلمة لأنه

يعلم تدبير العليم الحكيم .

س : تكلم عن نشأة القدر في الإسلام على سبيل الاختصار ؟

ج :

أولًا : في عهد النبي ﷺ : لم توجد فرقة تسمى القدرية ، وإنما كان الناس على ثلاثة أصناف :

١- وجد من يستشكل القدر من بعض الصحابة ﭬ . ولما تنازعوا في القدر غضب النبي ﷺ واحمر وجهه وقال : «**أبهذا أمرتم ، أم بهذا أرسلت إليكم ، إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم أن لاتنازعوا فيه**» رواه الترمذي .

٢- المنافقون : اعترضوا على القدر وهم الذين قالوا : ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ .

٣- كفار قريش : فقد جاءوا إلى الرسول ﷺ يخاصمون في القدر . فنزل قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ .

ثانيًا : القول بالقدر في عهد الصحابة ﭬ . وأول من قال به : معبد الجهني ، ثم أخذه عنه : غيلان الدمشقي ، الذي قُتِل على يد بني أمية ، ثم انتشر على يد المعتزلة في عصر الدولة العباسية . قال ابن عمر ﭭ : «القدرية مجوس هذه الأمة ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم» .

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «قَالَ اللَّه تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَو لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَو لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً» أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عذَابًا يَومَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللَّه».

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا؛ كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيسَ بِنَافِخٍ».

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «أَلَّا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ».

س: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن تصوير ذوات الأرواج مناف لكمال التوحيد لأن فيه مشابهة لخلق اللَّه تعالى.

س: ما علة تحريم تصوير ذوات الأرواح؟

ج: هناك علل لتحريم تصوير ذوات الأرواح منها ما يلي:

١- كون تصوير ذوات الأرواح مفضٍ إلى تعظيمها، والغلو فيها وربما

جر ذلك إلى عبادتها، ولاسيما إذا كانت الصور لمن يحبهم الناس، ويعظمونهم، فمثل هؤلاء تكون الفتنة بتعليق، أو نصب صورهم في المجالس ونحوها من أعظم وسائل الشرك والضلال.

٢- أن فيها مضاهاة لخلق اللَّه تعالى، وتشبيه فعل المخلوق بفعل الخالق سبحانه.

٣- أن صناعة صور ذوات الروح المحرمة واتخاذها فيه مشابهة واضحة بفعل من كانوا يصنعون الصور والتماثيل، سواءً كان المصور قاصدًا التشبه بأولئك أم لا، فمجرد صناعته للصورة، أو استعمالها على وجهٍ محرمٍ بنصبٍ، أو تعليق، أو نحو ذلك يكون حاله شبيهًا بحال المشركين ومقلديهم الذين كانوا يصنعون الصور ويضعونها في معابدهم تقديسًا وتعظيمًا لها، ومعلوم أن من مقاصد الشريعة قطع دابر المشابهة بالكفار والمشركين فيما كان من عبادتهم وعاداتهم.

٤- كون صور ذوات الروح مانعة من دخول الملائكة، وفيها تبذير، وإضاعة للمال إلا فيما أخرجته الضرورة.

٥- كون صور ذوات الروح فيها فتح لباب الشهوات على مصراعية، إذ هي من أسباب إيقاد نار الشهوة والتعلق بها، والسعيد من جنب الفتن.

س: بيّن أحكام التصوير الشرعية بالتفصيل.

ج: هذه الأحكام بينها الشيخ وليد بن راشد السعيدان في رسالته: «حكم التصوير الفوتوغرافي» وإليك بيانها من هذه الرسالة باختصار وتصرف يسير.

التصوير عمومًا على قسمين:

١- تصوير ما لا روح فيه. كالشجر والماء والثمار والجبال والبيوت ونحوها.

فهذا عموم أهل العلم على جوازه وهو اختيار شيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية والخلاف فيه شاذ.

ومما يدل على جواز تصوير ما لا روح فيه عدة أدلة منها:

أ- قوله ﷺ: «**من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ**». رواه البخاري ومسلم.

فدل ذلك على أن ما لا روح فيه أصلًا لا بأس بتصويره، وإنما الوعيد منصب على ما له روح.

ب- قوله ﷺ: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**». رواه البخاري.

فدل ذلك على أن ما لا حياة فيه لا يدخل في هذا الوعيد، وإنما الوعيد منصب على ما تحله الحياة الحيوانية.

ت- قول جبريل -عليه الصلاة السلام- للنبي ﷺ: «**فمر برأس التمثال يقطع فيصير كهيئة الشجرة**». رواه أبو داود، وأصله في مسلم.

فدل ذلك على أن الصورة على هيئة الشجرة لا محظور فيها، والعلة في ذلك أنها ليست بذات روح، فقسنا عليها جميع ما لا روح فيه.

ث- أن تصوير ما لا روح فيه لا يؤدي إلى المحظور الذي من أجله حرمت الصورة.

ج- حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه جاءه رجل يسأله فقال: «إني رجل أصور

هذه الصور، فأفتني فيها «فقال له: ادن مني، فدنا منه حتى وضع يده على رأسه، وقال: «أنبئك بما سمعت من رسول اللَّه ﷺ، سمعت من رسول اللَّه ﷺ يقول: «**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم**»، ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فإن كنت لابد فاعلًا فاصنع الشجر وما لا نفس له» متفق عليه.

ووجه الشاهد منه أمران:

الأول: أنه قال: «**يجعل له بكل صورة صورها نفس**» فدل ذلك على أن الوعيد مقصور على ما له نفس.

ويبينه الوجه الثاني: وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما: «فاصنع الشجر وما لا نفس له»، وهو قول صحابي لم يخالف نصًا، ولم يخالفه صحابي آخر، فهو حجة على القول الراجح كما تقرر في الأصول.

فدلت هذه الأدلة على جواز تصوير ما لا روح فيه.

وذهب مجاهد وبعض السلف بتحريم تصوير ما لا حياة فيه ولا روح. واحتجوا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**قال اللَّه تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة**». رواه البخاري ومسلم؛ لأن الذرة والحبة لا روح فيها. وأجيب بأن المراد: التعجيز لما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: (من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ). وهذه لا روح فيها.

٢- تصوير ذوات الأرواح. كالإنسان أو الحيوان. فهذا لا يخلو من ثلاث حالات:

الحالة الأولى: إما أن تكون من الصورة التي لها ظل.

مثاله: كأن يأتي الإنسان إلى حجرٍ مثلًا، أو خشبةٍ، أو صلصالٍ، أو زجاجٍ ونحوه، ثم يصيغه على هيئة شيء له روح، وذلك كما يفعله المشركون بأصنامهم، فإن أصلها كانت صخورًا لا تشكيل فيها، ثم أخرجوها على هيئة الآدميين، وكما فعله عبَّاد العجل، فإنهم عمدوا إلى الذهب والفضة والجواهر، فصاغوها على هيئة عجل له خوار، ففتنوا به الناس.

فهذا النوع محرم بالإجماع.

وهو أساس شرك العالم يدل عليه ما يلي:

أ- عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول اللَّه تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [سورة نوح آية: ٢٣]. قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عبدت» رواه البخاري. وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس: أن يغوث ويعوق ونسرًا كانوا قومًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دَبَّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يستسقون المطر، فعبدوهم». أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٣٨).

ب- وعن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول اللَّه ﷺ كنيسة

رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند اللَّه ﷻ يوم القيامة**». رواه البخاري ومسلم.

قال ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى-: «فهؤلاء جمعوا بين فتنتين فتنة القبور، وفتنة التماثيل» اهـ.

الحالة الثانية: ما يسمى اليوم بتصوير الرسم.

وهو أن يعمد الإنسان إلى خرقةٍ، أو جدارٍ، أو ورقةٍ ونحوها، فيرسم بيده صورة من ذوات الأرواح، وهذا النوع من الصور لا ظل له.

فهذا النوع محرم ومن أدلة تحريمه ما يلي:

أ- ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان لنا ستر فيه تمثال طائر، وكان الداخل إذا دخل استقبله فقال لي رسول اللَّه ﷺ: «**حولي هذا**».

ب- ما في صحيح البخاري عنها رضي الله عنها أنها قالت: «دخل عليَّ رسول اللَّه ﷺ وقد سترت سهوةً لي بقرام فيه تمثال فلما رآه هتكه وتلون وجهه، وقال: «**يا عائشة: أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذي يضاهون بخلق الله**». ومن المعلوم أن هذا التمثال الذي كان في القرام لم يكن له ظل، وإنما هو مما خُط باليد، وقد فعل به النبي ﷺ ذلك، ثم أخبر بوعيد من فعل ذلك، فهذا يدل على حرمة تصوير ذوات الأرواح بالرسم باليد.

ت- أنه ﷺ لما فتح اللَّه عليه مكة دخل الكعبة فرأى فيها صورًا، ومن هذه الصور صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهما يستقسمان بالأزلام،

فقال -عليه الصلاة والسلام- : «**قاتلهم اللَّه لقد علموا أنهما ما استقسما بها قط**» رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في مسنده، وزاد الهيثمي في المجمع «فجعل يبل ثوبًا بالماء ويمحو تلك الصور»، وصححه الألباني -رحمه اللَّه تعالى- وأصله في الصحيح. فلم يقرها ﷺ مما يدل على عدم جوازها، وهي مما رسم باليد ولا ظل لها.

الحالة الثالثة: التصوير بالآلة، وهو المعروف بالتصوير الفوتوغرافي.

اختلف العلماء في هذا النوع من التصوير على قولين:

القول الأول: التحريم. وهو قول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني، رحمهم اللَّه تعالى، وهذا القول هو الذي عليه الفتوى في هذه الديار السعودية.

القول الثاني: أن التصوير الفوتوغرافي جائز.

وممن قال بهذا القول الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه اللَّه تعالى- وبعض العلماء.

من أدلة المانعين مايلي:

أ- ما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**كل مصور في النار يجعل له بكل صورةٍ صورها نفس يعذب بها في جهنم**».

فأفاد الحديث عدة أمور: -

الأول: لفظة (كل) فإنها من أقوى صيغ العموم، فيدخل تحتها كل

المصورين، وقد تقرر في الأصول: أن الأصل هو البقاء على العموم حتى يرد المخصص، فيدخل في هذا الوعيد الشديد كل مصور سواء بالنوع الأول، أو الثاني، أو الثالث، فإننا قد تقرر عندنا أن لاقط الصورة الفوتوغرافية يسمى مصورًا عرفًا، ومن أخرجه من هذا العموم فعليه الدليل؛ لأنه مخالف للأصل، وقد تقرر في القواعد أن الدليل يطلب من الناقل عن الأصل لا من الثابت عليه.

الثاني: قوله (يجعل له) فإن هذا إثبات، وقوله (صورة) نكرة، وقد تقرر في القواعد أن النكرة في سياق الإثبات مطلقة، وتقرر أيضًا أن المطلق يجرى على إطلاقه ولا يقيد إلا بدليل.

فالذي يقيد هذا بالنوع الأول والثاني فقط دون الثالث فإننا نقول له: قد قيدت المطلق فما دليلك على هذا التقييد؟

فالصورة الفوتوغرافية تدخل في مسمى الصورة لغة وعرفًا، فلماذا أخرجتها من هذا الإطلاق؟

الثالث: قوله: «**يجعل له بكل صورة**» فإن قوله: «**كل صورة**» أيضًا يفيد العموم، فالعموم الأول في المصورين، والعموم الثاني في الصور، فيدخل تحتها الصور الفوتوغرافية، ومن أخرجها من هذا العموم فعليه الدليل، والله أعلم.

ب- ومن أدلة المنع: ما رواه مسلم -رحمه الله تعالى- في صحيحه من حديث أبي الهياج الأسدي أنه قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني به رسول الله ﷺ: «**أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**».

فقوله: «**لا تدع**» نهي أو نفي كلاهما بمعنى واحد، وقوله: «**صورة**» نكرة، وقد تقرر في القواعد أن النكرة في سياق النهي والنفي تعم، فيدخل تحت هذا العموم ما يطلق عليه مسمى الصورة، وقد تقرر لنا أن الصورة الفوتوغرافية تدخل في مسمى الصورة لغة وعرفًا، فتدخل في هذا النوع شرعًا، ومن أخرجها منه فعليه الدليل، ولا أعلم دليلًا شرعيًا يخرجها من هذا العموم، وإنما هو قياسات لا أصل لها، مع مصادمتها للنصوص الصحيحة الصريحة، فحيث لا دليل فالواجب هو البقاء على الأصل حتى يرد الناقل واللَّه أعلم. فحق الصور الفوتوغرافية أن تطمس إلا للضرورة واللَّه أعلم.

ت- ومن الأدلة: قوله ﷺ: «**إن من أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورين**» رواه مسلم.

فقوله (المصورين) جمع دخلت عليه الألف واللام الاستغراقية، وقد تقرر في القواعد أن الألف واللام الاستغراقية إذا دخلت على الجمع أو المفرد أفادت العموم، فيدخل في ذلك كل المصورين، ومن ذلك آخذ الصور الفوتوغرافية فإنه من جملة المصورين، وذلك هو مقتضى اللغة والعرف والشرع، والذي يخرجه من هذا العموم عليه الدليل ولا دليل. إذًا فالبقاء على العموم هو المتعين تعظيمًا لكلام اللَّه تعالى، واللَّه أعلم.

ث- ومن الأدلة: ما رواه الإمام البخاري -رحمه اللَّه تعالى- «أن النبي ﷺ نهى عن ثمن الدم، وثمن الكلب، وكسب البغي، ولعن آكل الربا وموكله، والواشمة والمستوشمة، ولعن المصور».

والشاهد في قول الراوي (ولعن المصور)، فهو مفرد دخلت عليه

الألف واللام الاستغراقية المفيدة للعموم، فيدخل تحت هذا العموم كل مصور، فهم ملعونون بلعنة النبي ﷺ، ومن أخرج مصورًا من هذا العموم فعليه الدليل.

ج- ومن الأدلة: قوله ﷺ: «**إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه تمثال أو صورة**» رواه مسلم.

فقوله (لا تدخل) نفي، وقوله (صورة) نكرة، وقد تقرر أن النكرة في سياق النفي تعم، فيدخل في ذلك كل صورة، والصورة الفوتوغرافية تسمى صورة لغة وعرفًا وشرعًا؛ لأنها داخلة تحت هذا العموم، والعام يجب أن يبقى على عمومه، ولا يتعرض له بتخصيص بعض أفراده إلا بدليل، فأين الدليل الدال على إخراج الصور الفوتوغرافية من هذا العموم؟ هذا ما لا سبيل إليه، ولا دليل عليه، فحيث لا دليل، فالبقاء على العموم هو المتعين، واللَّه أعلم.

ح- ومن الأدلة: قوله -عليه أفضل الصلاة والسلام-: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**» روله البخاري ومسلم

والمراد بالصورة هنا العموم؛ لأنها -أي: الصور- جمعٌ دخلت عليه الألف واللام الاستغراقية، فيدخل في هذا العموم كل الصور سواءً كان لها ظل، أو لم يكن، ومن ذلك الصور الفوتوغرافية.

خ- ومن الأدلة: ما في الصحيحين من حديث عائشة ﵂ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله**»، وفيهما أيضًا من حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**قال اللَّه**

تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة»، ومن المعلوم أن ما يخرج في الصورة الفوتوغرافية مطابق تمامًا لما هو الواقع ففيه المضاهاة ظاهرة، بل أظهر من المضاهاة بالتصوير بالنحت، أو الرسم باليد، فإن هذه قد تختلف في أشياء عن الحقيقة.

وقد دلت القواعد الشرعية العامة على صحة القول بالمنع وبيانها كما يلي: -

القاعدة الأولى: قاعدة سد الذرائع المفضية إلى الممنوع.

ومن ذلك صور الأموات فإن بعض الناس إذا مات له أب، أو أخ، أو صاحب، علق صورته، وجعل عليها شيئًا من السواد، فكلما رآها تجددت أحزانه، بل وبعضهم إذا وقع في مصيبة فإنه يقف أمام الصورة يخاطبها وكأنها تراه وتسمعه، وهذه طامة لا مخرج منها إلا بسد هذا الباب سدًّا محكمًا كما اقتضته الأدلة، فالقول بتحريم التصوير الآلي متوافق تمامًا مع قاعدة سد الذرائع المفضية إلى ما هو ممنوع، واللَّه أعلم.

القاعدة الثانية: اتقاء المتشابهات.

ففي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام**» الحديث متفق عليه. فالقاعدة في المتشابهات هو اتقاؤها بمعنى تركها واجتنابها، والتصوير الفوتوغرافي إن سلمنا أنه ليس من الحرام البيِّن فلا أقل من أن يكون من قسم المتشابهات التي ندبنا نبينا ﷺ إلى اتقائها استبراءً لديننا

وعرضنا، وهذا لا يكون إلا بالقول بالمنع من الصور الفوتوغرافية، فإن كانت من الحرام البيِّن فلا كلام، وإن كانت من قسم المتشابه، فقد اتضح حكمها ولله الحمد والمنة.

القاعدة الثالثة: الخروج من خلاف العلماء.

فإنه قد تقرر أن فعل ما اتفق عليه العلماء أولى من فعل ما انفرد به أحدهم ما أمكن، وهذا لا يتم إلا إذا قلنا بالمنع من الصور الفوتوغرافية، ففي تركها مطلقًا خروج من خلاف العلماء، واللَّه أعلم.

القاعدة الرابعة: قاعدة حفظ المال.

فإن الشريعة الإسلامية جاءت بحفظ الضروريات الخمس وهي: الدين، والعقل، والنسل، والمال، والنفس، وقد دلت الأدلة على أن إنفاق المال فيما لا طائل من ورائه، ولا فائدة تجنى منه، لا يجوز.

وهذه الصور الفوتوغرافية لا تخلو من حالات:

أما أن تتخذ للتعظيم فهي محرمة، وإما أن تتخذ للذكري فهي كذلك وإما أن تدعو إليها الضرورة، فيجوز زمنها ما تندفع به الضرورة، وإما أن لا يكون ثمة مقصد لمتخذها.

فيقال: هذا تضييع للمال فيما لا طائل من ورائه، ولا فائدة تحته، وقد دلت الأدلة على أنه لا يجوز، فتركه واجب ولا يتم ذلك إلا بالقول بمنع هذه الصور؛ لأنه قد تقرر في القواعد أن ما لا يتم ترك الحرام إلا به، فتركه واجب، وفعله محرم.

فالقول بمنع مثل هذه الصور متوافق مع قاعدة حفظ المال كل الموافقة واللَّه أعلم.

والخلاصة: أن القول الراجح في الصور بالآلة التحريم، إما تحريم مقاصد، وإما تحريم وسائل، واللَّه أعلم.

من أدلة المجيزين للتصوير الفوتوغرافي مايلي:

١- التصوير الفوتوغرافي ليس في حقيقته تصويرًا.

فليس هو التصوير الذي جاءت الأدلة بالنهي عنه والوعيد عليه.

فإن الأدلة فيها لفظ: (صوَّر) و(مصوِّر) بالتشديد أي جعل هذا الشيء على صورة معينة، فمادة (صوَّر) تقتضي أن يكون هناك فعل في نفس الصورة، ومعلوم أن نقل الصورة بالآلة لم يحصل فيه من المصور أي عمل في هذه الصورة، فلم يحصل منه تخطيط فيها، ولا رسم، ولا زيادة ولا نقص حتى يكون مضاهيًا خلق اللَّه، وإنما هو سلط الآلة على المصوَّر فانطبع بالصورة خلق اللَّه على الصفة التي خلقها اللَّه عليها، فهو إذًا حبس للظل، وعكس له ليس إلا، فلا يكون داخلًا في عموم أدلة التحريم - كذا قالوا -.

والجواب عن ذلك من وجوه:

منها: أنه اجتهاد في مورد النص والقاعدة تقول: لا اجتهاد مع النص، فدلالة النصوص السابقة واضحة لا تحتاج إلى اجتهاد، وعمومها يقضي بدخول الصور الفوتوغرافية، ومثل هذا الكلام لا يكون مخصصًا لها.

ومنها: أنه قياس صادم عموم النص، وقد تقرر في القواعد أن كل قياس صادم النص فهو باطل.

ومنها: أننا لا نسلم أن المصوِّر لها لم يعمل شيئًا، بل هو قد صدرت منه أعمال كثيرة قد تفوق أعمال من يرسم، ولا عبرة بالمباشرة، أي ليس

التحريم مرتبطًا بمباشرة اليد للصورة نفسها، فإن توجيه الآلة، وضغط الزر، وإخراج الصورة سوداء، ثم وضعها في سائل التحميض، ثم خضخضتها، ثم تنشيفها كل ذلك عمل يعمله المصوِّر للصور الآلية، فيكيف نقول أنه لم يعمل شيئًا .

ومنها: سلمنا أنه لم يصدر منه أي عمل، فإنه لا أثر للاختلاف في وسيلة التصوير وآلته في الحكم، وإنما العبرة بوجود الصورة فقط، فمتى وجدت وكانت لذات الروح، وجد الحكم وهو التحريم ما لم تدع لذلك ضرورة كما مضى، وكذلك لا أثر للجهد المبذول في إخراج الصورة في الحكم فسواء بذل المصوِّر جهدًا شاقًا، أو لم يبذل جهدًا أصلًا فإن هذا لا تأثير له في الحكم، وإنما المعتبر في ذلك كله وجود الصورة لذات الروح وإن اختلف وسيلة إنتاجها، والجهد الذي يبذل فيها، وقد تقرر في القواعد أن الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا .

ومنها: سلمنا أن علة المضاهاة في الصورة الفوتوغرافية قد انتفت فهل باللَّه عليك قد انتفت العلل الأخرى التي تقدم ذكرها . فإن كل علة منها تقتضي التحريم بمفردها، فكيف وقد اجتمعت كلها .

٢- التصوير الفوتوغرافي شبيه تمامًا بالصورة التي تظهر في المرآة أو الماء أو أي سطح لامع، ولا يستطيع أحد أن يقول إن ما يظهر على المرآة والماء ونحوها حرام؛ لأنه صورة، وأن من فعل ذلك مصورًا، فكذلك التصوير الفوتوغرافي، كذا قالوا .

فيقال: - إن القياس يفتقر إلى الاتفاق في العلة للاتفاق في الحكم، وأنه قد تقرر في الأصول أن القياس مع الفارق باطل، والصور التي تظهر

على الماء أو المرآة ونحوها شيء غير مستقر، وإنما يرى ويظهر باشتراط المقابلة، فإذا ذهبت المقابلة زالت الصورة تمامًا، وأما الصور الفوتوغرافية فإنها ثابتة ومستقرة في الأوراق التي تطبع عليها، فقياس ما هو مستقر ثابت على ما ليس كذلك قياس مع الفارق.

وأيضًا يقال: إنه لا يعرف عن أحدٍ من الناس تسمية الواقف أمام المرآة ونحوها أنه مصور؛ لأن ذلك أصلًا ليس بتصوير لا لغةً ولا عرفًا، فليس بتصوير شرعًا، وأما الآخذ للصورة الفوتوغرافية فإنه مصور لغةً وعرفًا وشرعًا، فقياس من هو مصور لغةً وعرفًا على من ليس بمصورٍ لغةً وعرفًا قياس مع الفارق.

وأيضًا يقال: - إن الواقف أمام المرآة ونحوها تخرج صورته في المرآة بلا عمل منه إلا الوقوف فقط، فيده لم تباشر شيئًا في هذه الصورة، وأما الآخذ للصورة الفوتوغرافية فإن يده تباشر الصورة بعمل زائد، كتوجيه الآلة، وضغط الزر، وسحب الصورة، ووضعها في سائل التحميض، أو تحريكها في الهواء حتى تخرج الصورة، فأين هذا من هذا، فإن المسوِّي بينهما مسوٍّ لما فرق اللَّه بينه.

وأيضًا يقال: - إن صورة الواقف أمام المرآة لا تحمل علة من العلل المذكورة في فصل بيان العلل، فليس فيها مضاهاة، ولا تعظيم، ولا إنفاق للمال، ولا تمنع من دخول الملائكة، وليس فيها تشبه بالكفار، بخلاف الصورة الفوتوغرافية فإنها حاملة لهذه العلل أو لبعضها.

وأيضًا يقال: - إن صورة الواقف أمام المرآة ونحوها تتحرك بتحركه بخلاف الصورة الآلية فإنها بعد أخذها لا تتحرك بتحرك صاحبها.

فهذه الفوارق بينهما تمنع القياس ؛ لأنه قد تقرر في الأصول أن القياس مع الفارق باطل، وتقرر أيضًا أن الشريعة لا تجمع بين مختلفين، كما أنها لا تفرق بين متماثلين، والله أعلم .

٣- تقرر في القواعد أن الأصل في الأشياء الحل والإباحة حتى يقوم دليل المنع .

فيقال: - نعم هو كذلك، وقد قام دليل المنع، وهو ما مضى من الأدلة الكثيرة، فإنها تدل دلالة صريحة على أن الأصل في باب التصوير الحرمة، فلا يرخص منه إلا ما دعت الضرورة أو الحاجة المنزلة منزلة الضرورة إليه، والله أعلم .

وبهذا يتبين أن القول الأقرب للصواب والعلم عند الله حسب الصناعة الحديثية والأصولية هو القول بتحريم التصوير الفوتوغرافي، أو الآلي .

س: ما حكم الصور التي عمت بها البلوى ويشق التحرز منها كالصور التي على العلب والمواد الغذائية؟

هذه لا بأس بها بشروط :

١- أن تعم بها البلوى .

٢- أن يشق التحرز منها .

٣- أن تكون الصورة غير مقصودة من المشتري .

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْۚ﴾ [المائدة: ٨٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلكَسْبِ» أَخْرَجَاهُ.

وَعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّه وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهَ بِضَاعَتَهُ، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَا بِيَمِينِهِ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» -قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟- ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ».

وَفِيهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ».

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ.

س: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن كثرة الحلف ينافي كمال التوحيد؛ لأن اليمين إنما شرعت تأكيدًا للأمر المحلوف عليه وتعظيمًا للخالق، ولهذا وجب أن لا يحلف إلا باللَّه وكان الحلف بغيره من الشرك ومن تمام هذا التعظيم ألا يحلف باللَّه إلا صادقًا ومن تمام هذا التعظيم أن يحترم اسمه العظيم عن كثرة الحلف، فالكذب وكثرة الحلف تنافي التعظيم الذي هو روح التوحيد.

س: اذكر أهم الفوائد المتعلقة بنصوص الباب؟

ج:

١- أن كثرة الحلف تنقص لتعظيم اللَّه، وذلك مناف للتوحيد.

٢- تحريم الإكثار من الحلف.

٣- تحريم ترويج السلع بالحرام.

٤- الكذب في البيع والشراء سبب لزوال البركة.

٥- أن الكذب في البيع ممحق للكسب

٦- إثبات الكلام للَّه على وجه يليق بجلاله.

٧- إثبات أن اللَّه يكلم أهل طاعته.

٨- تحريم الكبر والزنا والإكثار من اليمين.

٩- تفضيل القرون الثلاثة الأولى.

١٠- أن الشر يزيد في الأمة.

١١- حرص السلف على تربية أولادهم.

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللَّه وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ

وَقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ **الآيَةُ** [النحل: ٩١].

وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّه وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا فَقَالَ: «اُغْزُوا بِاسْمِ اللَّه فِي سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله، اُغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ فَادْعُهُم إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ -أَوْ: خِلَالٍ- فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ. ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُم. ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ. فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّه تَعَالَى، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الغَنِيمَةِ وَالفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِن هُمْ أَجَابُوكَ فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فَاسْتَعِنْ بِاللَّه وَقَاتِلْهُم. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّه وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّه وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُم أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّه وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ الله، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ الله، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي

أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللَّه أَمْ لَا؟» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

س: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن نقض العهد دليل على عدم تعظيم اللَّه تعالى فهو قادح في التوحيد.

س: ما مناسبة الآية: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ **للباب؟**

ج: دلت على وجوب الوفاء بالعهود وتحريم نقضها.

س: ما مناسبة حديث بريدة رضي الله عنه للباب؟

ج: دل الحديث على وجوب حفظ ذمة اللَّه وذمة نبيه ﷺ عن النقض؛ لأن نقض ذمة اللَّه استخفافًا به، وذلك منافٍ للتوحيد.

س: اذكر أهم الفوائد المتعلقة بحديث بريدة رضي الله عنه؟

ج: يستفاد من الحديث:

١- كان ﷺ لا يبعث أميرًا على سرية إلا وصاه وأوصى سريته بما يجب عليهم.

٢- أن الصحابة من شدة محبتهم للنبي ﷺ كانوا ينفذون وصاياه بغبطة وفرحة.

٣- كان أول ما يوصي به النبي ﷺ أصحابه هو تقوى اللَّه.

٤- وصاية القائد بأن يتقي اللَّه بمن فيمن معه، فلا يستغل سلطته عليهم.

٥- تصحيح النية وسلامة الطوية بأن تكون غزوتهم مقصودًا بها وجه اللَّه تعالى والدار الآخرة .

٦- أن الهدف من الجهاد قتال الكفار ليدخلوا في الإسلام .

٧- تحريم الغلول وأنه كبيرة .

٨- تحريم الغدر .

٩- تحريم التمثيل في القتلى .

١٠- النهي عن قتل الصبيان من هم دون البلوغ .

١١- وجوب دعوة العدو المشرك إلى ثلاث خصال ، وهي : الإسلام ، أو الجزية لأهل الكتاب ، أو القتال .

١٢- على قائد الجيش إذا عقد عهدًا مع المشركين فلا يجعل بينه وبينهم عهد اللَّه ، بل يجعل عهده الخاص .

١٣- إذا أراد قائد الجيش إنزال عدوه على حكم فليكن على حكمه هو واجتهاده ، وليس على حكم اللَّه .

١٤- وجوب التأدب بآداب الحروب الإسلامية والجهاد في سبيل اللَّه .

١٥- أن الإسلام يستبعد الحروب التي تثيرها المطامع والمنافع وحروب الاستعمار ، كما يستبعد الحروب التي تثيرها حب الأمجاد الزائفة ، والمغانم الشخصية ، فلا مكان لهذه الحروب .

١٦- أن المجتهد قد يصيب وقد يخطئ .

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّه ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّه لَا يَغْفِرُ اللَّه لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّه ﷻ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَلَّا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرَتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ؛ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

س: ما معنى الإقسام على اللَّه؟

ج: أن يحلف المرء على اللَّه أن يفعل، أو يحلف عليه ألا يفعل.

س: القسم على اللَّه ينقسم إلى ثلاثة أقسام .اذكرها مع بيان حكم كل قسم؟

ج:

١- أن يقسم على أمر أُخبر به في الشرع.

كقولك: «واللَّه لا يغفر اللَّه لمن أشرك به» فهذا جـائـز.

٢- أن يقسم على وجه حسن الظن باللَّه ﷻ فهذا جـائـز.

لقوله ﷺ: «**إن من عباد اللَّه من لو أقسم على اللَّه لأبره**» رواه البخاري.

٣- أن يكون الحامل له هو الإعجاب بالنفس والتكبر وسوء الظن باللَّه ﷻ، فهذا محرم.

كقول: واللَّه لا يغفر اللَّه لفلان، فهذا من المحرمات المنقصة لتوحيد العبد، لحديث الباب.

س: اذكر أهم الفوائد المتعلقة بحديث الباب؟

ج:

١- تحريم التألي على اللَّه.

٢- إثبات صفة القول للَّه على وجه يليق بجلاله.

٣- وجوب التأدب مع اللَّه في الأقوال والأحوال.

٤- بيان سعة فضل اللَّه ورحمته.

٥- الأعمال بالخواتيم.

٦- قد يغفر للشخص بسبب غيره.

٧- تحريم تحجر فضل اللَّه ورحمته.

٨- قد يحبط العمل من أجل كلمة.

٩- بيان خطر اللسان.

❋ ❋ ❋

بَابُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّه عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِم ﵁ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، نُهِكَتِ الأَنْفُسُ، وَجَاعَ العِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللَّه عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى الله.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ!!» فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا الله؟ إِنَّ شَأْنَ اللَّه أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّه عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ. رَوَاهُ أَبُو دَاودَ.

س: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن الاستشفاع باللَّه على خلقه مناف للتوحيد لأن فيه تنقصًا لرب العالمين.

س: ما معنى الاستشفاع باللَّه على خلقه وما العلة في تحريم هذا الفعل؟

ج: معنى الاستشفاع باللَّه على خلقه: أن يجعل العبد ربه واسطة يشفع له عند أحد من الخلق. وهو من المحرمات المنقصة لتوحيد العبد؛ لأن الشافع يشفع عند من هو أعلى منه، واللَّه سبحانه هو الكبير المتعال لا أحد أعلى منه.

س: ما معنى الاستشفاع بالرسول ﷺ، وما حكمه، وهل الاستشفاع

خاص به، وما الفرق بين الحي والميت في الاستشفاع؟

ج: الاستشفاع بالرسول ﷺ المراد به: طلب دعائه وهو جائز في حياته. وأما بعد وفاته فلا يجوز. وليس خاصًّا به بل كل حي حاضر يرجى أن يستجاب له فلا بأس أن يطلب منه الدعاء. وأما الميت فإنما يشرع في حقه الدعاء له على جنازته وعلى قبره وفي غير ذلك. وأما دعاؤه فلم يشرع بل قد دل الكتاب والسنة على النهي عنه والوعيد عليه. فكل ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضر فدعاؤه شرك. وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت في الاستشفاع.

س: ما مناسبة الحديث للباب؟

ج: دلّ الحديث على تحريم الاستشفاع باللَّه على أحد من خلقه؛ لأنه تنقص لجلاله وعظمته، وحط من مكانته، وذلك منافٍ للتوحيد.

س: اذكر أهم الفوائد المتعلقة بحديث الباب؟

ج:

١- جواز طلب الدعاء من الأحياء.

٢- تحريم السقيا من غير اللَّه.

٣- مشروعية الدعاء وإثبات نفعه.

٤- بيان مضار الجهل.

٥- وجوب تنزيه اللَّه عما لا يليق بجلاله من نقص أو عيب أو مماثلة للمخلوق.

تحريم الاستشفاع باللَّه على أحد من خلقه.

بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ الشِّخِّيرِ رضي الله عنه قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّه -تَبَارَك وَتَعَالَى-». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَولِكُمْ -أَو: بَعْضِ قَولِكُمْ- وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا. فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ. أَنَا مُحَمَّدٌ، عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّه عز وجل» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

س: ما المقصود بحمايته ﷺ حمى التوحيد؟

ج: المقصود بذلك صونه عما يشوبه من الأقوال والأفعال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص.

س: ما مناسبة الحديثين للباب؟

ج: فيهما حماية التوحيد من شوائب الشرك ووسائله.

س: اذكر شيئًا من فوائد حديثي الباب؟

ج: يستفاد من الحديث:

١- جواز إطلاق لفظ السيد على اللَّه، وأنه من أسماء اللَّه.

٢- تحريم الغلو في النبي ﷺ، وأنه طريق إلى الشرك.

٣- عظم قدر النبي ﷺ في نفوس أصحابه واترامهم له.

٤- أن الغلو مطية الشيطان.

٥- بيان منزلة الرسول ﷺ، وهي صفة بالعبودية والرسالة.

٦- تحريم رفع النبي ﷺ فوق منزلته.

س: ما الجمع بين قوله ﷺ: «السيد هو الله) وقوله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم»؟

ج: اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: أن النهي على سبيل الكراهة والأدب، والإباحة على سبيل الجواز.

سالقول الثاني: أن النهي حيث يخشى مفسدة، وهي التدرج إلى الغلو.

والصحيح: أنه يجوز بشرط أن يكون أهلًا للسيادة.

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّه يَجْعَلُ السَّمَوَات عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِيْنَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا اللَّهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلبُخَارِيِّ: «يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ» أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا: «يَطْوِي اللَّه السَّمَوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثُمَّ يَقُول: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِيْنَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُول: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟».

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ: أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَا السَّمَوَات السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ».

وَقَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَي فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللَّه فَوْقَ العَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ.

أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّه.

وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ الْمَسْعُودِيُّ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّه.

قَالَهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ -رَحِمَهُ اللَّه تَعَالَى-، قَالَ: وَلَهُ طُرُقٌ.

وَعَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟». قُلْنَا: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيْرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيْرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيْرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَاللَّه تبارك وتعالى فَوقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاودَ وَغَيْرُهُ.

س: ما مناسبة الآية ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ **لكتاب التوحيد؟**

ج: أنها دلت على أن عبادة غير اللَّه شرك ينافي توحيده، ولإيمان به.

س: ما مناسبة نصوص الباب للباب؟

ج: أنّ عظمة المخلوقات وخضوعها للَّه دال على عظمة اللَّه، وأنه هو المستحق للعبادة وحده وأن له صفات الكمال ونعوت الجلال.

س: اذكر شيئًا من فوائد الباب.

ج: يستفاد من الباب:

١- وجوب تعظيم اللَّه وتنزيهه عما لا يليق بجلاله.

٢- اتفاق اليهود والمسلمين على إثبات الأصابع للَّه على وجه يليق بجلاله.

٣- إثبات صفة الملك للَّه متضمنًا الملك.

٤- إثبان أن للَّه يدين حقيقيتين، والمحققون على تضعيف رواية الشمال، ويثبتون «اليدين»، «والأخرى»، و«كلتا يديه يمين».

٥- إثبات الأرضين السبع.

٦- تحريم الكبر والتجبر.

٧- إثبات صفة القول للَّه على وجه يليق بجلاله.

٨- الضحك لسبب لا ينافي الأدب.

٩- وجوب قبول الحق مهما كان مصدره.

١٠- إثبات الكف للَّه على الوجه الذي يليق بجلاله.

١١- أن السموات سبع كما جاء ذلك صريحًا في القرآن في عدة آيات.

١٢- إثبات الكرسي وأنه مخلوق عظيم، وهو موضع قدمي الرب.

١٣- إثبات العرش وأنه مخلوق عظيم، وهو سقف المخلوقات.

١٤- ذكر المسافة بين كل سماء وسماء، وبين السماء السابعة والكرسي، وبين الكرسي والماء، وأن مقدارها خمسمائة عام.

١٥- إثبات الماء الذي فوقه العرش.

١٦- فيها إثبات علو اللَّه ﷻ.

١٧- إثبات أن السموات أجرام لها سمك.

١٨- إحاطة علم اللَّه بكل شيء.

١٩- الرد على أصحاب النظريات التي لا تثبت إلا المحسوس.

هذا والحمد للَّه أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا وأسأله الإخلاص في القول والعمل إنه جواد كريم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

الفهرس

* * *